الأسفار والسيف

والرد على بابا الفاتيكان

بقلم

عبد الحليم الجبيصي

المكتبة التوفيقية



بقلم

عبد الحليم الجبيصى



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠



القاهرة - مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Cairo - Egypt
Add : in front of the Green Door Of El Hussen
Tel : (00202) 5904175 -5922410
Fax : 6847957
shalan@eltawfikiapress.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الذين خاطبهم الله عز و جل بقوله:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (المائدة ٥٩).

و إلى الذين قال الله (عز وجل) فيهم:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ (المائدة ٧٧).

و دائما إلى الصفوة الذين أحبوا الله فأحبهم و هداهم إلى صراطه المستقيم فقالوا:

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾

(المائدة ٨٥، ٨٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هاد له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

[آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

[الأحزاب:٧٠، ٧١]

ثم أما بعد..

في الوقت الذي يسبح فيه الشرق الإسلامي كله في فلسطين، وأفغانستان، والعراق، ولبنان، والصومال، والسودان، وإيران، وسوريا في بركة واسعة من الدماء والمؤامرة على الاعتداء على من لم يسبح في بركة الدماء، بأيدي الصليبية الغربية المتعاونة مع الصهيونية العالمية.

وفي نفس الوقت الذي جاءت فيه الرسوم الكاريكاتيرية البغيضة التي نشرتها إحدى الصحف الدنماركية التي تسيء إلى الإسلام وإلى نبيه الكريم محمد (ﷺ) وقد

سبقتها أيضاً تصريحات الرئيس الأمريكي جورج بوش الصغير من بدء حملته الصليـبـية الثانية ضد الإسلام والمسلمين والتي اكتوى من نار حقدهم عشرات الألوف من المسلمين في كل من أفغانستان، والعراق، وفلسطين، ولبنان.

مع هذا الجو المشحون ضد الإسلام والمسلمين جاءت التصريحات البغيضة والعجيـبة لرجل الفاتيكان الذي ينتظر فيه الجميع الخير والاعتدال والدعوة إلى التسامح والحب ونبذ الحروب والدعوة إلى السلام ونشر العدل في ربوع الأرض..

يخرج علينا بابا الفاتيكان وهو رجل الدين المسيحي الأول بتصريحات ما هي إلا تبرير للحملة الصليـبية الجديدة على الإسلام وأهله ويقوض وهم ما عرف بحوار الحضارات ، وحوار الأديان، وخارطة الطريق للسلام في الشرق الأوسط..

لعلنا نفيق من وهم هذه الأكذوبة الكبيرة التي جاءت خصيصاً لتغطية ما يحاك ضد الإسلام من مؤامرات تُنسج خيوطها اللعينة في البيت الأبيض ومقر بابا الفاتيكان. ولعل المسلمين يفيقوا من ثباتهم ويطلعوا على قرآنهم ويروا الآيات الكريمة وهي تنبههم لزيف ووهم وعود الغرب، يقول الله (ﷻ):

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ (محمد: ٣٠).

وتأتي البغضاء في تصريحات رجل الدين، ورجل الحب والسلام، وما تخفي قلوبهم وصدورهم أكبر ليقول:

(إن العقيدة المسيحية، تقوم على المنطق والعقل، لكن العقيدة الإسلامية تقوم على أساس إرادة الله، التي لا تخضع لحكمة العقل والمنطق وأن محمد (ﷺ) لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني، كأمره بنشر الإسلام بحد السيف، وأن الإسلام جاء بأشياء شريرة للإنسانية، وأن الجهاد في الإسلام يخالف الطبيعة الإنسانية).

يقول المولى ﷻ: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (آل عمران: ١١٨).

والقضية ليست مجرد كلمات قالها رجل دين يجهل دينه حتى يعرف عظمة دين الإسلام أو كلمات في محاضرة ورسوم رسمها معتوه أبله، لا يحترم مشاعر وأحاسيس الآخرين

وهو لا يعرف تعاليم دينه إن كان له دين أو يعرف فضل الأنبياء على البشرية التي عادت إلى عصور جاهليتها الأولى مرة أخري في عصرنا الحديث. ولكن القضية هي قضية المؤامرة التي وضحت معالمها، وظهرت خيوطها لكل مسلم، فها هي ذي آلة الحرب الأمريكية تدور ليل نهار لتحصد أرواح المسلمين بعد أن أعلن الرئيس الأمريكي عزمه على شطب الإسلام من على ظهر الأرض في مدة لا تزيد عن عشرين عاماً. وها هو رجل الدين بابا الفاتيكان يضفي مشروعية تنفيذ هذه المؤامرة، للقضاء على الشر الذي جاء به محمد (ﷺ)- حسب قوله البغيض- ولإنجاح مؤامرته جاء دعمه.

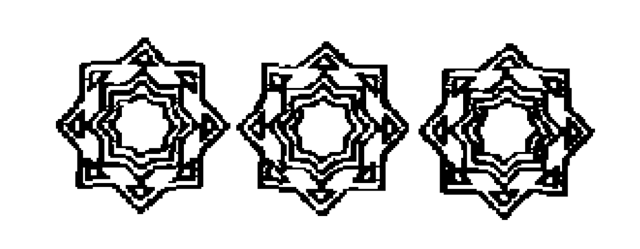
قمنا بالرد على ما ذكره البابا من خلال التاريخ والواقع ومن خلال رجال شرفاء، معتدلين من الشرق والغرب على السواء، لعله يفيق أو يهتدي.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه إلى الأستاذ/ *عبد العظيم إبراهيم* بالشكر الحسن لما بذل من مجهود في تنفيذ وإخراج هذا الكتاب فجزاه الله خيرًا وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وبقي رد أصحاب القرار والحسم والحزم. تري بماذا هم فاعلون؟!! نسأل الله لهم العون.ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفع به قارئه وأن يجعله في ميزان حسناتنا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله الطيبين الأطهار وصحبه الأبرار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الراجي عفو ربه
عبد الحليم عبد الفتاح الجبيصي
مصر- كفر الشيخ- بلطيم
في ٢٠٠٦/١٢/١٩
م/ ٠١٠١٢٥٩١٣٧





الغرب والكبرياء الزائف

في محاضرة ألقاها العالم الشهير/ (مونتجمرى وات) (*Montgomery Watt*) في الكوليج دو فرانس (*Franceécollege d*) في عام (١٩٧٠م)..

تحت عنوان..

(*lam on medieval Europes of IéThe influenc*).

تأثير الإسلام في أوروبا خلال العصر الوسيط: والصادرة عن مطبعة جامعة أدنبرة بسكوتلندا (***Edinburgh university press***). في عام (١٩٧٢م)..

قال: إني لن أنظر إلى المسلمين باعتبارهم دخلاء من بين العديد من الدخلاء على القارة الأوروبية، وإنما باعتبارهم ممثلين لحضارة ذات إنجازات عظيمة تدين لها بالفضل رقعة كبيرة من سطح الأرض، ثم فاضت ثمار هذه الإنجازات على رقعة أرض مجاورة..

لقد أدرك الناس منذ زمن أن الكتّاب المسيحيين في العصر الوسيط خلقوا صورة شائهة من وجوه عديدة. غير أن جهود الباحثين خلال القرن الأخير قد مهّدت السبيل من أجل تكوين صورة أكثر موضوعية له في عقول الغربيين..

ومع ذلك فإننا معشر الأوروبيين نأبى في عناد أن نقّر بفضل الإسلام الحضاري علينا، ونميل أحيانا إلى التهوين من قدر وأهمية التأثير الإسلامي في تراثنا، بل ونتجاهل هذا التأثير أحياناً تجاهلاً تاماً، والواجب علينا من أجل إرساء دعائم علاقات أفضل مع العرب والمسلمين. أن نعترف اعترافاً كاملاً بهذا الفضل. أما إنكاره أو إخفاء معالمه فلا يدل إلا على كبرياء زائف [١].

الواقع أن الصورة الأوروبية للإسلام هي أبعد ما تكون عن الحقيقة [٢].

---

(١) مونتجمري وات. فضل الإسلام على الحضارة الغربية. ترجمة حسين أحمد أمين. دار الشروق، صـ ٧، ٨. (١٩٨٣م) ط - الأولى.

(٢) مونتجمرى وات. صـ ١٠٢. المرجع السابق.

قال بابا الفاتيكان:

(إن اليهود أخوة أعزاء)..

(إن البابا بنديكتوس السادس عشر هو الذي قاد عملية التقارب بين الفاتيكان والشعب اليهودي في فترة البابا الراحل يوحنا بولس الثاني والذي برء اليهود من دم السيد المسيح ﷺ). **(صحيفة الليموند الفرنسية)**

إن البابا كان واحداً من النازيين أيام هتلر، فقد عمل في خدمة الجيش النازي لإنشاء حواجز ضد الدبابات في النمسا وذلك حتى الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، وكان منذ عام (١٩٤١م) من شبيبة هتلر. وتبنى آراء معادية للإسلام، والعرب، والمسلمين، من ذلك تأملاته التي يدلى بها إلى المقربين منه عن الإسلام، والتي أدلى بجزء منها في تصريحاته الأخيرة، بالإضافة إلى رفضه لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، لأن تركيا على حد قوله ستفسد مسيحية أوروبا، ولأن هذه القارة أصلها مسيحي، وربطه بين الجهاد الإسلامي وبين العنف، والإرهاب، والادعاء أن الإسلام غير قابل للتطور على عكس المسيحية واليهودية..

ففي ندوة كنيسية حول الإسلام عقدت في سبتمبر (٢٠٠٥م)، فقد اعترض اعتراضاً سريعاً ومباشراً على فكرة (قابلية الإسلام للتطور) التي طرحت في الندوة نقلاً عن وجهه نظر أحد علماء باكستان المسلمين، إذ قال بنديكت السادس عشر معترضاً من بداية النقاش: إن كلمة الله عند المسلمين كلمة أبدية كما هي غير قابلة للتلاءم مع المستجدات أو التأويل، وهذا فارق أساسي مع المسيحية واليهودية، فكلمت الله عندهما أوكلت إلى البشر، وأوكل إليهم أن تتعدل لتتلاءم مع المستجدات[1]..

عقب انتخاب بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر بيوم واحد عارض انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي وعلقت على ذلك المحللة السياسية الفرنسية إيزابيلا شملا بقولها:

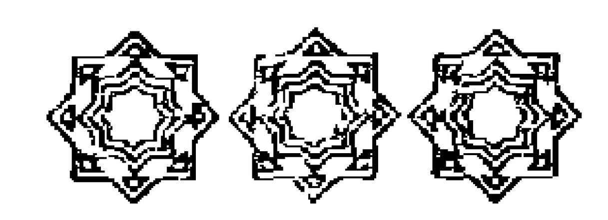
---

(١) صحيفة نيويورك صن داينيل بايبس. يناير (٢٠٠٦م) عن القسيس يوزيف ديسبو.

(إن أول هدف من انتخاب البابا الجديد بنديكتوس السادس عشر هو المسلمون)..

هذا وقد:

(رحب الرئيس الأمريكي جورج ديبل بوش بانتخاب بابا الفاتيكان بنديكتوس لسابق مواقفه ضد الإسلام ولربطه الإسلام بالإرهاب)..



نص محاضرة بابا الفاتيكان التي أساء فيها للإسلام

في جامعة ريجينز بورج بولاية بافاريا الألمانية وفي يوم الثلاثاء الموافق (١٢/٩/٢٠٠٦ م)، فوجئ العالم الإسلامي ببابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر وقد ألقى محاضرة بعنوان:

(الإيمان والعقل والجامعة ذكريات وانعكاسات)..

ودار مضمونها حول الخلاف التاريخي والفلسفي بين الإسلام والمسيحية في العلاقة التي يقيمها كلا منهما بين الإيمان والعقل. فقال :

السيدات والسادة المحترمين:

(إنها لحظة مؤثرة حقاً أن أقف مرة أخرى لأحاضر في الجامعة، تأخذني الذكريات إلى الماضي وقت أن كنت أعمل محاضراً في جامعة بون بعد فترة (دراسة) جميلة قضيتها في كلية فريزينجر العليا، كان العام ١٩٥٩ وقت الجامعات اللاهوتية التقليدية، لم يكن هناك - للكراسي الأكاديمية المختلفة - مساعدين أو أطقم سكرتارية أو ما شابه وإنما كنا نتمتع بمزايا العلاقة المباشرة مع الطلاب من ناحية وزملائنا من الأساتذة من ناحية أخرى، كنا نلتقي في قاعات التدريس قبل وبعد المحاضرات مما وطد العلاقات بين كليتى اللاهوت بشكل كبير وجعلها في غاية الحيوية، كان هناك في بداية كل فصل دراسي لقاء عام يعرف فيه جميع الأساتذة أنفسهم للطلاب مما أتاح لنا المعايشة الفعلية (لما نسميه) الجامعة: هذا الإحساس بأنه بالرغم من اختلاف التخصصات التي قد تجعل التواصل المباشر بيننا صعبا فإننا لم نكن نمثل في الواقع سوى وحدة واحدة متكاملة هدفها فهم وصياغة الأبعاد المختلفة للعقلانية والحرص على ألا تطبق إلا بشكلها الصحيح، هذا ما كنا نعيشه فعلا، وقد كانت الجامعة فخورة بكليتي اللاهوت لأنه كان واضحاً أن دراسة وبحث الاستخدام الصحيح للعقلانية في مسائل العقيدة عمل هام ومطلوب داخل منظومة الجامعة حتى وإن لم يكن الجميع يتشاطرون

نفس الاعتقاد الذي يتعلق به هذا العمل، ولم يتأثر هذا التجانس والتوافق الداخلي حتى عندما تعالت صيحات بعض الزملاء أنه توجد كليتين في جامعتنا (العقلانية) تتناولان بالبحث شيئا لا وجود له وهو الله! بالرغم من هذا لم يكن هناك أدني شك لدي الجميع أن السؤال عن الله - وتناوله من منظور الديانة المسيحية - يبقى في مواجهة مثل هذا الفكر التشاؤمي المغالي لازما وعقلانيا ومكملا للمنظومة العلمية للجامعة. كل هذا حضرني وأنا اقرأ مؤخرا كتابا للبروفيسور تيودور خوري (من جامعة مونستر) والذي أخرج فيه جزءا من نقاش دار بين القيصر البيزنطي (العالم مانويل الثاني باليولوجوس) وبين أحد المثقفين الفرس وذلك وقت (عسكرة جنوده) بأنقرة في شتاء العام ١٣٩١م والذي دار حول الإسلام والمسيحية وحقيقة كليهما. والظاهر أن القيصر دون هذه المناقشة أثناء حصار القسطنطينية في الأعوام ١٣٩٤-١٤٠٢م. حيث يلاحظ بوضوح أن سرد أفكاره وطروحاته (الشخصية) غلب على إيراد ردود العالم الفارسي، يستغرق الحوار مجمل عقائد الإنجيل والقرآن إلا أنه يركز خاصة على صورة الله والإنسان وبالطبع أيضا النسبة (أو التفاضل) بين (القوانين الثلاثة): العهد القديم، العهد الجديد، القرآن (بهذا الخصوص). في هذه المحاضرة أريد تناول نقطة ثانوية، في السياق العام للحوار المذكور، عن العلاقة بين العقيدة والعقلانية (استوقفتني) وأعجبتني واعتبرتها نقطة البداية لتصوراتي عن هذا الموضوع. في الحلقة السابعة من النقاش- حسبما أخرج البروفيسور خوري في كتابه- يأتي القيصر إلى ذكر الجهاد، ومن المؤكد أنه كان يعرف أن السورة ٢- آية ٢٥٦ تحتوى على التصريح: (لا إكراه في الدين) وهي إحدى السور المتقدمة من الوقت الذي كان فيه محمد نفسه مهددا وبلا سلطان، لكن القيصر كان يعرف أيضا السور المتأخرة الظهور والتي تتناول تشريعات الجهاد. ودون أن يدخل في تفاصيل التمييز بين (أهل الكتاب) و(الكفار) نجده يتوجه مباشرة، وبطريقة فظة، إلى مناظره بالسؤال عن العلاقة بين الدين والعنف. إنه يقول (أرنى ما الجديد الذي أتي به محمد ولن تجد سوى كل ما هو سيء وغير إنساني مثل أنه أوجب نشر الاعتقاد الذي يعلمه بحد بالسيف). ثم يمضي في شرح التناقض الكامن (في الإتيان بهذا الفعل) لخصمه بقوله: (إنه يتناقض مع جوهر

الله وجوهر الروح. الله لا يرضى عن الدماء والتصرف بشكل لا عقلاني ليس من صفات الله. العقيدة ثمرة الروح وليست (متعلقة) بالجسد، من يريد إذا أن يوصل أحدا إلى الاعتقاد ينبغي أن تكون لديه ملكة الكلام الطيب والتفكير السليم وليس التهديد والعنف، من أجل هداية الروح السليمة لا نحتاج لليد أو لأدوات الضرب أو لأية أدوات تستخدم للتهديد بالموت. الجملة المركزية في هذا الحوار (والمستخدمة) ضد مبدأ فرض الدين بالعنف هي: عدم التصرف بعقلانية يناقض جوهر الله، وعلى هذا يعلق الأستاذ خوري قائلا: بالنسبة للقيصر البيزنطي ذي الخلفية الفلسفية الإغريقية تعتبر هذه الجملة بديهية بينما تعتبر تعاليم المسلمين: (الله كيانا بعيدا عن كل إدراك بعدا مطلقا لا تخضع إرادته لقوانيننا حتى لو كانت قوانين العقل)، ويبرز خوري هنا بحثاً للمستشرق الفرنسي المعروف أرنلديز الذي يشير فيه إلى أن ابن حزم يذهب إلى حد أنه يقول إن الله ليس ملزما حتى بكلامه وليس هناك ما يجبره على الإيحاء إلينا بالحقيقة، إن أراد جعل الإنسان عابداً للأصنام (أيضا). هنا نأتي على مفترق طرق في فهم الذات الإلهية وبالتالي التطبيق العملي للدين يمثل تحديا مباشرا لنا. هل الاعتقاد بتناقض جوهر الله مع الأفعال اللاعقلانية هو اعتقاد يوناني فقط؟ أم أن هذا المبدأ عام وصحيح في ذاته؟ أتصور أنه ينبغي الإشارة هنا إلى التوافق العميق بين هذه النظرة الإغريقية والعقيدة المسيحية في الله، فلقد بدأ يوحنا إنجيله بهذه الجملة المقتبسة من بداية العهد القديم: (في البدأ كانت الحكمة الإلهية) هذا التعبير بالضبط استخدمه القيصر: الله يتصرف بحكمة. الحكمة هي عقلانية وكلمة في نفس الوقت، عقلانية خلاقة تستطيع التعبير عن نفسها ولكنها (أولا وأخيرا) عقلانية. وهكذا أهدى لنا يوحنا الوصف الجامع والنهائي لمفهوم الله الذي تتجمع عنده كل الطرق الصعبة والمبهمة للعقيدة الإنجيلية، إن التقاء الفكر اليوناني والعقيدة المسيحية ليس مصادفة فلقد كانت رؤية القديس باولوس للوجه المقدوني (في المنام) والذي صرخ فيه: تعال إلينا لتساعدنا، هذه الرؤية كانت دليلا على التقارب الداخلي بين العقيدة المسيحية و(هذه) الأسئلة اليونانية. لقد كان هذا التقارب قائما منذ زمن بعيد، فالاسم الغامض لله الذي أطلق عليه عند شجرة الشوك المحترقة (شجرة الطور) والذي ميزه عن كل الآلهة ذوي

الأسماء الكثيرة والذي يخبر عن وجوده فقط كان نقضا لمفهوم الأسطورة مثل ما كانت محاولات سقراط لهدم الأساطير (الدينية) وتعديها، هذا التقارب الذي بدأ عند شجرة الشوك يتحول في العهد القديم (بعد ذلك) وفي فترة المنفى (البابلي) إلى المفهوم الأكثر نضجاً للإله الغير مقيد بأرض أو قوم رب السماء والأرض رب إسرائيل الذي يعرف نفسه بالكلمة البسيطة: (أنا هو) مع هذه الطريقة الجديدة لمعرفة الله بدأت عملية الاستنارة التي تظهر بشكل واضح في الاستهانة والتقليل من قيمة كل الآلهة الأخرى التي تصنعها يد البشر. وهكذا دخل الاعتقاد المسيحي المرحلة الهليسنتية، مع كل التناقض البادي بينه وبين الساسة الهليسنتيين الذين كانوا يريدون إجباره على الخضوع للوثنية، وهو في أعماقه قريب للفكر الهليسنتي وقد ظهر هذا بعد ذلك في الكتابات الحكيمة المتأخرة. فنحن نعلم اليوم أن الترجمة السكندرية للعهد القديم إلى اللغة اليونانية كانت أكثر من مجرد ترجمة للنص العبري الأصلي (وهو أمر يكمن إليه بشكل سلبي أيضاً) فقد مثلت خطوة هامة في تاريخ الوحي وبالتالي نشأة المسيحية وانتشارها. ففيها تركيز واضح على علاقة الاعتقاد بالعقلانية والاستنارة بالدين. لقد تكلم مانويل الثاني بحق من قلب العقيدة المسيحية المنصهر فيه جوهر الفكر الهليستني حين قال: عدم التصرف (بحكمة) يناقض جوهر الله! تجدر الإشارة هنا أن بعض التيارات اللاهوتية التي ظهرت في القرون الوسطي المتأخرة حاولت كسر العلاقة العضوية القائمة بين الفكر الهليسنتي والمسيحية. ففي مقابل ما يسمى بالعقلانية الأوجستينية والتومية نجد دونس سكوتس يتبنى الرأي القائل أننا لا نعلم من الله غير إرادته الاعتيادية وأنه لله من وراء ذلك الحرية (في التصرف كما يريد) حتى وإن كان مناقضا لكل ما فعل، هنا تظهر مواقف شبيهة بتلك التي لابن حزم والتي تؤدي إلى فكرة الإله العشوائي الغير مرتبط بالحقيقة أو الخير. فالمغالاة في فهم اختلاف الله عنا وبعده عن إدراكنا يجعل مفهومنا عن الحق والخير بعيدا عن أن يكون مرآة حقيقية لله (وأفعاله) التي (قد) تصبح أسبابها مخفية عنا إلى الأبد. في المقابل تمسكت العقيدة الكنيسية دائما بوجود علاقة شبه حقيقية بين الله والإنسان بين قدرته على الخلق وحكمتنا المخلوقة. بالطبع تأخذ نقاط الاختلاف مساحة أكبر بكثير (بلا نهاية من المرات) من مساحة

الاتفاق إلا أن جوهر التماثل يبقي قائما. فالله لا يصبح أكثر إلهية إن حولنا إلى إرادة عشوائية غير قابلة للفهم، وإنما الإله الحقيقي هو الذي ظهر بحكمته وتصرف (في السابق ومازال) يتصرف بمقتضي هذه الحكمة وبالحب لنا، والحب يأخذ بحق مكانا أكبر من المعرفة ويتيح لنا النظر بأكثر من عين العقل المحض إلا أنه يبقي حبا للإله الحكيم. لذلك كانت الصلاة المسيحية متوافقة مع كلمته الأبدية ومع عقلنا في نفس الوقت. هذا التقارب بين الفكر الفلسفي اليوناني والعقيدة المسيحية لم يكن ذو أثر في تاريخ الديانات فحسب وإنما في تاريخ العالم مما يضعنا في مكان المسئولية. حينما نتأمل هذا الالتقاء لا يعود مستغربا أن المسيحية - بالرغم من كونها نشأت وتطورت في الشرق - وجدت تأثيرها التاريخي الرئيسي والأهم في أوروبا. ويمكننا بالعكس أن نقول: هذا الالتقاء والذي أضيف إليه ميراث روما صنع أوروبا وسيبقي ما يمكن أن نسميه الأساس الحقيقي لها. ظهرت في بداية العصور الحديثة في مواجهة فكرة اتحاد الميراث اليوناني مع العقيدة المسيحية محاولات لاهوتية معاكسة لفصل الأصول الهليسنتية يمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة موجات ترتبط بينها بعلاقات إلا أنها تختلف بوضوح في الأسباب والأهداف في البدء كانت محاولات الإصلاح في القرن السادس عشر مرتبطة بهذه النظرة (المعاكسة) فقد رأى المصلحون خضوع العقيدة لنظام فلسفي مبرمج - غريب عن أصل الاعتقاد - يجعل الكلمة (المقدسة) الحية أسيرة لنظام فلسفي (مصنوع) يبحث السولا سكريبتورا (الفهم بمحض النص) عن أصل الاعتقاد الموجود في النص الإنجيلي، في مقابل ذلك كانت الميتافيزيقا تدخلا من الخارج ينبغي تحرير الاعتقاد منه ليعود صحيحا كما كان. من هذا المنطق تصرف (كانت) حينما صرح (في مقولته الشهيرة) بأنه اضطر أن يلغي التفكير والعقل لإيجاد مكان للعقيدة وربط الاعتقاد بالتالي بالعقلانية البرجماتية ففصله عن الحقيقة ككل.

جاءت الحركة اللاهوتية الحرة في القرن التاسع عشر والعشرين بالموجة الثانية من محاولات الفصل والتي يعتبر أدولف هارناك أفضل ممثليها، وقد كانت في الوقت الذي بدأت فيه الدراسة وفي أيامي الأولى بمهنة التدريس هذه الأفكار تؤثر بشدة حتى في

الأوساط الكاثوليكية ومثلت تفرقة باسكال بين إله الفلاسفة وإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب نقطة البداية لها. وقد تطرقت أولى محاضراتي كأستاذ (بالكلية) إلى هذه التفرقة وحاولت أن أتعمق فيها. لا أريد هنا أن أدخل في تفاصيل هذه المحاولة وإنما أريد أن أبين فقط الفرق بين الموجة الأولى والثانية من محاولات الفصل هذه. في صلب فكرة هارناك محاولة الرجوع إلى يسوع الإنسان ورسالته البسيطة التي تسبق كل الأفكار اللاهوتية والفلسفية وتمثل قمة التطور الديني للبشرية. تخلى يسوع عن الطقوس ليتمسك (بالجوهر) الأخلاقي. إنه يمثل أبا لرسالة أخلاقية رءوفة بالإنسان يمكن ربطها مرة أخرى بالعقلانية حينما تنزع منها العناصر اللاهوتية والفلسفية مثل الاعتقاد بألوهية المسيح والتثليث. هذه النظرة التاريخية النقدية للعهد الجديد أرجعت الدراسات اللاهوتية مرة أخرى إلى حظيرة الجامعة: فقد أصبحت السمة التاريخية غالبا عليها وبالتالي قوانين العلم الصارمة وأصبح كل ما يمكن معرفته عن هذا الطريق من حقائق عن يسوع ممكنا في نطاق العلم العملي الجامعي. في خلفية هذا الفكر نجد النظرية النقدية الحديثة للعقلانية والتي فاقت النقد الكانتى فافترضت - باختصار- نوعا من التوحد بين الأفلاطونية أو الكارتيزية من ناحية وبين النظرة التجريبية من ناحية أخرى. في الناحية (الأفلاطونية) ينبغي علينا أن نفترض البنية الرياضية للمادة - أو عقلانيتها الداخلية - والتي تسمح لنا بفهمها واستخدامها وفي الناحية الأخرى - التجريبية - تمثل التجربة الوسيلة الوحيدة للتوصل إلى الصدق أو الخطأ (وما يمكن أن نسميه) الحقيقة. وتصاغ وجهات النظر عن طريق التوفيق بين هذين القطبين فنجد المفكر مونود مثل - والمشهور بفكرة العلمي الإيجابي - يعتبر نفسه أفلاطونيا تماما.

هذا النقاش يحمل معه اتجاهين هامين بالنسبة لنا. فبالتوازن الحاصل بين الرياضيات والتجربة فقط يتم تعريف ما نطلق عليه (اليوم) اسم العلم. وكل ما يريد أن يصبح علما يتعين عليه أن يلتزم بهذا المقياس. وهكذا تحاول الأشياء المرتبطة بالإنسان مثل التاريخ وعلم النفس والاجتماع والفلسفة أن تقترب من قانون العلوم هذا. وهام أيضا أن نلاحظ أن هذه الطريقة تلغي (عملية) المسألة الإلهية أو تعتبرها في

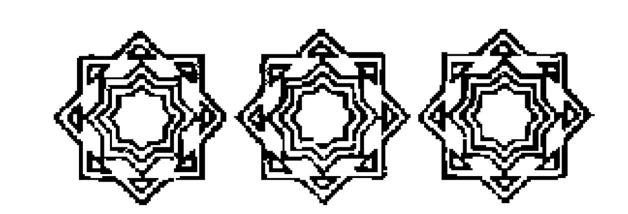
مرحلة ما قبل العلم وهي بهذا تقلص مجال العلم والعقلانية. كل محاولات رد اللاهوت إلى (العلم) (حسب تعريفه السابق) لا تترك من المسيحية سوى جزءا هزيلا. بل ينبغي لنا أن نقول أكثر: إنها لا تترك من الإنسان سوى جزءا بسيطا. فالأسئلة الإنسانية الهامة عن (وجودنا) ومن أين وإلى أين الأسئلة المتعلقة بالدين والأخلاق لا تجد لها مكانا في (العلم) وتضطر إلى النزوح (من المجال الموضوعي) إلى نطاق الخصوصيات. الخاص الذي يحدد عندها بتجاربه (المحدودة) المقصود من الدين ويقوم (ضميره) وحده بمهمة الرقابة الأخلاقية. وهكذا تفقد الأخلاق، ويفقد الدين وظيفته الاجتماعية وينحدر إلى الفوضى. هذا الوضع خطر على البشرية ونراه في الانحدارات والصراعات بين العقلانية والدين والناشئة عن تقليص مساحة العقلانية وصرفها عن (الاضطلاع) بمشاكل الدين والأخلاق. وقد ثبت (في الأونة الأخيرة) عدم كفاية محاولات بناء الأخلاق على أسس التطور الاجتماعي أو علم النفس. قبل أن أصل إلى الختام أريد أن أتكلم عن موجة الفصل الثالثة والتي نعشيها الآن. فبعد الالتقاء مع حضارات العالم المختلفة بدأ الحديث عن أن الاندماج اليوناني المسيحي القديم كان (تنميطا) معينا للمسيحية وصبغا لها بصبغة حضارة معينة لا داعي لأن تلتزم بها باقي الحضارات (المعاصرة). (ويزعم هذا الرأي) أنه من حق الحضارات المختلفة الرجوع إلى أصل العهد الجديد الأول وتركيب (نمطها) الخاص عليه، هذه النظرية ليست خاطئة تماما لكنها مبسطة بشكل شديد وغير دقيقة. فالعهد الجديد مكتوب باللغة اليونانية ويحمل بالتالي معه عناصر الفكر اليوناني التي بدأت في العهد القديم (كما أسلفنا). بالتأكيد هناك مراحل من التطور التي خضعت لها الكنيسة قديما ليست بالضرورة مطلوبة لبعض الحضارات لكن الاختبارات الرئيسية لعلاقة العقيدة بالعقلانية تظل ركيزة أساسية فيها.

بهذا أصل إلى نهاية (كلمتي). أن النقد للعقلانية لا يعني على الإطلاق محاولة الرجوع إلى ما قبل عصر الاستنارة والتخلص من كل إنجازاتها، على العكس تماما: نحن نشكر لها الإمكانيات العظيمة التي أتاحتها والتطور في مفهومنا الإنساني، فالخلق

الأساسي لها هو الانصياع للحقيقة وهو مبدأ مسيحي أساسي. نحن لا نعنى النقد السلبي أو إلغاء العقلانية وإنما زيادة مساحتها.(فالكل) يرى الأخطار المرتبطة بالإمكانيات العظيمة التي أتاحتها ويتساءل كيف يمكن التحكم بها، نحن نريد أن لا تقتصر العقلانية على الفكر التجريبي بل تنفتح لتضم مساحات أوسع. لا ينبغي أن تقتصر دراسة اللاهوت على الجانب التاريخي بل يجب أن تكون لاهوتا حقيقيا يعبر عن البحث العقلاني في أصول الاعتقاد ويمكنه بالتالي الاشتراك في النقاش العلمي بالجامعة. كما يمكنه أن يضطلع بالتالي بمهمة حوار الحضارات التي نحتاجها أكثر من أي وقت مضى. في العالم الغربي يسود الاعتقاد أن منظومة العلم التجريبي هي وحدها التي تتمتع بالعالمية. لكن حضارات العالم (الأخرى) المتدينة تعتبر عدم إدراج الله في هذه المنظومة مخالفا لأهم مبادئها. العقلانية التي تضع مسائل الدين والله في مرتبة متأخرة لا تملك إمكانية الحوار مع الحضارات الأخرى. فالعلم كما ذكرت يحمل الفكر الأفلاطوني معه ويفترضه ليتمكن من بناء تجربته عليه. والسؤال عن السبب (في وجود هذا الهيكل المفترض للكون) ينبغي أن ينقل إلى مستوى آخر من الحكمة: إلى الفلسفة واللاهوت. وعلى الفلسفة واللاهوت الاستعانة بمنابع المعرفة الموجودة في الميراث الحضاري الديني للإنسانية والمستقاة بالذات من المسيحية، وتحضرني هنا كلمة لسقراط - وقد كان منخرطا في الكثير من النقاشات السفسطائية - يقول فيها أنه يفهم أن يكره الإنسان (العاقل) أي نقاش فلسفي بعد هذا الكم (الهائل) من الأخطاء ويحجم طوال حياته عن التفكير في الوجود. لكنه يكون بهذا أضاع ذاته، والغرب مهدد منذ زمن بعيد بكراهية الخوض في الأسئلة المصيرية ويتهدده لذلك ضرر جسيم. واجب اللاهوت ينبغي إذا أن يكون الشجاعة في توسعة مجال العقل في زمننا هذا: (عدم التصرف بحكمة يناقض جوهر الله) هكذا كان رد القيصر على مجادله الفارسي النابع من صلب عقيدته المسيحية. وهكذا ينبغي لنا أن ندعو للحوار بين الحضارات: في رحابة العقلانية الواسعة. هذه العقلانية التي تمثل أهم واجبات الجامعة في إيجادها أولاً.

يقول الله (ﷻ) في سورة إبراهيم:

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة إبراهيم٢٦ -٣٠)



التعريف بالبابا بنديكتوس السادس عشر

اسمه: (جوزيف ألويس رايتسنيجر) ولد عام ١٩٢٧م في ولاية (بافاريا) في جنوب ألمانيا.درس الفلسفة وعلم اللاهوت ثم قام بتدريسه في جامعة (فريغنسبورج) حصل على درجة الأستاذية عام ١٩٧٥م واشتغل بالتدريس في الجامعات. وكان قد أصبح قسيساً في مدينة (ميونخ) عام ١٩٥١م. وفي عام ١٩٨١م أصبح مساعداً للبابا السابق (يوحنا بولس الثاني) وفي عام ٢٠٠٢م أصبح رئيساً لمجمع الكرادلة، ثم اعتلى كرسي البابوية في يوم ١٩/ ٤/ ٢٠٠٥م تحت مسمى البابا (بنديكتوس السادس عشر) وهو سادس بابا ألماني يشغل ذلك المنصب منذ إنشائه.

بنديكتوس وبنتاتيكوس:

بنديكتوس هو الاسم المترجم إلى اللغة العربية والذي اتخذه البابا اسماً له بدلاً من اسمه – جوزيف.

بنتاتيكوس تعني باللغة اليونانية (الشريعة) أو التوراة أو الأسفار الخمسة[1].

بعض الإدانات لتصريحات بابا الفاتيكان:

و على الفور أدت تصريحات البابا إلى ردود أفعال احتجاجية غاضبة في العالمين العربي والإسلامي وكثير من دول العالم منها على سبيل المثال:

إن انتشار الإسلام بالسيف تهمة مستهلكة وقديمة وتكفى نظرة واحدة منصفة إلى صفحات التاريخ الإسلامي المشرقة للتأكد من بطلانها، إن الدين الذي اعتبره البابا جاء بالشر ولم يعط مساحة للعقل هو الدين الذي حارب الجاهلية وأقر حرية العقيدة.

د/ محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر الشريف)

وأضاف: تصريحات البابا تدل عن جهل كبير بالدين الإسلامي لقد سكت دهرا

---

(١) عبد السلام محمد: الكتاب المقدس في الميزان صـ٩٧ – مطابع الوفاء بالمنصورة ١٩٩١م.

ونطق كفرا والأسف وحده لا يكفى لابد أن يعتذر بابا الفاتيكان، وأن يكون الاعتذار علنا، وأنه لم يكن يقصد توجيه أية إهانة لدين الإسلام أو الرسول الكريم..

د/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف

لقد كنا ننتظر من أكبر رجل دين في العالم المسيحي أن يتأنى ويتريث إذا تحدث عن دين عظيم كالإسلام، استمر أكثر من ١٤ قرنا من الزمان ويتبعه نحو مليار ونصف المليار من البشر، ويمتلك الوثيقة الإلهية الذي يتضمن كلمات الله الأخيرة للبشرية وهي القرآن الكريم، فهل البابا يريد أن نغلق باب الحوار ونستعد لحرب صليبية جديدة.

الشيخ / يوسف القرضاوى - رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

إن هذه التصريحات التي صدرت عن رأس الديانة الكاثوليكية في العالم، تمهد لحرب صليبية جديدة يشارك فيها رجال الدين وليس السياسيون فقط. مثل جورج ديبل بوش الذي أعلن أكثر من مرة أنه يقود حملة صليبية ضدنا!.

د/ نصر فريد واصل - مفتى مصر سابقاً

نحمل بابا الفاتيكان مسئولية أى تطرف أو إرهاب سوف يحدث ضده لأن التطرف الذي أخرج هذا التصريح لا يرد عليه إلا تطرف من الطرف الآخر..

د/ الشريف حاتم العونى. المشرف العام على اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء.

إن تصريحات البابا تمثل أفكارا متعصبة وهذه الإساءة مفاجئة غير متوقعة..

الهيئة العامة للأوقاف وشئون الزكاة - ليبيا

لقد جاءت تصريحات بابا الفاتيكان منحرفة عن المسار الذي التزم به سلفه البابا يوحنا بولس الثاني في السعي إلى التقريب بين الديانات التوحيدية وتشجيع الحوار بينها..

الشيخ / عبد الرحمن شيبان - رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

إن تصريحات بابا الفاتيكان مؤسفة وتنم عن جهل فاضح بالإسلام، وبقيمه ودوره الإيجابي في بناء الحضارة الإسلامية..

حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية

إن تصريحات البابا جزء من الحملة ضد الإسلام وإن اعتذار البابا عن تلك التصريحات لو حدث لا يعنى شيئا ..

حسن الترابى.. الأمين العام لحزب المؤتمر الشعبي السوداني

أدعو البابا إلى تحمل مسئولية ما قاله والعمل على تصحيح هذا الخطأ مع عدم تجاهل موجة الغضب الإسلامية..

عبد الله بدوي.. رئيس وزراء ماليزيا

إن تصريحات البابا تتنافى مع مسئولياته كزعيم ديني كبير وتستند إلى استنتاجات سياسية..

متحدث باسم الخارجية الإيرانية

إن تصريحات البابا تمثل نوعا من إعلان الحرب على الإسلام والعالم الإسلامي، وأن المسلمين يرون في هذه التصريحات إهانة لهم وتحريضا على الكراهية..

عماد الأصفر.. رئيس مسجد مدينة ليل الفرنسية

لو كان البابا لا يعنى ما قاله فقد كان عليه ألا يقوله..

منزلة بولا أودين. العضوة المسلمة في مجلس اللوردات البريطاني.

إن الكنيسة الكاثوليكية غير مؤهلة لانتقاد الإسلام بسبب تاريخها..

أيمن فريك.. الأمين العام لمجلس مسلمي ألمانيا

البابا يبحث عن مجد شخصي وتحالف مع المسيحية الصهيونية وهو يسيء للمليار ونصف المليار من المسلمين..

د/ زغلول النجار

قال الشيخ صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام:

(إن تصريحات البابا بنديكتوس السادس عشر عن الإسلام جاءت نتيجة الغيظ من انتشار الدين الإسلامي، وقال في خطبة عيد الفطر في المسجد الحرام بمكة المكرمة: - هلاَّ تساءلتم لماذا تُثار هذه القضية بين وقت وآخر؟! إنه من المؤكد أنها لم تثر إلا لما

امتلأت بها قلوب المراقبين والمتابعين من الخصوم من الغيظ على انتشار هذا الدين وتجاوزه لكل الحدود والحوافز) وأضاف: (من المعلوم لدى كل عاقل أنه لايمكن لأي مبدأ من المبادئ مهما كانت قوته وجاذبيته أن ينتشر بسيف أو دبابة أو متفجرة).

وقال مبشراً: (سوف يسود النظام الإسلامي على الرغم من ضعفه الحالي لأنه الدين الوحيد الذي يمتلك قوة شمولية).

أما عن الجهاد فقد قال: (إن جهاد محمد (ﷺ) وجهاد أصحابه وأتباعه، كان جهاداً في سبيل الله، نصرة للتوحيد ومنعاً للظلم أن يجتاح الحقوق ومنعاً للقوة أن تمحو العدل) [1].

قال وزير الداخلية الألماني (فولفجانغ شويبله): أنه لا يوجد للغرب أي مبرر للتعاظم والاستكبار على الإسلام وامتدح الدين الإسلامي فقال: إنه يحتوي من التعاليم والمعتقدات ما يجعله أهلا للاستماع إليه.

وانتقد وزير الداخلية الألماني ما يقال ضد الإسلام: (بأنه استكبار ديني وحضاري، عانت منه أوروبا خلال القرون الوسطي وأوائل القرن الحديث) [2].

أنا لا أدعوا بابا الفاتيكان إلى الاعتذار، ولكن أدعوه لمعرفة الحقيقة واعتناق الدين الإسلامي، وأن اعتذاره لن ينفعنا وعدم اعتذاره لن يضرنا، فنحن المسلمين نعرف الطريق الذي نسير فيه ونعرف أين هو الحق؟! .

محمد معمر القذافى. أمين اللجنة الشعبية للشركة العامة للبريد.

و الاتصالات اللاسلكية واللاسلكية. ليبيا.

إن التحمس للدين لا يأتى بمهاجمة غيره من الأديان الأخرى، فهذا الأسلوب يولد انقساما وعداوة.. في حين أن المسيحية تدعوا إلى السلام بين الناس. فالدين يدعوا

---

(١) الشيخ صالح بن حميد - إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة عن منار الإسلام صـ٥٤ - عدد ذي القعدة ١٤٢٧هـ.

(٢) فولفجانغ شويبله - وزير الداخلية الألماني - عن منار الإسلام - عدد ذي القعدة ١٤٢٧هـ صـ ٥٤.

لمحبة الناس جميعا ويحث على كسب الغير وعدم خسارتهم.. إنني أرفض تماما التصريحات التي أدلى بها بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر حول الإسلام، كما أن المسلمين الأوائل حموا الأقباط من الاضطهاد الروماني إبان الفتح العربي لمصر، إن ما يربط أقباط مصر ومسلميها أقوى من أي دسائس ومن يريدون أن يعرفوا سماحة الإسلام عليهم دراسة نموذج التعايش بين الأقباط والمسلمين في مصر طوال القرون الأربعة عشر الماضية..

البابا شنودة الثالث - بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية.

إننا كمصريين كاثوليك نرى أن إخواننا المسلمين في الوطن يتعايشون معنا على الود والرحمة منذ دهور ولا ننسى استقبال الشعب المصري لقداسة البابا الراحل يوحنا بولس الثاني في مصر - فبراير ٢٠٠٠م.

الأب رفيق جريش. رئيس المكتب الصحفي للكنيسة الكاثوليكية بمصر.

أعرب الأنبا يوحنا قلتة. عن عدم رضائه عن تصريحات البابا بنديكت السادس عشر، في المحاضرة التي ألقاها بجامعة دينية في ميونخ وأشار إلى ضرورة استفادة البابا الحالي من الميراث العظيم الذي تركة البابا الراحل يوحنا بولس الثاني من علاقات طيبة مع العالم العربى والإسلامى لنحيا كمسلمين ومسيحيين في أجواء تتسم بالصفاء والمحبة..

الأنبا / يوحنا قلتة - المعاون البطريكى للأقباط الكاثوليك.

اطلعنا بعناية فائقة على محاضرة قداسة البابا بنديكتوس السادس عشر، التي ألقاها على جمع من الأكاديميين في ألمانيا في الجامعة التي قام بالتدريس فيها من (١٩٦٩ إلى ١٩٧٧)، ومنها يتضح أن العبارات التي قالها، وأثارت استنكارا شديدا في الأوساط الدينية والمدنية الإسلامية، ليست أبدا كلماته هو، أو تعبيرا عن رأيه أو فكره أو حكمه هو على النبي محمد أو على الإسلام..

الأنبا. أنطونيوس نجيب - بطريرك الإسكندرية للأقباط الكاثوليك:

هذه التصريحات البابوية، لم تكن مجرد زلة لسان، ولم تجر على لسانه عفو الخاطر، وإنما كانت قصداً مقصوداً لها نتائجها، كما أن لها مقدماتها. فمقدماتها تجري الآن على أرض الواقع منذ سنوات: في أفغانستان والعراق ولبنان فضلا عن فلسطين. وهي بالتالي تتماشى في خط واحد متصاعد، مع تصريحات الرئيس الأمريكي، الذي أعلن بدء الحرب الصليبية الثانية على المسلمين، ولذا فإن البابا لن يعتذر، ولن يصدر منه ما يشير باحترامه للدين الإسلامي وللمسلمين. فهو الناطق باسم قوم يرون في إراقة دماء المسلمين تقرباً إلى الله، ويعتقدون أن القضاء على الإسلام وعلى كل الشعوب الإسلامية قضاء على الإرهاب، وهو سليل - أي البابا - قوم أراقوا دماء المسلمين على أرضهم في حملتهم الصليبية الأولى وإلى الآن يرفضون الاعتذار حتى بالكلام فقط - على كل هذه الجرائم البشعة. (الشيخ / صديق بكر عطية - من علماء الأزهر الشريف - مجلة الأزهر عدد ذي القعدة١٤٢٧ هـ صـ١٧٠٧).

بعد ستة أشهر من مشكلة الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول (ﷺ) وبعد خمس سنوات على هجمات (سبتمبر ٢٠٠١م) في الولايات المتحدة، كنا ننتظر من البابا خطابا أكثر اعتدالا حول الدين الإسلامي وتأكيدا لرفضه الخلط بين الإسلام والتطرف الإسلامي..

صحيفة لوموند الفرنسية.

وعن العقل والإسلام قالت الصحيفة السابقة:

(إن القرآن الكريم ذكر كلمة العقل أكثر من ٤٥ مرة في آياته وسوره وإنه عبر تاريخ الإسلام كان هناك مفكرون ومصلحون لم يترددوا أمام قضايا العقل مثل ابن رشد والطبرى)..

صحيفة لوموند الفرنسية.

ما أعلنه بابا الفاتيكان من إساءة للإسلام والمسلمين، وازدراء للنبي الأمين (ﷺ) لهوا امتداد للحرب الصليبية التي تشن ضد الإسلام والمسلمين والتي يقودها جورج دبليو بوش ودول الغرب معلنين حقدهم البغيض للإسلام والمسلمين..

مجلة التوحيد الإسلامية - مصر - عدد رمضان ١٤٢٧ هـ.

إن تصريحات البابا جاءت مرتبة ومدروسة ومخطط لها، وليس الأمر من قبلنا سوء فهم لكلامه..

مجلة التوحيد - العدد نفسه.

لم تكن تصريحات بابا الفاتيكان مفاجأة، فهي متفقة تماما مع مواقف "كنيسة الكاثوليكية. وهي تعد حربا صليبية جديدة وهي متفقة تماما مع السياسات الغربية والأمريكية ضد كل ما هو عربي وإسلامي.

و أضاف: إن تصريحات البابا لن تكون الأخيرة.. وأن البابوية الكاثوليكية هي صاحبة محاكم التفتيش التي أحرقت للمفكرين كتبهم في العصور الوسطى في أوروبا، وأنها هي التي دفعت أوروبا للحروب الصليبية. وهي التي دعمت محاولات التبشير ضد المسلمين. وأنها تقول دائما أنه من ليس على مذهبها فهو من الهرطقة. وأن ما يسمى بحوار الأديان أو حوار الحضارات هو مجرد حرث في البحر..

المؤرخ د/ قاسم عبده قاسم .

إن بابا الفاتيكان ألقى خطابا سياسيا في جامعة ريجينسبرج الألمانية، ولم يلق محاضرة أكاديمية كما يدافع البعض وليس من شأن المتحدثين هنا البحث عن الدوافع لأن تلك وظيفة الباحثين والمعلقين السياسيين..

د/ محمد مخاوى .

أستاذ اللغة والحضارة الإيطالية بجامعة محمد الخامس المغربية.

إن البابا بنديكتوس مثله مثل كثيرا من ساسة ومثقفي اليمين الأوروبي، قلق من تزايد عدد المسلمين في أوروبا كما يشعر رجال الدين الأوروبيين القلق من التزام المسلمين العلني بأداء شعائرهم دون خجل مثلما هو حال القلة القليلة من مسيحي أوروبا الباقية على التزامها الديني..

بروفسيور - دومونيك بندو سوبر - أستاذ العلوم السياسية بجامعة ساليرينو الإيطالية.

إن بابا الفاتيكان أساء التقدير وأخطأ الفهم بحكم خلفيته، فهو ليس رجل دين

خالص مثل سلفه البابا يوحنا بولس الثاني، ولكنة كان أستاذا جامعيا للاهوت ، وبما أنه كان يتحدث يكن سدساً فلكل سدس المال. وعندهما أربعة كما قدَّمنا **(إلاَّ في ثلاث مسائل)** وهي **(المحاباة والسعاية والدَّراهم المرسلة)** أي المطلقة غير المقيدة بثلث أو نصف أو نحوهما. في جامعته القديمة فقد أخذ راحته في الكلام ونسى أنه البابا وعليه أن يزن ما يصدر عنه بميزان الذهب، وإن كان هذا العذر لا ينفى أن البابا بنديكتوس رجل محافظ في كل القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية وسيدخل الكنيسة الرومانية في مشكلات عديدة، بل وسيمحو ما قدمه الباباوات السابقون عليه من أفكار وتفسيرات تقدمية..

بروفسيور/ لويجى مارشيلي ميليوريني - أستاذ التاريخ الحديث بجامعة نابلى الإيطالية

لقد أخطأ البابا عندما تحدث بلغة السياسة في ساحة الدين، وحاول الدفاع عن العقل فامتهن السماء. وحاول إعلاء الخلق فتجاوز في حق الخالق وقبل هذا كله فإن دعاة المحبة والتسامح لا يغرسون أبدا أشجار الحقد والكراهية بين الشعوب..

فاروق جويدة - الأهرام (٢٢/ ٩/ ٢٠٠٦م)، صـ ٤١.

ليس من حق بابا الفاتيكان أن يهز استقرار العالم، ويزعزع أمن الشعوب ويسيء العدوات بين ملايين البشر حسبما يشاء ووقتما يريد؟!.

و إذا كان قداسته قد استقر في محاضرته على: (أن التصرفات التي لا يحكمها العقل تتناقض مع جوهر الله). فإن الإساءة إلى عقيدة المليار ونصف مليار إنسان هي تصرف يرفضه العقلاء، و بالتالي يتناقض مع جوهر الله..

د/ أحمد الطيب.

إن مقولة أن البابا كان يستشهد بمقولة غيره في نطاق محاضرته، حجة خائبة، لأن الاستشهاد دون تفنيد أو اعتراض هو قبول بما قيل وإيمان به، وبالتالي فهو يدخل في باب الفتوى الدينية المحرضة ضد الإسلام والمسلمين ، والمولدة للعنف الدامي والمؤيدة إذن لمقولة الحرب الشاملة ضد الإسلاموفاشيزم ، التى يرددها الرئيس الأمريكي وحواريوه، فيشعلون الدنيا عنفاً وإرهاباً!!.

صلاح الدين حافظ - مفكر مصرى - صحيفة الأهرام ٢٠/ ٩/ ٢٠٠٦م صـ١١.

إن البابا بنديكتوس لا يستطيع أن يتزرع للطبيعة الأكاديمية للمناسبة والمكان لتقرير خطئه لأنه ببساطة خالف كل الأصول الأكاديمية، عندما اكتفى بالاستشهاد بمأخذ الإمبراطور البيزنطي على الإسلام وعلى رسوله (ﷺ) ولم يكلف خاطره طبقا للأصول المنهجية أن يذكر رد الطرف الثاني (المسلم) في المناظرة على هذا الإمراطور وكأستاذ جامعي سابق يتحدث في حرم الجامعة التي عمل فيها أستاذ قبل دخوله سلك الكهنوت، يعلم البابا كما تقول الدكتورة كوراو أنه كان عليه أن يورد الحجتين معا، وعليه نرى أن دوافع الرجل للتهجم على الإسلام لم تكن بريئة ولا عفوية..

د/ فرانشيسكا كوراو - أستاذ اللغة العربية والعلوم بجامعة نابولي.

إن بابا الفاتيكان رجل محافظ بطبيعته وتاريخه، وهو يكن مشاعر غير طيبة نحو المسيحيين غير الكاثوليك وليس فقط ضد المسلمين، لكن فيما يتعلق بالإسلام يشعر بقلق كبير على مستقبل المسيحية والمسيحيين خاصة الكاثوليكية في الشرق الأوسط ويرى أن المد الإسلامي الحالي في هذه المنطقة يهدد هذا المستقبل ولذا فهو كان حريص على الحديث علنا ضد الإسلام من باب شد أزر المسيحيين على حد تفكيره..

البروفيسور / هنري لاوران.أستاذ الأدب والحضارة بالكوليج دى فرانس - بباريس.

حتى بابا الفاتيكان يتهور كالسياسيين..

مفيد فوزي - صحفي مصري - مسيحي.

كشفت استخلاصات البابا بنديكتوس من الأمثلة التي ساقها عن الإسلام في محاضرته عن (الدين والعقل) من روح تخاصمها الشفافية، والتسامح جاءت من أعماق القرون الوسطى لتعيد إلى الأذهان صورة بابوات صكوك الغفران وغفلت عن واجبها المقدس في نشر رسالة المحبة والتعايش والتآلف بين الأديان والحضارات، وتورطت في مقارنات سخيفة أدت إلى إنكار حجم الإنجاز الإنساني والحضاري والثقافي الضخم الذي جاء مع رسالة الإسلام لينهى عصورا من العبودية والاستعلاء و امتهان حق المرأة ويقيم العدل والإحسان وينصر الضعفاء والمساكين، وينهى كل

صور التميز بين البشر في اللون أو الثروة والجاه، لأن الجميع في نظر الإسلام سواسية كأسنان المشط..

مكرم محمد أحمد - مفكر مصرى - صحيفة الأهرام- ١٨/ ٩/ ٢٠٠٦م صـ١٠.

إن الإسلام أصبح الشغل الشاغل لغير المسلمين ليعتبروه العدو الأخضر (كما يصفونه) بعد تفكك الاتحاد السوفيتي (العدو الأحمر) لانتشاره في أوروبا، وإن الإساءات الموجهة إلى الإسلام ونبيه ليست جديدة على الغرب الذي دائما ما يتفنن في ابتكار طرق عداء للعرب والمسلمين خاصة مع علم الكثيرين ومنهم قادة الغرب لنوايا البابا الجديد التي تختلف جذريا عن ميول سابقيه، وأكبر دليل على ذلك مؤلفات البابا بنديكتوس السادس عشر..

الشيخ فرحات المنجى - من كبار علماء الأزهر.

إن بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر مفتون بالدور الذي قام به سلفه في القضاء على النظم الشيوعية في أوروبا الشرقية وهو يعلم بالقطع أن البابا السابق البولندي الأصل تعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية تحت رئاسة الرئيسين السابقين رونالد ريجان، وجورج بوش الأب، في هدم إمبراطورية الشر السوفيتية والنظم العميلة لها في أوروبا الشرقية والوسطى، وبما أن العدو الأيدلوجي الجديد في نظر اليمين الغربي هو (الأصولية الإسلامية) أو (الصحوة الإسلامية)، فإن بنديكتوس كان عليه من وجهة نظره أن يدلى بدلوه في هذه المعركة، مستغلا مناخ الهلع الأوروبي والغربي من ظاهرة الإرهاب المتدثر بأيدلوجية إسلامية، ومستغلا ما يسمى بالحرب العالمية على الإرهاب.

عبد العظيم حماد - مفكر مصرى - صحيفة الأهرام ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٦ صـ ١٠.

إن ما تفوه به بابا الفاتيكان هو حلقة في الصراع الثقافي الذي نحاول ترشيده وتحويلة إلى حوار خلاق بين شمال وجنوب المتوسط ولا يخلو من نبرة الاستعلاء القديمة التي نعرفها جيدا في المغرب العربى، وإلا لكان البابا كرجل أكاديمي تذكر أن القديس توماس دى إكونياس الذي استشهد كمؤسس ثانى للعقلانية المسيحية بعد

القديس أوجستين هذا القديس توماس دى إكونياس كان تلميذا لألبرت الكبير الذي كان بدوره تلميذاً للفيلسوف العربي الأندلسي المسلم ابن رشد .

البروفيسور: محمد بنيس الناقد والمفكر المغربي بجامعة محمد الخامس.

وهكذا أعاد البابا إلى الأذهان تلك الصورة التاريخية الكريهة لرجال الدين حين يعملون لخدمة مصالح السياسيين.

(أسامة سرايا. رئيس تحرير الأهرام - ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٦- صـ٣).

إنه من المحتمل أن يكون مانويل قد كتب قصته التي استشهد بها البابا في محاضرته لإثارة النعرة المسيحية وإقناع الأوروبيين بحملة صليبية جديدة.

(يوري افنيري ..كاتب إسرائيلي)

أسأل الحبر الأعظم: من أيقظ أوروبا من ظلمات العصور الوسطي غير التراث الحضاري لعلماء المسلمين؟!

(د/ آمنة نصير، أستاذ العقيدة والفلسفة جامعة الأزهر)

المواطن الأوروبي معذور لأنه لا تصل إليه المعلومات الحقيقية ولا الحقائق بل يصله الزيف والتضليل، ومحاضرة البابا تؤثر في ملايين الأوروبيين، ولا يكفي الرد بلغتنا لأنفسنا، بل يجب ترجمة الردود وتوصيلها للمواطن الأوروبي بصورة واضحة.

(د/ عبد الغفار حامد هلال - عميد كلية اللغة العربية جامعة الأزهر سابقاً).

اسمح لي أيها البابا المتسرع أن أقول لك: (إنني أوقن أنك لم تدرك ولن تستبين مجلى شمائله (ﷺ) مهما قيل لك عن خلقه وسمته وحلمه وكرمه، فغاية ما تدركه أنت وبطارقتك أنك تستبعد أن تكون ثمة شخصية حقيقية بهذا الخلق الرفيع وعلى هذا السمت الكريم العظيم!! ومازال في تصوري - إلا أنك لم تعرف النبل الحقيقي النابع من داخل النفس النقية!! إنما تعرفه - إن كنت عرفته - سلوكاً اجتماعياً وليد دبلوماسية مادية نكده، كم يعاني العالم منها اليوم كما عانى بالأمس؟!!.

(الشيخ الطاهر الحامدي- من علماء الأزهر).

ولم تقف الصحف الغربية صامتة إزاء ما صدر عن البابا بل وجهت إليه سهام النقد وفتحت عليه النار، ليس دفاعاً عن الإسلام بالطبع ولكن لأنه لم يكن من المنطقي صدور مثل هذه الكلمات من رجل يحتل قمة الكاثوليكية، فقالت بعض الصحف:

(إن تصريحات البابا خلقت انقسامات كبيرة وسط الكنيسة بين الكاثوليك التقليديين والتقدميين المعتدلين وحتى أولئك الذين كانوا راضين عن البابا غيروا نظرتهم الآن مندهشين من الطريقة التي كشر فيها البابا عن أسنانه العجوزة).

(عن صحيفة Sunday Times البريطانية تحت عنوان البابا يواجه النبي).

وفي مقارنة عقدتها صحيفة (ذي أوبزرفر) البريطانية بين بنديكتوس السادس عشر ويوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان السابق قالت:

(إن بولس الثاني كان يتمتع بموهبة طبيعية تمكنه من معرفة وقع كلماته التي يلقيها)، فلم يصدر عنه مطلقاً كلمات مثل: (شر أو لا إنساني) في وصفه للإسلام مثلما فعل البابا الحالي، الأمر الذي عرضه لهجوم كبير من جانب وسائل الإعلام وآثار غضب المسلمين.

(صحيفة الأوبزرفر البريطانية).

إن ما فعله البابا ليس سوى نوع من الاستفزاز لمشاعر المسلمين ولا يمكنه سوى أن يلوم نفسه وحدها بشكل أساسي.

(صحيفة دي فولكسكرانت - الهولندية).

إن الحادث نكسة للتسامح بين الديانات، وأن البابا الحالي جوزيف راتسينجر - بنديكتوس السادس عشر - أفسد في كلمة واحدة كل عمل سلفه.

(صحيفة لموندو. الأسبانية).

إن هذا البابا البالغ من العمر (٧٨عاماً) يرتكب هفوات متتالية منذ تعيينه، وستشكل لدينا في نهاية المطاف قناعة بأنها ليست عرضية، بل تكشف عن فكره الدفين. (صحيفة ليبراسيون الفرنسية).

كان يتحتم على البابا أن يصرف النظر عن الاقتباس من حوار قديم، فإن النبي محمد (ﷺ) كان شخصية جديرة بالاحترام والتقدير وأن تصريحات البابا قد تعرقل حوار الأديان، وأننا نعرب عن تخوفنا من أن يتطور الوضع بين المسلمين والغرب إلى حد التأزم..

(صحيفة البروفيسور أورسولا شبولر شتيجمان - الألمانية).

إن البابا أراد هنا ارتداء ثوب البروفيسور: واعتقد أنه يستطيع أن يتجرد من منصب البابا ولو لمدة نصف ساعة. وهذا لم يكن سوى سذاجة سياسية.

(رنج ايفل - رئيس وكالة الأنباء الكاثوليكية).

إن رد الفعل السريع والواضح للفاتيكان وتراجعه لتفادي تداعيات الأزمة، سببه أيضاً الانتقادات الحدة التي تلقاها من الفاتيكان نفسه بعد أن انتهت الكنيسة الكاثلوكية إلى أن بنديكتوس قد اقترف هنا خطأ واضحاً لا يمكن إنكاره.

(صحيفة لاريبوبليكا.. روما)

و أشارت بعض المصادر الإيطالية بقولها:

إن المسئول عن هذه الأزمة هم صقور الفاتيكان وعلى رأسهم الكاردينال الألماني فالتركاسبير فهم الذين أعدوا الخطاب الذي ألقاه البابا بالجامعة الألمانية من أجل إقناع الكاثوليكيين والعالم المسيحي بأن موقف جمهورية الفاتيكان من الإسلام واضح ومخالف للبابا الراحل يوحنا بولس الثاني، وهو ما لا يخلو من دلالة في الإشارة لتيار يبدو وكأنه متحالف مع المحافظين الجدد الذين يحكمون الولايات المتحدة حاليا.

عن مجلة التصوف الإسلامي.. (العدد ٣٣٤/ نوفمبر ٢٠٠٦ - شوال ١٤٢٧هـ).

لقد ادعوا أن:

ما قاله البابا زلة لسان.. ولا ندري لماذا تزل ألسنتهم أثناء الحديث عنا فقط ولا تزل تجاه الآخرين فالحرب الصليبية التي أعلنها بوش زلة لسان!.

و تفوق الحضارة الغربية مع الإسلامية كما قال برلسكونى رئيس وزراء إيطاليا زلة

لسان! والفاشية الإسلامية التي تحدث عنها بوش زلة لسان!. إن القراءة الصحيحة لتلك التصريحات حتى من الناحية السياسية تدلك على أن البلهاء فقط هم من يقتنعون بها.لأن مثل تلك التصريحات حينما تقرأ في سياقها الظرفي سواء كان سياسيا أو غيره فإن الأمور تتضح، ويفهم أن المواقف المعلنة غير القناعات التي يكنها هؤلاء، ومع ذلك فإن الله (ﷻ) يأبى إلا أن يفضح خبيء صدورهم ليكون إعجاز النص الإلهي الذي يتحدث عن ذلك فيقول الله (ﷻ): ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ .(آل عمران ١١٨).

لقد بات الأمر واضحا جليا في أن القضية ليست جهل بالإسلام أو في كلمات أسيء فهمها، أو زلة لسان، وإنما هي إشارة خضراء من أعلى سلطة دينية غربية تذكرنا بدعوة أوروبان الثاني بابا الفاتيكان في مؤتمر كليرمونت، وكذلك بمباركات البابوات القدامى للحروب الصليبية والتي يسمونها الحروب المقدسة؟!.

إسلام عبد العزيز - التبيان العدد ٢٧ - نوفمبر ٢٠٠٦ م - صـ ٧٤ - شوال ١٤٢٧ هـ.

علماء ومفكرون غربيين يتصدون لمثل هذا الهراء.

بالرغم من الأباطيل والمفتريات التي حرص متعصبو الغرب ورهبانه على نشرها ضد الإسلام ورسوله ، فإن ضياء الحق ونوره أقوى من أن تخفيه ظلمات الباطل والتعصب ومن ثم فقد قام كثير من علماء الغرب ومفكريه وفلاسفته بدافع من الأمانة العلمية إلى الدفاع عن الإسلام ودحض المفتريات التي ألصقت به، بدافع من الأحقاد الطائفية أو المطامع السياسية، أو الجهل والتعصب الأعمى فالفيلسوف الروسي تولوستوى الذي أعلن صراحة إعجابه بالإسلام وإكباره لرسوله، فكان جزاؤه على ذلك أن حرمه البابا من رحمة الله...!!.

قال تولوستوى: (وخلاصة الديانة التي نادى بها محمد هي أن الله واحد لا إله إلا هو. ولذلك لا يجوز عبادة أرباب كثيرة وأن الله رحيم عادل وأن مصير الإنسان النهائي متوقف على الإنسان نفسه، فإذا سار حسب شريعة الله وائتمر بأوامره واجتنب نواهيه فإنه يظفر بالقوة في الحياة الدنيا ويؤجر حسنا في الحياة الأخرى. وأن كل شيء في هذه

الدنيا زائل ولا يبقى الإ الله ذو الجلال وأنه بدون الإيمان بالله وإتمام وصاياه لا يمكن أن تكون حياة حقيقية وأن الله تعالى يأمر الناس بمحبته ومحبة بعضهم، ومحبة الله تكون في الصلاة، ومحبه الناس في مشاركتهم في السراء والضراء ومساعدتهم والصفح عن زلاتهم وأن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر عليهم أن يبذلوا وسعهم لإبعاد كل ما من شأنه إثارة الشهوات النفسية، والابتعاد أيضا عن الملذات الأرضية، و إنه يتحتم عليهم ألا يخدموا الجسد ويعبدوه بل يجب عليهم أن يخدموا الروح والجسد معا ومحمد (ﷺ) لم يقل عن نفسه أنه نبي الله الوحيد بل آمن أيضا بنبوة موسى وعيسى، وقال (ﷺ): (إن اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم)..

و لم يقف هؤلاء المنصفون من فلاسفة الغرب وعلمائه، عند حد تفنيد الأكاذيب التي نسبت إلى الإسلام ونبي الإسلام، بل لقد اعتنق بعضهم الإسلام صراحة وتسمى بأسماء المسلمين، مثل:

- د/ أرتوكين د/ علم النفس الأمريكي. وقد تسمى بعد إسلامه باسم د/ على كريم.

- المبشر الإنجليزي: جون سنت، الذي تسمى باسم (محمد جون) وكون جمعية المسلمين الإنجليز، وأسلم على يديه كثير من أبناء وطنه..

- أرنست بانرت المستشرق الألماني مدرس اللغات الشرقية بجامعة فينا..

- ألفونس إيتيان دينيه العالم الفرنسي وقد تسمى باسم (ناصر الدين) وكرس حياته للدفاع عن الإسلام[1].

هذا وقد أفرد (توماس كارليل) في كتابه الأبطال فصلا بعنوان (بطل بصفة نبي) قال فيه:

(لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى تلك الاتهامات التي وجهت إلى الإسلام وإلى نبيه..

وواجبنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن

---

(١) المستشرقون والإسلام. زكريا هاشم، صـــ ٢٩٢.

الرسالة التي أداها ذلك الرسول الكريم ما زالت السراج المنير لنحو أربعمائة مليون من الناس)[١].

ويضيف كارليل قائلا :

و الرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون فهو جزء من الحقائق الجوهرية للأشياء. ومحمد (ﷺ) كان ذلك وكان فوق ذلك الرجل العظيم الذي علمه الله العلم والحكمة، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من السماوات العلا..

و يقول الفيلسوف الإنجليزي الشهير جورج برناردشو:

(لقد وضعت دائما دين محمد (ﷺ) موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته المدهشة. فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى إنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس)..

هذا ولقد تنبأ هذا الفيلسوف بأن دين محمد (ﷺ) سيكون مقبولا لدى أوروبا غدا. و قال : لقد بدأ كونه مقبولا لديها اليوم..

و أضاف: لقد صور (اكليروس) القرون الوسطى للإسلام بأحلك الألوان إما بسبب التعصب الذميم أو بسبب الجهل الممقوت .

(لقد كانوا في الواقع يمرنون على كراهية محمد (ﷺ)و كراهية دينه وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح، ولقد درسته باعتباره رجلا مدهش فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية وأنى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة الذين هم في أشد الحاجة إليهما. ولقد أدرك ذلك في القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال (كارليل) و(جوت) وهكذا وجد تحول حسن في موقف أوروبا من الإسلام).

و لكن أوروبا في القرن الراهن تقدمت في هذا السبيل كثيرا فبدأت تعشق عقيدة محمد (ﷺ) وفي القرن التالي ربما ذهبت إلى أبعد من ذلك فتعترف بفائدة هذه العقيدة في

---

(١) حسب تعداد المسلمين في ذلك الحين ويبلغ عدد المسلمين الآن مليار ونصف مليار تقريباً.

حل مشاكلها.. فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي وفي الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومي ومن أهل أوروبا قد دخلوا في دين محمد (ﷺ) حتى ليمكن أن يقال: إن تحول أوروبا إلى الإسلام قد بدأ[١].

و يقول الكونت (هنري كاسترى) الفرنسي:

أما صدق الرسول وسمو رسالته، فقد أخذ كثيرون من رجال الكنيسة والاستعمار يشككون فيها. رغم الوضوح الواضح في صدق الرسول وفي سمو رسالته الإنسانية..

والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي، وقد أعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر الإنسان من الإ تيان بمثلها لفظا ومعنى. آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عباراتها لإقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها. وفاضت عين النجاشي بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبى طالب سورة مريم، وما جاء في حق يحيى (عليه السلام)[٢].

و قال النجاشي ملك الحبشة:

(إن هذا الكلام والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة)..

و قال ملك الروم هرقل الأول لأبى سفيان:

(لو كنت عنده لغسلت عن قدمه)..

و يقول الفيلسوف الإنجليزي كارلايل:

من العار أن يصغى أي إنسان متمدين إلى وهم القائلين: إن دين الإسلام كذب، وأن محمدا (ﷺ) لم يكن على حق، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذبة، أو خديعة مخادع؟ هل رأيتم رجلا كاذبا يستطيع أن يخلق دينا، و يتعهده بالنشر بهذه الصورة؟!!.

إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبنى بيتا من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء.

---

(١) م/ زكريا هاشم زكريا – المستشرقون و الإسلام صـــ ٢٨٥، ٢٨٦.

(٢) أوروبا والإسلام – د/ عبد الحليم محمود، صـــ ٤٥، ٤٦.

فما بالك بالذي يبنى بيتا دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس، وعلى ذلك فمن الخطأ أن تعد محمدا رجلا كاذبا متصنعا، وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق، وما كلمته إلا صوت حق صادق من العالم المجهول، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[١].

و هذا هو اللورد هيدلى الإنجليزي، والذي كان إسلامه ضجة كبيرة لمركزه ومكانته في المجتمع البريطاني، ومن أقواله:

إن تعاليم القرآن، قد نفذت ومورست في حياة محمد (ﷺ) الذي سواء في أيام تحمله الألم والاضطهاد أو في زمن انتصاره ونجاحه، أظهر أشرف الصفات الخلقية التي لا يتسنى لمخلوق آخر إظهارها.

تلك الأخلاق الربانية التي أظهرها النبي الكريم أقنعت العرب بأن حائزها يجب أن لا يكون إلا من عند الله، وأن يكون رجلا على الصراط المستقيم حقاً، وكراهيتهم المتأصلة في نفوسهم حولتها تلك الأخلاق الشريفة إلى محبة وصداقة متينة[٢].

وهذا هو عضو مجلس النواب الفرنسي (جرنبيه)، الذي حين سأل عن سبب إسلامه قال:

إنني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، والتي درستها من صغري، وأعلمها جيداً، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأني تيقنت أن محمدا (ﷺ) أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة ، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بها تعلم جيدا، كما قارنت أنا لأسلم بلا شك، إن كان عاقلا، خاليا من الأغراض[٣].

و يقول الأستاذ / ديزيريه بلانشيه:

---

(١) د / عبد الحليم محمود - شيخ الأزهر السابق - أوروبا والإسلام - صـ ٥٠ :٥١.

(٢) المرجع السابق - صـ٥٦ : ٥٧.

(٣) من مقالة للرحالة السيد / محمود سالم - المنار - مجلد ١٤ صـ٥١٨.

ومن جانب آخر ينبغي أن نذكر أن الدين الإسلامي مخالف كل المخالفة لهذه الأبراج المتشامخة التي تسقط من ضربة واحدة. لأن فيه قوة كافية وصلابة ومتانة تجعله قادرا على المقاومة والاستمرار فيها فبماذا يمكن أن مهاجمة النقد، أفي تاريخ محمد؟ إنه تقريبا خال من الخوارق و المدهشات وليس فيه تقريبا من المسلمات إلا ما في الديانة الكاثوليكية من معتقدات طاهرة نقية. فهل توجد هذه الخوارق في الشعائر والطقوس؟!.

إنك لو رجعت بالدين الإسلامي إلى قواعده الأساسية لما وجدته قد زاد على الدين الفطري إلا نبوءات محمد (ﷺ) وإدراكا حقيقيا وفهما صحيحا لمعنى القضاء والقدر . وهذا الفهم الصحيح للقضاء والقدر يعد صفة عامة لكل الذين يدركون بعقولهم ودقة شعورهم أنهم في احتياج شديد إلى أن يسيروا في هذه الحياة بنظام دقيق وخطة محكمة. أكثر مما يعد عقيدة من العقائد أو أصلا من أصول الإيمان.

ويرى (دوشن) في انطلاقة العرب وفتوحاتهم في كتابه (موقف الكنيسة في القرن السابع الميلادي) رأى (ميخائيل السوري) الذي يقول (إن إله الانتقام، عندما رأى شراسة الرومان الذين كانوا حيثما يحكمون ينهبون كنائسنا وأديرتنا وكانوا يزلوننا دون رحمة، فبعث الله من الجنوب أبناء إسماعيل ليكون خلاصنا على أيديهم ولم تكن ميزة بسيطة بالنسبة لنا أن نتخلص من قوة الرومان. وأن نستمتع بعد ذلك بهدوء البال[1].

و يعترف (أشيالدر لويس) الذي أمتاز في مؤلفاته بنزاهة تاريخية موضوعية قائلا:

ومن الظواهر التي تدعوا إلى الدهشة والعجب، ذلك اليسر والسهولة اللذان وافقا الغزو العربي، وربما كان مرجع بعض هذا اليسر وهذه السهولة إلى الجهاد الذي حاق بالإمبراطورية البيزنطية أثناء كفاحها الطويل الذي استمر قرابة قرن من الزمان مع بلاد فارس وهو الكفاح الذي انتهى حينما بدأ هجوم العرب، وربما رجع أيضا إلى عجز البيزنطية بعد أن صار اعتمادها على العنصر البحري في مواجهة غزو برى واسع النطاق وربما رجع هذا اليسر، إلى حد ما، إلى الحماسة الدينية التي خلقها الإسلام في قلوب

(١) روجيه جارودي – الاشتراكية والإسلام – صـ ١٤٤.

الغزاة والمحاربين على أنه مما لا شك فيه أن السبب الأساسي لنجاح العرب يرجع إلى غير هذه الأسباب. إنه يرجع إلى أن معظم السوريين والمصريين لم يقوموا بأية مقاومة لغضبهم الشديد من اضطهاد هرقل لعقيدتهم المنوفيستية ومن نظامه المالي المجحف الأمر الذي دفعهم إلى الترحيب بجيوش العرب[١].

و أكد الباحث الأسباني (بلاسكوابانيز) في كتابه (في ظل الكاتدرائية) بأنه في أسبانيا لم تأت النهضة من الشمال مع الجحافل البربرية وإنما أتت من الجنوب مع الفاتحين العرب . لقد كانت حملة حضارية أكثر مما كانت غزوا ، ومن هنا أتت إلينا هذه الثقافة الشابة القوية سريعة التقدم بطريقة مذهلة ما تكاد تولد حتى تتفوق وهذه الحضارة التي خلقتها الحماسة الدينية للنبي قد شملت أفضل ما في اليهودية والعالم البيزنطي بل إنها جلبت معها التقاليد الهندية العظيمة وتراث الفرس وكثيرا من الأمور المقتبسة من بلاد الصين الغامضة، وكان الشرق هو الذي يقتحم أوروبا لا عن طريق اليونان كما حدث في عهد (دارموس) والأكاسرة ولكن من الطرف الآخر، وأسبانيا التي كانت ترسف في عبودية ملوك اللاهوت والأساقفة المحاربين فاستقبلت غزاتها بأذرع مفتوحة[٢].

وقال المستشرق (مرج ليوث) في بحث له عن مستقبل الإسلام: «إن الإسلام غالب في أفريقيا ، وشائع في آسيا، ومعروف في أوروبا وأمريكا، ولم يظهر ما يدل على توقف انتشاره وخصوصا في القرن الماضي لأنه نهض نهضة جديدة» :

وقال المستشرق (شاتليه):

(إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يرتقى الآن وينتشر في الهند والصين، أما الأديان الأخرى فإنها آخذة في الانحلال).

---

(١) أرشيالدر لويس - القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط - ترجمة محمد عيسى - صـ ٨٧: ٨٨ - مكتبة النهضة المصرية.

(٢) روجيه جارودى - أثر الحضارة الغربية على الثقافة العالمية ص-١١٦.

و يقول الأديب البريطاني (جورج ويلز)..

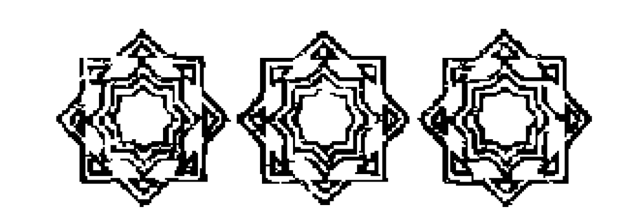
(إن محمدا (ﷺ) أعظم من أقام دولة للعدل والتسامح)..

و يقول المستشرق (ميشون):

(إن الإسلام الذي أمر بالجهاد قد تسامح مع إتباع (الديانات الأخرى) وبفضل تعاليم محمد (ﷺ) لم يمس عمر بن الخطاب المسيحيين بسوء حين فتح القدس)..

و قال عالم البحار (جاك إيف كوستو):

(الآن أشهد وأعتقد يقينا أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمد نبي الله ورسوله، وأن العلم المعاصر يحبو في أثر ما جاء به في أناة وصبر على فترة أربعة عشر قرنا مضت)..



لماذا يا بابا الفاتيكان؟!!

هل تصريحات البابا جاءت مرتبة ومدروسة ومخطط لها؟! لما لا، وهل يستطيع البابا أن يرد على تلك الأسئلة التي وجهت له؟.

- لماذا لم تختار نصوص تدعوا إلى التعايش السلمي بين الأديان بدلاً من اختيار النصوص التي تثير الكراهية وتسهم في إشعال حرب الأديان؟! ألم يكن الأجدر بقداسة الحبر الأعظم أن يقرب بين القلوب ويدعو إلى الحب ونشر السلام في العالم؟!.

- لماذا يا بابا الفاتيكان المقارنة بين المسيحية والإسلام وأغلقت المقارنة مع اليهودية؟!.

- ولماذا جاء اختيارك لكتاب من بين ٦٠ ألف كتاب كتبوا في الغرب كلهم إساءة للإسلام والهجوم عليه؟! ولماذا كتاب تيودور خوري، وأنت تعلم وتعرف جيدا عنه عداءه للإسلام أكثر مما يعرفه أي إنسان آخر بحكم تخصصك كأستاذ لتاريخ اللاهوت في جامعة ريجنسبرج، وكلا كما أنت وخوري ألماني الجنسية؟!.

- ولماذا جاء تعليقك على ذلك بعبارة خوري أيضاً قائلا بالنسبة للإمبراطور هذا البيان يشهد بصحة ما فيه؟!!.

- ولماذا يا بابا الفاتيكان اخترت هذا الوقت بالذات للتعرض بالإسلام بشكل مباشر أو غير مباشر في نفس اليوم الموافق ١٢/ ٩/ ٢٠٠٦ وهو نفس اليوم الذي استضافت فيه دولة إسلامية هي جمهورية قازاخستان المؤتمر الدولي الثاني لزعماء الأديان العالمية والتقليدية من أجل تعميق الحوار والتفاهم والتعاون بين الأديان جميعاً، وهو اليوم الثاني لمرور خمس سنوات على أحداث (١١/ ٩/ ٢٠٠١م) المسمى (١١ سبتمبر) للهجوم على برجي التجارة العالمية بنيويورك؟!! لماذا هذا اليوم بالذات؟!.

وأنت تعلم جيدا ما يتعرض له الإسلام في الغرب من حملات العداء والتشويه، تنسب إليه جرائم الإرهاب ولا تنسبها إلى المجرمين بينما تفعل العكس مع أبناء جميع

الديانات الأخرى الذين يرتكبون جرائم مماثلة، وتعلم ما يتعرض له المسلمون من تمييز ومطاردة واضطهاد في الغرب المجرد أنهم مسلمون يقولون: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)؟!!.

- لماذا يشارك البابا بقداسته ومكانته في إشعال الحرائق المشتعلة أصلا، ولو بطريق خفي، ولو بترديد ما يقوله الآخرون لصناعة العداء للإسلام وأهله؟!.

- لماذا والبابا يعلم أنه شكلت في بريطانيا لجنة على أعلى مستوى علمي لدراسة ظاهرة الإسلاموفوبيا برئاسة البروفيسور جوردون كونواي نائب رئيس جامعة ساكس وأعلنت في تقريرها عن تفشي ظاهرة الخوف من الإسلام وانتشار الصورة النمطية عنه وربطها بالعدوانية والإرهاب والتخلف ووضعت توصيات لعلاج هذه الحالة قبل أن تؤثر سلبا على مجتمعات الغرب وعلى المجتمعات الإسلامية على السواء كما يقولون؟!!.

ومن حقنا أن نسأل:

- ألم تقود الكنيسة الكاثوليكية الحروب الصليبية علينا، ألم تكن هذه الحروب عنفاً وإرهاباً وعدواناً سافراً على شعوب آمنة في المنطقة العربية حينذاك؟!!.

- وألم يكن الفاتيكان الذي يدعي حاخامه الأكبر اليوم أن الإسلام انتشر بحد السيف!! ألم يكن الفاتيكان مساعداً ومشجعاً وداعي لهذه الحروب التي راح ضحيتها آلاف المسلمين؟ وألم يكن ذلك العنف مناقضاً للعقل ولطبيعة الله؟!.

- ولماذا لم يخبرنا بابا الفاتيكان كيف انتشر الإسلام الذي ينتشر بحد السيف في كل من إندونيسيا، وماليزيا، وفي السودان والصومال ونيجيريا، والسنغال، وغنيا ومالي وغيرها. ولم يدخلها سيف الإسلام الذي نشره كما تقولون؟!!.

- ولماذا لم تخبرونا عن مكان هذا السيف الخفي الذي ترتعد فرائص الغرب خوفا من دخول نحو (٦٣ شخصاً) يومياً إلى رحمة الإسلام في أوروبا يوميا حسب الإحصائيات. ولماذا لم تقولوا للعالم يا سيادة البابا أن السيف الذي يجذب الناس إليه هو أخلاقياته وسماحته وسمو تعاليم الإسلام أو ليست هذه هي أسلحة الإسلام يا سيادة الحبر الأكبر؟!!.

- ولماذا لم تتحدثوا صراحة عما يثيره بعض ذوي الأقلام في أوروبا؟ الذين يحذرون الغرب من تحول دولة مثل فرنسا إلى جمهورية إسلامية عام (٢٠٥٠م) وذلك بعد أن بلغ عدد المسلمين فيها وبها إلى حوالي أربعة ملايين نسمة، في حين فشلت الكنيسة التي وعدت بأن عام (٢٠٠٠م) هو عام تحول أفريقيا إلى قارة مسيحية، وتم تأجيل ذلك إلى عام (٢٠٢٠م)؟!! لماذا لم تقولوا أن هذه الأقلام تؤجج نار الحقد والكراهية بين الشرق المسلم والغرب المسيحي؟!!.

قلتم يا سيادة البابا. إن الحوار الذي عرض فيه الإمبراطور تصوره الغريب عن الإسلام، كان الطرف الآخر للمحاورة مثقف مسلم، فماذا قال هذا المسلم المثقف رداً على كلام الإمبراطور؟!!.

- ألم يكن من العدل والإنصاف والنزاهة والموضوعية العلمية وأنت المحاضر الفذ أن تعرض الصورة كاملة حتى تتضح الأمور أمام الناس؟!! وإذا تم عرضها كاملة، فإن ذلك من شأنه أن يعمل على تصحيح الأمور وتوضيح المواقف وإظهار الحقيقة؟!!.

ثم أليس الفيلسوف الألماني (كانت). والذي ورد ذكره في سياق محاضرتكم قد أحال ملف الاعتقاد المسيحي برمته إلى العقل العلمي لأنه لم يستطيع أن يؤسس هذا الاعتقاد على أساس من العقل النظري وقال قولته الشهيرة: (لقد اضطررت أن أرفع المعرفة لكي أخذ مكانا للإيمان) بينما أجمع فلاسفة المسلمين، كما تعلمون، على تأسيس الاعتقاد الإسلامي على العقل والعقل وحده، يحفزهم إلى هذه العقلانية عشرات الآيات القرآنية التي تؤصل العقل كأساس للإيمان في أكثر من ١٢٠ موضعاً، بل تحفزهم الآيات القرآنية على ذلك!!.

- بابا الفاتيكان وأنت على رأس الكنيسة الكاثوليكية وصاحب سلطانها هل نسيت تعاليم المسيحية كالتي تقوم عليها كنيستك والتي تقول: (وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا، وإن أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم فإن الخطاة أيضاً يحبون الذين يحبونهم وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأي فضل لكم فإن الخطاة أيضاً يفعلون هكذا، فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم، ولا تدينوا فلا تدانوا. لا تقضوا على أحد فيقضي عليكم. (لوقا٦: ٣١/ ٣٧).

- فهل تذكر بابا الفاتيكان كلمات المسيحية كتلك وهي بالنسبة للمسيحيين قدسية مقدسة، وأنت تهاجم الإسلام وتحاول النيل من نبي المسلمين مستشهداً بكلمات نطق بها جاهل بالإسلام في ظلمات القرون الوسطي؟!.

- ألم تجد يا بابا الفاتيكان ورأس الكنيسة الكاثوليكية وأستاذ اللاهوت السابق، ما تستشهد به غير عبارة نطق بها حاكم بيزنطي لم يعرف عنه علم ولم يخلف وراءه فكرا أو فلسفة أو منطقاً ، ألم يجد البابا عبارة أفضل كي يستشهد بها خلال كل القرون التي تلت ذلك القرن المظلم؟!.

- وقد يتساءل البعض، لماذا لا يكرس البابا ساعات من وقته للقراءة والدرس والتحصيل القائم على البحث والفهم كي يصل هو نفسه إلى نتائج مستقاة من بحثه، فيترك للبشرية، ميراثاً من نور تسير على دربه كما يفعل العظماء؟!.

- أم هل يخشى البابا ويخشى من حوله. إن قرأ وبحث وزاد اتساعا وعمقا أن يميل إلى الإسلام، وبذلك يسقط رأس الكنيسة من وجهة نظرهم وتنهار إمبراطورية الفاتيكان ويزول المجد المادي الذي غرقت فيه الكنيسة منذ القرون الوسطى بعد أن تجاهلت كل تعاليم مسيحها، ومنها:

(بع كل مالك ووزع على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني) (لوقا ١٨: ٢٢).

- هل تشاهد أيها الحبر الأعظم احتفالات الكنيسة وأبهة الثراء المادي وغلوه، كي تصبح على اقتناع تام بأن الكلمات السابقة من (إنجيل لوقا ١٨: ٢٢) قد نسيت ونسيت معها تعاليم معلمها؟![1].

- هل تأكد لك الآن أنك ضيعت عصور من الإصلاح سبقك فيها باباوات أفاضل، جعلوا الكثيرين ينظرون إلى دعوا تهم بالحب والسلام وصنعت هوة شاسعة بيننا وبينكم وذكرتنا بفضائح الكنيسة في القرون الوسطى، وكانت دافعاً لقيام الحركة (البروتستانتية)

---

(١) د/ وجدي الفيشاوي - صحيفة الأهرام - ٥/ ١٠/ ٢٠٠٦م صـ ٣٢.

التي طالبت بالإصلاح والقضاء على فساد الكنيسة؟!! أليس هذا تاريخ لا يمكن إنكاره ولا جدال فيه؟!!.

- بابا الفاتيكان. أليست محاضرتكم نفسها تجسيدا لأزمة حقيقية بين الدين في منظوركم وبين العقل والعقلانية، فعنوانها هي: (العقيدة والعقل والجامعة) بما يشير بأن هذا الثالوث ثالوث بين متضادات تتطلع إلى المصالحة والمواءمة، وفي بدايتها تؤكدون على هذه الأزمة حين قلتم: (إن صيحات جامعية تتساءل، كيف يمكن المحافظة على عقلانية الجامعة وبها كليتان تتحدثان عن لا معقول غير موجود هو (الله) وإذا كانت العقلية الغربية التي تتقاصر عن إدراك (الإلهيات) وتنُزل كل (متعال) إلى الأرض، وتحصر معيار الذكاء الإنساني في الصناعة والاختراع المادي هي المسئولة عن تضخيم الفجوة بين العقل والإيمان المسيحي ونذكر هنا المقولة المشهورة: (إن النصرانية حين انتقلت إلى روما ترومت النصرانية ولم يتنصر الروم)؟!!.

- ثم أليس الفكر المسيحي في عصره الوسيط كثيرا ما جنح لافتعال خصومة حادة مع العقل ومع العلم أيضاً، كما لعب اللاهوت دوراً تاريخياً معلوماً في تعطيل مسيرة العلم في أوروبا، وأن العقلانية الأوروبية لم تتقدم إلا بعدما أدارت ظهرها للاهوت ورجالة.[1].

- بابا الفاتيكان: بنديكتوس السادس عشر:

قل لي بالله عليك وأنت أستاذا وعالما ضليعا في علوم الفلسفة واللاهوت المسيحي وبعيدا عن البابوية وقداستها، ألا ترى أن المسيحية هي أحفل الأديان بخوارق العادات وأكثرها اعتمادا على المعجزات في إيمانها بالمسيح (عليه السلام)!.

وهل المعجزات إلا حوادث وتصرفات تتجاوز حدود العقل وتصطدم بشرائع الكون ونواميسه!! ثم ما هي أدلة العقول التي يمكن أن أعثر عليها في الأناجيل للتصديق بسيدنا عيسى (عليه السلام)؟! أليست هي الخوارق والخوارق وحدها!! وماذا كانت الأدلة التي اعتمد عليها التلاميذ الإثنا عشر الذين أرسلهم يسوع لهداية الناس؟! أليست

---

(١) د/ أحمد الطيب - صحيفة الأهرام ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٦م صـ١٢.

هي شفاء المرضى، وإحياء الموتى من قبورهم، وإبراء الأبرص وطرد الشياطين والأرواح النجسة؟!!.

ألم يقل إنجيل متى عن: (شفاء أبرص) ولما نزل من الجبل تبعه جموع كثيرة. وإذا أبرص قد جاء وسَجد له قائلاً: (يا سيد، إن أردت تقدير أن تطهرني) فمد يسوع يده ولمسه قائلاً: (أريد، فاطهرا) وللوقت طهر برصه. فقال له يسوع: (انظر أن تقول لأحد، بل اذهب أر نفسك للكاهن، وقدم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم) (إنجيل متي: ٨/ ١/ ٤).

ويقول الإنجيل أيضاً عن تهدئة العاصفة: (ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه. وإذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواج السفينة، وكان هو نائماً. فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين: يا سيد، نجنا فإننا نهلك) فقال لهم (ما بكم خائفين يا قليلي الإيمان؟!!. ثم قام وانتهر الرياح والبحر، فصار هدوء عظيم. فتعجب الناس) قائلين: (أي إنسان هذا؟ فإذا الرياح والبحر جميعاً تطيعه!).

وعن طرد الشياطين يقول الإنجيل: (ولما جاء إلى القبر إلى كورة الجرجشيين، استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدا، حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق. وإذا هما قد صرخا قائلين: (ما لنا ولك يا يسوع ابن الله؟ أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟) وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى. فالشياطين طلبوا إليه قائلين: (إن كنت تخرجنا، فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنار) فقال لهم: (امضوا. فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير. وإذا قطيع الخنازير كله قد اند م من الجرف إلى البحر ومات في المياه.(إنجيل متي ٨/ ٢٨/ ٣٣).

لماذا يا بابا الفاتيكان؟.

إن العالم لديه الآن ما يكفيه من مسببات الحنق والغضب والتوتر حتى يأتي بابا الفاتيكان ليستقي من بطون التاريخ أقوالا تزيد العالم توتراً وقلقاً، وتزرع المزيد من أسباب الصداع، وتضع الأشواك في طريق السلام والتعايش بين سكان الأرض؟!! (افتتاحية - صحيفة نيويورك تايم).

ليتك يا بابا الفاتيكان أعطيت محاضرتك عن (العدل الغائب) فالمحاضرة التي ألقيتها لا تخصنا ولا تخص الإسلام بشيء وقد أخطأت العنوان، فالأزمات الداخلية الغربية لن ينفعها نقل المعركة مع الشرق عسكريا كما يفعل جورج بوش الابن، أو مع الإسلام فكرياً وثقافياً كما فعلت، وإنما يجب معالجة جذور وخطايا السياسة العالمية وتجفيف منابع الإرهاب وإحياء العدل الغائب فيما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي يدفع إلى الحروب، والسياسة الظالمة للشعوب الفقيرة. ليتك دعوت لقيم وأخلاق سامية.لقال عنك العالم حكيم. بدلاً من الدعوة إلى الحرب والإفساد في الأرض؟!!.

ألا ترى أن تصريحاتك تساعد وتساند التصريحات السياسية للرئيس الأمريكي جورج ديبل بوش ونائبه ديك تشيني ووزير دفاعه السابق دونالد رامسفيلد وتمهد الأرض لمزيد من العداء، وتربط ربطاً تعسفياً بين الإسلام والإرهاب، الأمر الذي يجعل الحرب على الإرهاب في نهاية الأمر حرباً على الإسلام؟!!.

ألا ترى أن تصريحاتك هذه تخدم الذين يضيقون على المسلمين، والتنصت على مساجدهم المنتشرة في كثير من المدن الأوروبية والأمريكية وتزيد الهجوم المستمر على الإسلام في الصحف الغربية وإهانة المصحف الشريف في سجون جوانتانامو وأبو غريب؟!!.

أما كان الأجدر بالبابا أن يعمل على إصلاح الانحرافات داخل الكنيسة الكاثوليكية وما يثار حولها، لا أن يتفرغ للهجوم على الإسلام وعلى النبي (ﷺ)؟!.

ألم تكشف تقارير صادرة من الفاتيكان عن قيام الكثير من القساوسة والأساقفة في الكنائس الكاثوليكية بالاعتداء الجنسي على الراهبات واغتصابهن وإجبارهن على الإجهاض أو تناول حبوب منع الحمل؟!!.

ثم - ألم تذكر صحيفة لاريبابليكا الإيطالية أن هؤلاء القساوسة والأساقفة يستغلون سلطتهم الدينية التي يتمتعون بها في العديد من الدول وخاصة دول العالم النامي لممارسة الجنس مع الراهبات رغماً عنهن مشيرةً إلى أنه تم الكشف عن العديد من حالات الاعتداء في ٢٣ دولة منها: الولايات المتحدة - البرازيل والفلبين والهند وأيرلندا وإيطاليا

بل وداخل الكنيسة الكاثوليكية (الفاتيكان) نفسها بالإضافة إلى العديد من الدول الأفريقية؟!! (ماركو بوليتي الاعتراف، وصحيفة لاكريبابليكا الإيطالية).

هل يحاول البابا بنديكتوس إعادة تنشيط الذاكرة الغربية واستنهاضها في مواجهة الإسلام والمسلمين، أم أنه يرفض بشكل غير مباشر إقرار تدريس الدين الإسلامي في بعض الولايات الألمانية، أم أنه أخيرا وليس آخر يحاول دعم السياسات الأوروبية الحالية في مجال تقييد الهجرة الإسلامية واللجوء السياسي من بلدان الشرق الأوسط إلى البلدان الأوروبية، وهل لأصل البابا الألماني دور في تشكيل دوافعه ومواقفه؟ فالبابا ينتمي لألمانيا وهي إحدى القوى المركزية في أوروبا وتاريخها وقادتها وطموحاتها إلى حربين عالميتين. هل تأثر البابا بالثقافة السياسية الألمانية وخلفيتها الشوفنية بعكس البابا الراحل يوحنا بولس الثاني الذي ولد في بولندا ذلك البلد الصغير الذي تعرض للغزو والاضطهاد من كل من ألمانيا وروسيا وعرف الاضطهاد والظلم وتعاطف مع ضحاياه وتميز بالتسامح والأخوية الروحية مع أصحاب الديانات الأخرى؟!! [(١)].

- ولماذا يا بابا الفاتيكان لا تحاول علاج ومواجهة بعض القساوسة الألمان وكراهيتهم لانتشار الإسلام في الغرب.. حتى أن بعضهم (٧٣سنة) قد لقي نهاية مأساوية اختارها بنفسه احتجاجاً على سياسة الكنيسة في التعامل مع الإسلام بأن أشعل النيران في نفسه في إحدى المغارات التابعة لدير في شرق ألمانيا. وترك رسالة قال فيها: (إنه يخشى الانتشار السريع للدين الإسلامي وينتقد أسلوب الكنيسة التي لا تهتم بشكل كاف بهذا التطور الخطير)[(٢)]، ونتساءل هل ما زال عندك في ألمانيا سيف مرفوع للإسلام؟!!.

- وهل من الإقناع العقلي، أن يتساوى لديك من يستميلك إلى العقيدة بتوزيع الطعام والدواء، أو بتربية الأطفال على هذه العقيدة وهم لا يعقلون؟! وبين من يستميلك إلى عقيدته بالخوف والسيف؟!!.

---

(١) د/ عبد العليم محمد - صحيفة الأهرام ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٦م صـ٢٤.

(٢) صحيفة الأهرام - ٣ نوفمبر ٢٠٠١ م - صـ ٤ من برلين - مازن حسان.

- وهل الشاهد الذي تطعمه وتكسوه وتعطيه الدواء ليقول قولك في إحدى القضايا كالشاهد الذي ينظر إلى السيف والسوط في يدك فيقول ذلك القول؟! وهل كل منهما يدافع عن العقيدة دفاع العارف البصير؟! [1].

- من يا بابا الفاتيكان الذي أعمل السيف في الآخرين، ليكرههم على التحول عن دينهم؟! نذكركم والعالم أجمع بفترة قام الكاثوليك فيها بأعمال وحشية وبربرية ضد الإسلام والمسلمين تزلزل لها القلوب وتقشعر لها الأبدان والجلود: هل نقول لك ونذكرك أم أنت العالم الكبير الذي يحق لك أن تقول لنا: فبعد سقوط حكم المسلمين الذي دام حوالي ثمانية قرون في أسبانيا ودخول الأسبان الكاثوليك العاصمة غرناطة عام ١٤٩٢م أنشئوا (محاكم التفتيش) الكاثوليكية، وكانت مهمتها تطهير أسبانيا من آثار الإسلام والمسلمين فاستفتحت أعمالها باحتلال المساجد ومصادرة أوقافها وحولت المسجد الجامع في غرناطة إلى كنيسة وتم إعدام مائتين من علماء المسلمين حرقاً وهم أحياء في ساحة المسجد الرئيسية، كما قامت بإحراق جميع المصاحف والكتب العلمية والشرعية العربية والإسلامية... ثم حولت مئات المساجد إلى كنائس ومخازن وإسطبلات للخيل ثم أصدرت قراراتها لجميع المسلمين في أسبانيا باختيار واحد من ثلاث:

- إما التنصر والتحول إلى الكاثوليكية؟. وإما الرحيل الفوري من البلاد وترك جميع الممتلكات غنيمة للكاثوليك؟..

وإما الموت حرقاً؟!. وبعد تلك القرارات، قامت بمنع ارتداء الملابس العربية أو التحدث باللغة العربية، ومنع الزواج على الشريعة الإسلامية، ومنع الختان، ووضعت عقوبات صارمة لكل من يثبت عليه أنه يرفض شرب الخمر أو تناول لحم الخنزير أو يتخلف عن الذهاب إلى الكنيسة لأداء طقوس العبادة. وكان العقاب لكل من يثبت عليه شيء مما ذكر قاسياً ومريعاً. وهو التعذيب بطرق وأساليب تلمودية يشيب لها الولدان. فهي تبدأ بمنع الطعام والشراب. عن المسلم المتهم حتى يصبح نحيلا غير قادر على

---

(١) د/ عباس محمود العقاد – عبقرية محمد صـ٣٣.

الحركة ثم يبدأ بعد ذلك جلده جلداً مبرحاً ونزع أظافره، ثم الكي بالحديد المحمي، ونزع شعر فروة الرأس، ووضع الملح على الجروح، ثم إلقائه في أماكن ضيقة مع الوحوش الضارية لتفترسه في ضراوة ووحشية، أو وضعه في صندوق ضيق يغلق عليه ويترك فيه حتى الموت بعد أن يكون قضي من اللحظات الأخيرة في حياته في كرب وفزع لا يتخيله عقل بشر.

وفي عام (١٦١١م) صدر قرار إجرامي للقضاء على المتخلفين من المسلمين الذين لم يتنصروا ولم يغادروا البلاد. ويقضي ذلك القرار بإعطاء جائزة لكل من يأتي بمسلم أو يرشد عنه ليتم حرقه حياً. وإعطاء مكافأة أخرى لمن يأتي برأس مسلم..

أليست هذه هي الكاثوليكية أيها البابا؟! أليست هذه أفعال الكنيسة الكاثوليكية بالمسلمين؟! ألم يشهد عليهم التاريخ بالدموية والسادية والبربرية والتفنن في تعذيب المسلمين وسفك دمائهم وتقطيع أوصالهم. فهل بعد ذلك مازلت عند مقولتك أن الإسلام هو الذي انتشر بحد السيف؟!

وأن النبي محمد (ﷺ) لم يأت إلا بما هو شر؟!![1].

تصور كل هذا كان ومازال يحدث بالمسلمين الموحدين بالله (ﷻ) والمؤمنون بالله وكتبه ورسله ولا يفرقون بين أحد من رسله، تطبيقاً لما ورد في كتابهم الكريم:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (البقرة:٢٨٥)

يحدث هذا لهم يا بابا الفاتيكان، بينما أوصاهم نبيهم الكريم (ﷺ) بأهل الذمة خيراً وحذرهم من ظلمهم أو الاعتداء عليهم بنص قوله (ﷺ): «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه (خصيمه) يوم القيامة»[2].

---

(١) د/ رضا الطيب - التبيان - العدد السابع والعشرون ١٤٢٧هـ - نوفمبر ٢٠٠٦م صـ ٣٣.

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٠٥٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وقال (ﷺ):« من قتل معاهداً لم يرح (يشم) رائحة الجنة » [١].

بل إنه (ﷺ) يعتبر إيذاء النصراني إيذاء له (ﷺ) فيقول: « من آذى ذمياً فقد أذاني » [٢] كذلك فقد بعث (ﷺ) إلى عامله في اليمن يوصيه خيراً بأهل الذمة فيقول: « من كان على يهودية أو نصرانية فلا يفتن عنها » [٣].

وكان النبي (ﷺ) يوصي الجيوش قبل أن تخرج للقتال ألا تقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً وألا يتعرضوا للرهبان في صوامعهم فيقول (ﷺ):« وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ».

- فهل هذا خير أم شر يا بابا الفاتيكان، قل لنا بالله عليك إن كنت تستطيع أن تفرق بين الخير والشر ؟!!.

- وهل من الخير تلك العلاقة الوطيدة التي تربطك بالمحافظين الجدد التي تعتبر العقل المدبر لكل المخططات التي تستهدف الإسلام والمسلمين، والمحافظون الجدد هم مجموعة من الشخصيات السياسية والعسكرية والفكرية والدينية تؤمن بالمسيحية الصهيونية، وتعمل على فرض المشروع الصهيوني بإنشاء حكومة اليهود العالمية وإقامة دولة إسرائيل الكبرى من خلال خوض حرب عظيمة ومعركة فاصلة ينتصر فيها الخير على الشر ويترك المسيح بعدها ليحكم العالم مع أتباعه المؤمنين، ثم تقوم القيامة. وهذه المجموعة من المحافظين الجدد تنظر إلى اليهود والمسيحيين على أنهم قوى الخير وإلى كل من عداهم بما فيهم الإسلام والمسلمين أنهم قوى الشر، وهذا بالضبط ما عبر عنه وتلفظ به بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر.

ولقد صرح بذلك البابا مراراً وتكراراً منذ وصول المحافظين الجدد بعقيدتهم الصهيونية المسيحية إلى السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية قائلاً: (إن ذلك هو النموذج المثالي لأوروبا التي يجب أن نحتذي به، وأن الكنيسة يجب أن تعود إلى قلب

---

(١) صحيح - أخرجه البخاري (٣١٦٦) عن ابن عمرو.

(٢) ضعيف الجامع (٥٣١٤)، أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٣٧٠).

(٣) ذكره ابن كثير في جامع المسانيد (٢/ ٥٧٨).

صنع وتوجيه القرار السياسي بمعني أن يكون القرار والدافع الديني هو المحرك الأول للملايين والملايين من المسيحيين البسطاء في حروبهم ضد الإسلام والمسلمين) وهذا هو جوهر ومفهوم الحروب الصليبية التي يتبناها المحافظون الجدد.

وفي سبيل هذا فإن البابا بنديكتوس السادس عشر في فترة عمله مساعداً للبابا السابق فقد كان المحرك والمتبني لإصدار قرار من الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح عام ١٩٦٥م. وكانت هذه هي الخطوة الأولى لإزالة العداء والجفوة التي تملأ قلوب المسيحيين في العالم ضد اليهود. وهي الخطوة الضرورية التي كان لابد منها لقيام ذلك التحالف اليهودي الصليبي لخوض معركته ضد قوى الشر كما يزعمون[١].

- ولماذا يا بابا الفاتيكان لا تقول للناس: إن القرآن الكريم وسنة محمد (ﷺ) المطهرة قد دافعت عن رسل الله تعالى وبينوا كذب أولئك الذين اتهموا الرسل بما لا يليق بهم وبما لم يصدر عنهم وخص القرآن الكريم رسول الله عيسى (عليه السلام) بدفاع خاص. لأن أمر عيسى مشكل حيث ولد من غير أب وأن المسلمين يقولون بأنه (عليه السلام) ولد بغير أب، وتكلم في المهد، ورفع إلى السماء، ولماذا لم تقل أن نظرة المسلم للرسل أجمعين نظرة احترام وتقدير؟! فقد جعل الإسلام الكفر برسول من رسل الله أو انتقاصه مخرجاً من ملة الإسلام مخلداً صاحبه في نار جهنم إن مات على ذلك ولم يتب. وأن المسلم لابد وأن يؤمن بكل الأنبياء والكتب السماوية الصحيحة (غير المحرفة).

- ولماذا لا تقول إن القرآن يقول عن عيسى (عليه السلام) الذي تقولون عنه إنه ابن الله، أو جزء من الله يقول القرآن عنه أن هذا باطل وأنكم ليس لكم به من علم:

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ ﴾ (الكهف: ٥).

- ولماذا لم تقل إن القرآن الكريم دافع عن نبي الله عيسى وأمه عليهما السلام وبرأها من اتهام اليهود، حيث اتهموها بالزنا، وأنها أتت بعيسى ابن مريم من الزنا وسفاحاً

---

(١) د/ رضا الطيب - التبيان - عدد (٢٧) شوال ١٤٢٧، نوفمبر ٢٠٠٦م هـ صـ٣٣.

وأنكروا رسالته وهموا بقتله وجاء القرآن ليقول للمسلمين وللعالم القول الحق، وإنه عبد الله ورسوله، وأن أمة طاهرة عفيفة لم تقترف ذنباً. فقال القرآن الكريم:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ (النساء: ١٥٥-١٥٨).

- ولماذا لا تقول للعالم: أن الإسلام قرب قضية عيسى (عليه السلام) من العقل للعقلاء، وضرب لها الأمثال، وقاس أمر عيسى (عليه السلام) على ما هو أعجب منه وهو أمر آدم (عليه السلام)، حيث خلق آدم بلا أب ولا أم، وإنما خلقه الله من تراب، ثم قال له (كن) فكان على مراد الله تعالى (بشراً سوياً) قل لهم إن القرآن الكريم يقول في هذا الصدد:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: ٥٩)

- لماذا لا تقول للناس إن المسلمين يقولون: (إن الله أرسل محمداً بالقرآن الكريم ليضع الأمور في نصابها وبين الخير والشر والكذب-الذي افتراه البشر على الله، والملائكة والأنبياء رضوان الله عليهم جميعاً، وهذا ما نقدمه لك في فصل كامل لنبين الخير والشر في دعوة ورسالة محمد (ﷺ).

- ولماذا لا تقول للناس أن المسلمين يقولون أنهم يعلمون من قرآنهم هذه الحقيقة!!.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (البقرة: ١٤٦).

ألم يقرأ بابا الفاتيكان شيئاً من تاريخ الحروب الصليبية، حينما استولى الصليبيون على أورشليم التابعة كنيستها للكنيسة الشرقية وغيرها من المدن الإسلامية التي يعيش في ربوعها المسيحيون آمنين مطمئنين، لا يزعجهم اضطهاد، ولا يعكر صفاءهم ضغط، ثم استولى الصليبيون أتباع الكنيسة الغربية فاستولوا على دولة الرومان الشرقية، فأنزلوا

بإخوانهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون. ولنترك الكلمة للمسيحي صاحب (سوسنة سليمان) يقول: (حرك البابا أنوسنت الثالث قواد الصليبيين لنزع المملكة الشرقية من يد اليونان، فافتتحوا القسطنطينية سنة ١٢٠٤م، وداموا متسلطين عليها إلى سنة ١٢٦١م فاستعملوا ما أمكنهم من البربرية في الأراضي التي امتلكوها من بلاد سوريا وفلسطين، ليخضعوا بطارقة أورشليم، وجميع الأكليرس اليونان بواسطة الحبس وإقفال الكنائس إلى أن أحوجوهم إلى أن يفضلوا مودة العرب على مودتهم، ويختارون الجزية على أن يتسلط عليهم ملك طمعه وطمع قواده لا يشبعان).

(حينئذ أحس أولئك المسيحيون بنعمة الإسلام عليهم، ونعمة حكم المسلمين لهم، فقد سامتهم الكنيسة الغربية وملوكها الخسف والهوان، ونقبوا عن قلوبهم وبحثوا عما تكنه الصدور. ولكن نعمة الإسلام كانت تلاحقهم، فلم ينقضي زمن طويل، حتى جاءهم الإسلام في القسطنطينية وأعطاهم الأمن والقرار والاطمئنان، حتى لقد قالوا كما حكي صاحب السوسنة: (عمامة السلطان محمد الفاتح، ولا تاج البابا المثلث) [1].

ألا تعلم يا بابا الفاتيكان أن أعداد الذين قتلوا بالتعذيب في عهد الإمبراطور (دقلديانوس) يقدر بأكثر من مليون مسيحي، ولذلك قررت الكنيسة في مصر اعتبار ذلك العهد عصر الشهداء؟.

ألا يذكر البابا أن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية - التي يتحدث باسمها الآن - قد اضطهدت البروتستانت حتى بلغ من أحرق في فرنسا في مدينة واحدة وفي يوم واحد ٢٣٠ألفا، وفي إيطاليا سنة ١٥٦٠م قتل ألوف الألوف، وقد أصدر لويس الخامس عشر سنة ١٥٢١م أمرا بطرد البروتستانت مستنداً إلى موافقة من البابا. وقد قتل أحد الأمراء في عهد ابن الملك لويس (ثمانية عشر ألفاً) في أشهر قليلة؟!.

وما معنى الإبادة والاستئصال الذي نفذه الأوروبيون النصارى حينما دخلوا أمريكا مع الهنود الحمر، وحينما دخلوا استراليا مع أهلها الأصليين؟!!.

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة - محاضرات في النصرانية - صـ١٥٢ - دار الفكر العربي.

وماذا يقول بابا الفاتيكان فيما يحدث الآن على أرض فلسطين والعراق ولبنان وأفغانستان، أهي الهدايا والطعام والشراب والكسوة والدواء التي تقدمها المسيحية الغربية لهذه الشعوب؟ أم أنه القتل والدمار وسفك الدماء وحرق المزروعات؟!! ماذا يقول بابا الفاتيكان؟!!.

هل تعلم يا بابا الفاتيكان لماذا قال المستشرق الأمريكي (لوثروب ستودارد): لم نسمع قط أن شعباً قليلاً أو كثيراً اعتنق الإسلام ديناً ثم ارتد عنه ...؟!!.

هل يعقل أن يقول البابا محاضرته تلك عفو الخاطر ودون إعداد؟! ولماذا كنت انتقائيا غير منصف في محاضرة عن الإيمان والعقل؟! ولماذا لم تذكر قول الإمبراطور جوليان: (لا توجد حيوانات مفترسة متوحشة تناصب الإنسان العداوة بقدر ما تناصب المذاهب المسيحية بعضها البعض العداوة؟! لماذا لم تذكر قول هرقل لأبي سفيان: لو إني أعلم أنني أخلص إليه (ﷺ) لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه (ﷺ)؟! إن الزعم بأن المسلمين أساءوا فهمك إساءة للمسلمين وعنصرية بغيضة وتعال مقيت عندما يصدر من.... مثلك يتطاول على أصحاب الحق يكون شيئا مقيت حقاً[1] .

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ يا بابا الفاتيكان!!!.

قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (سورة يونس٩٩ :١٠٠).

استشهد قداسة بابا الفاتيكان بجزء من الآية (٢٥٦) من سورة البقرة وهي قوله (ﷻ): ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ والتي قال عنها أنها من السور المتقدمة من الوقت الذي كان فيه محمد (ﷺ) مهدداً وبلا سلطان. ونحب أن نلقي الضوء ونصحح لقداسة البابا معلوماته في إيجاز..

---

(١) الشيخ / محمد رسلان – محاضرة في الرد على بابا الفاتيكان.

أولاً: إن الآية هي قوله (ﷻ): ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

ثانياً: إن سورة البقرة والتي سميت بهذا الاسم نسبة إلى بقرة بنو إسرائيل وقصتها مع نبي الله موسى (ﷺ) والذي يؤمن به المسلمون كإيمانهم بنبيهم محمد (ﷺ) وسائر الأنبياء جميعاً عليهم صلوات الله وتسليمه. هذه الآية الكريمة تُعد من أواخر آياتها، هذه السورة الكريمة قد ابتدأ نزولها على النبي (ﷺ) في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة المنورة. أي بعدما يقرب من خمس عشر سنة من دعوته (ﷺ)، وأن آخر آية من القرآن الكريم نزولاً كانت من هذه السورة المباركة، وهذه الآية التي كانت آخر آيات القرآن الكريم نزولاً قوله (ﷻ): ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (البقرة:٢٨١) وهذه الآية نزلت على النبي (ﷺ) قبل وفاته (ﷺ) بتسع ليال.

ثالثاً: أن سورة البقرة وهي أطول سورة في القرآن الكريم قد امتد نزول آياتها لبضع سنوات، وأن الآية (٢٥٦) من هذه السورة أيضاً (لا إكراه في الدين) من أواخر الآيات التي نزلت في هذه السورة، كما يقول العلماء أيضاً. وذكر المفسرون في سبب نزولها أن رجلاً من أهل المدينة المنورة دخل في الإسلام، وكان له ولدان لم يدخلا في الإسلام، فذهب هذا الرجل إلى النبي (ﷺ)، وقال له يا رسول الله: أيدخل بعضي في النار وأنا أنظر إليه – يقصد ولديه– يا رسول الله أنا أريد أن أكرهما على الدخول في الإسلام.

فنزلت هذه الآية: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ (سورة البقرة من الآية ٢٥٦) ومعني هذه الآية وتفسيرها بإيجاز: إن هذا الدين الإسلام لا إكراه على الدخول فيه، لكمال هداياته، ولوضوح إرشاداته، ولسماحة توجيهاته، فآياته يتضح بها الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فمن يكفر بكل ما عبد من دون الله، ويؤمن بوحدانية الله (ﷻ) وبقدرته، فقد ثبت واستقام على الطريقة المثلى واستمسك من الدين بأقوى سبب لا انقطاع له والله (ﷻ) سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم ونيتهم وسيجزيهم على ذلك.

وخلاصة القول: أن ما قاله القيصر البيزنطي عن هذه الآية وهذه السورة المباركة التي هي منها، من السور المتقدمة في النزول وكان النبي (ﷺ) وقت نزولها مهدد وبلا سلطان. هذا القول لا أساس له من الصحة وبذلك يكون استشهاد البابا بُني على خطأ وكل ما بُني على خطأ فهو خطأ مثله.

وسنذكر لبابا الفاتيكان بكل موضوعية ووضوح جانباً من الحقائق النقلية والعقلية التي تدل دلالة واضحة على أن الإسلام دين قد نشر في مشارق الأرض ومغاربها على الإقناع لا على الإكراه، وعلى الاختيار لا على القهر، وعلى القبول لا على الرفض.

الحقيقة الأولي:

أن الله (ﷻ) قد أرسل الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام إلى أقوامهم مبشرين ومنظرين، لا قاهرين ولا مجبرين لأحد على أتباعهم. فالآيات القرآنية الكريمة تؤكد على ذلك يقول الله (ﷻ): ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأنعام:٤٨).

وقوله تعالى أيضاً: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء:١٦٥).

ويؤكد هذا المعنى قول الله (ﷻ): ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٢١٣).

ومعنى هذه الآية الكريمة كان الناس جماعة واحدة متفقين على إخلاص العبادة لله الواحد القهار ثم اختلفوا بعد ذلك في عقائدهم وفي سلوكهم، فكانت النتيجة أن أرسل رسله وأنبيائه يبشروا من آمن وعمل صالحاً بالخير الوفير، ولينذروا من أشرك مع الله في العبادة آلهة أخرى بسوء المصير.

وهكذا نرى أن هذه الآيات المباركة قد بينت أن وظيفة الرسل جميعاً هي تبشير من آمن وعمل صالحاً بالخير، وإنذار من أشرك بالله وعمل سيئاً بالعقاب، وليس من وظيفتهم إجبار أحد على اتباعهم أو الدخول في دينهم.

الحقيقة الثانية:

أن القرآن الكريم قد ذكر للنبي (ﷺ) في كثير من آياته، بصفة خاصة أن رسالته كانت للناس جميعاً بل للإنس والجن، وأن دعوته لهم كانت قائمة على وجوب إخلاص العبادة لله (ﷻ)، وحده، وعلى التحلي بمكارم الأخلاق، عن طريق القول الحكيم، والتوجيه السديد، والمجادلة بالتي هي أحسن، وليست بالإكراه أو القهر أو الإرهاب أو التخويف أو التهديد أو غير ذلك من وسائل الضغط أو السيطرة..

يقول الله (ﷻ): ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١١٩).

ويقول الله (ﷻ) أيضًا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سبأ:٢٨).

ويقول الله (ﷻ): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٥، ٤٦).

وقوله (ﷻ): ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ (الأعراف:١٨٨).

وقوله (ﷻ): ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ ﴾ (هود:٢).

وقوله (ﷻ): ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الرعد:٤٠).

وقوله (ﷻ): ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ (الشورى: من الآية٤٨).

وقوله (ﷻ): ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الغاشية:٢١، ٢٢).

وقوله (ﷻ): ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (ق:٤٥).

وقوله (ﷻ): ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (يونس: ٩٩، ١٠٠).

هذه بعض الآيات القرآنية التي أكدت أن دعوة النبي (ﷺ) تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. ولم تقم في يوم من الأيام على الإكراه أو الإجبار أو السيف. والمتأمل في هذه الآيات يراها تأمر النبي (ﷺ) بوجوب التزام الدعوة إلى الحق بالقول الطيب وبالإرشاد القويم وبالسلوك الحميد، وبأساليب متنوعة وليست بالسيف!!.

فتارة عن طريق التبشير والإنذار، وتارة عن طريق التبليغ وليس السيف وليس عن طريق السيطرة وتارة عن طريق بيان أنه (ﷺ) ليس على الناس بجبار أو حاكم مسلط وتارة عن طريق بيان أن الله تعالى بقدرته أن يهدي الناس جميعا، وأنه (ﷺ) ليس في قدرته أن يكرههم على اتباعه أو الدخول في دينه..

الحقيقة الثالثة:

أن الشريعة الإسلامية تهدر كل قول أو فعل أو اعتقاد يأتي عن طريق القسر أو الإجبار أو القهر أو ما يشبهها، ولا تعتد إلا بما يصدر عن الإنسان عن اختيار ورضا واقتناع. بل إنها قد أباحت لأتباعها أن يتلفظوا بما يتنافى مع عقيدتهم عند الأذى الشديد، والتعذيب الذي قد يؤدي إلى الموت، ولا يقدح هذا التلفظ في إيمانهم ما دامت قلوبهم عامرة بالإيمان الصادق وباليقين العميق..

فعندما عذب المشركين عمار بن ياسر. عليه وعلى أبيه رضوان الله تعذيبا شديداً كاد يفقد معه حياته، وأجبروه على النطق بكلام يتنافى مع أحكام الإسلام، فأعطاهم بلسانه ما أكرهوه عليه..

فقال بعض المسلمين للرسول (ﷺ): يا رسول الله إن (عماراً) قد ارتد عن الإسلام!!.

فقال النبي (ﷺ) (كلا) إن عماراً قد امتلأ إيمانا من رأسه إلى قدميه، اختلط الإسلام بلحمة ودمه، ثم أقبل عمار بعد ذلك إلى رسول الله (ﷺ) وهو يبكي، فجعل النبي (ﷺ)، يمسح له عينيه.

وقال له: يا عمار كيف تجد قلبك؟ فقال عمار: يا رسول الله قلبي مطمئن بالإيمان. فقال له النبي (ﷺ): يا عمار إن عادوا فعد أي إن عادوا إلى تعذيبك فعد إلى مطاوعتهم ونزلت الآية الكريمة: ﴿ **مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴿١٠٦﴾ ﴾ (النحل: ١٠٦).

ومعناها : من أكره على النطق بكلمة الكفر، والحال أن قلبه مطمئن بالإيمان، فإنه في هذه الحالة لا إثم عليه، ولكن الإثم العظيم والعقاب الشديد، يقع على من انشرح قلبه بالكفر واعتقد صحته..

الحقيقة الرابعة:

من المعروف لكل ذي عقل سليم أن الإكراه على الدين أو العقيدة لا يأتي بمؤمنين صادقين، ولكن يأتي بمنافقين كذابين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وهذا النوع من الناس، كراهية الإسلام له أشد من كراهيته للمخالفين الصرحاء. لأن المخالف الصريح لعقيدتك، تستطيع أن تأخذ حذرك منه، أما الذي يتظاهر بأنه معك بعد أن أكرهته وأجبرته على ذلك أو لأنه هو بطبيعته يخفي خلاف ما يظهر، فإن ضرره أشد، وعداوته أقبح، وإفساده للدين والدنيا أعظم. وقد جاءت عشرات الآيات القرآنية في ذم النفاق والمنافقين، وفي تحذير المؤمنين من شرورهم ومكرهم..

ومن هذه الآيات القرآنية قوله (ﷻ): ﴿ **إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾** ﴾ (المنافقون: ١ – ٣).

وقوله (ﷻ): ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ ﴾ (البقرة: ٨، ٩).

ومنها قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ۝ ﴾ (النساء ١٤٢، ١٤٣).

ألا تبين كل هذه الآيات لكل ذي عقل سليم أن الإكراه على العقائد يتعارض تعارضا تاما مع أحكام شريعة الإسلام التي لا تعرف إلا بالعقيدة التي يتحلى بها صاحبها عن طواعية واقتناع واختيار، التي تحمل صاحبها على أن يلتزم بالإيمان الصادق والعمل الصالح، الذي يدل على ما يقوله بلسانه، ويتوافق مع ما هو مستقر في قلبه. كما أن الإكراه على العقائد، هو عديم الجدوى من ناحية الاعتقاد ومن ناحية العمل كما يقول بعض العلماء.

وأنه من الهين والسهل أن تجعل غيرك يعمل بما تحب، ولكنه من الصعب والعسير، إن لم يكن من المستحيل أن تجعله يعتقد رغم أنفه، وأن تجعله يعمل وفق اعتقادك..

الحقيقة الخامسة:

من الثابت تاريخيا، وواقعيا، أن المسلمين لم يلجئوا في يوم من الأيام إلى إكراه أحد إلى الدخول في الإسلام، وإنما كانوا إذا فتحوا بلداً من البلاد، عرضوا على أهله الإسلام، فإن دخلوا فيه عن اقتناع فبها ونعمت، وإن أبوا إلا البقاء على دينهم وعقيدتهم، تركوهم وشأنهم، وعاملوهم بالمعاملة التي قررتها شريعة الإسلام..

وقد ذكر لنا المؤرخون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رأى امرأة عجوزا ليست مسلمة، فقال لها: أيتها المرأة العجوز أسلمي تسلمي فقالت له: أنا امرأة عجوز، والموت إليّ قريب، وأنا أريد أن أبقى على ديني. فقال عمر (ﷺ): اللهم أشهد بأنني بلغت..

فإن قال قائل: ولكن ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله (ﷺ) قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه بحق الإسلام وحسابه على الله»[١].

قد يفهم البعض من ظاهر الحديث، أنه يتعارض مع قوله (ﷻ): ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ لأنه القتال قد يعني الإكراه..

والجواب على هذه الشبهة:

أن المراد بالناس في الحديث الشريف، كما قال المحققون من العلماء، أولئك الذين يحاربون دعوة الإسلام بكل وسيلة، والذين يعلنون عداوتهم للمسلمين، وما تخفي صدورهم أكبر.. فهؤلاء الذين قصدهم رسول الله (ﷺ) بقوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله».

وهؤلاء هم الذين أمرنا الله تعالى برد عدوانهم، ودفع بغيهم، صيانة لكرامتنا، أما غيرهم ممن هم ليسوا على ديننا ولا يعيشون معنا، ولكنهم لا يسيئون إلينا، فالقرآن الكريم يقول في شأنهم: ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ﴾ (التوبة: من الآية٧).

وأما غيرهم – أيضاً – ممن هم ليسوا على ديننا، ولكنهم يعيشون معنا ونعيش معهم في وطن واحد، وتجمعنا مصالح مشتركة، فهؤلاء تنطبق علينا وعليهم القاعدة الشرعية التي تقول: (لهم ما لنا، وعليهم ما علينا) ولم يذكر التاريخ أن أحداً من المسلمين. سواء أكان حاكما أم محكوما. أجبر غيره من أصحاب الديانات الأخرى على الدخول في الإسلام لأن المسلم الصادق في إيمانه وفي عقيدته هو الذي يعمل بقوله تعالى:

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ (الممتحنة: ٨، ٩).

---

(١) رواه الشيخان.

الحقيقة السادسة:

أنة من الثابت أيضاً تاريخياً وواقعياً، أنه يأت كل يوم إلى مشيخة الأزهر الشريف بمصر عن اقتناع وطواعية واختيار ومن شتى بقاع الأرض العديد ليعلنوا دخولهم في الإسلام، وهم يعدون بالألف وعلى سبيل المثال وحسب الإحصائيات:

ففي سنة (٢٠٠٠م) بلغ عدد الذين دخلوا في الإسلام من (٩٠) تسعين دولة (٩٣٨) فرداً.

ففي سنة (٢٠٠١م) بلغ عدد الذين دخلوا في الإسلام من (٩١) واحد وتسعين دولة (٨٦٠) فرداً.

ففي سنة (٢٠٠٢م) بلغ عدد الذين دخلوا في الإسلام من (٩٣) ثلاث وتسعين دولة (١١١٦) فرداً.

ففي سنة (٢٠٠٣م) بلغ عدد الذين دخلوا في الإسلام من (٩٨) ثمان وتسعين دولة (١٣٤٤) فرداً.

ففي سنة (٢٠٠٤م) بلغ عدد الذين دخلوا في الإسلام من (١٢٢) مائة واثنين وعشرين دولة (١٦٧١) فرداً.

وفي سنة (٢٠٠٥ م) بلغ عدد الذين دخلوا في الإسلام من (١٠٤) مائة وأربع دولة (٢٠٥٢) فردا.

وهؤلاء جميعًا من رجال ونساء جاءوا من بلادهم طائعين مختارين إلى مشيخة الأزهر ليعلنوا دخولهم في الإسلام. [١] دون أن يكرههم أحد على ذلك بحد السيف، كما زعم القيصر البيزنطي، ولا بأية وسيلة من وسائل القهر أو الإجبار أو ما يشبهها كما زعم غيره، أليس ذلك كله يبين أن شريعة الإسلام تهدر وتبطل كل قول أو فعل أو اعتقاد يأتي عن طريق القهر أو الإكراه أو الإجبار، لأن ذلك يتنافى مع مبادئ الإسلام وشريعته التي تقوم على التدبير والتفكر والإقناع والاختيار؟!! فهل بعد هذا يا قداسة البابا يستطيع أي عاقل أن يقول أن الإسلام قد انتشر بحد السيف أو ينتشر بحد السيف؟!!.

(١) د/ محمد سيد طنطاوي – الأهرام – مجلة الأزهر – لشهر ذي القعدة سنة ١٤٢٧ هـ.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾

وسام شرف على جبين الإسلام..

الحمد لله أن الإسلام قد قال: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

إن هذا الجزء من الآية هو بمثابة وسام شرف على جبين الدعوة الإسلامية. فهي تظهر وتوضح أن الدين الإسلامي لا يكره أحد على اعتناقه كما بينا آنفا، وتبين أيضا أنه الدين الوحيد الذي قرر حرية العقيدة حين قال هذه الآية الشريفة المباركة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقد أحال الإسلام مسألة العقيدة إلى المشيئة الحرة للإنسان في قوله: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ (الكهف: ٢٩).

وهذا يبين أن القرآن الكريم يحتل مركز الصدارة بين الكتب السماوية في تحرير الإنسان من سلطان العقائد والأفكار التي يفرضها الطغاة على عقول الناس بالقهر والإكراه.

والذي ينظر للقرآن نظرة متجردة للبحث النزيه لا يصعب عليه اكتشاف النسق المترابط الذي يؤدي أخيرا إلى تقرير الحقيقة الخالدة: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٦).

هذه الحقيقة تبنى على حقيقتين مترابطتين:

الحقيقة الأولى: أن الله (ﷻ) لو شاء أن يخلق الناس على دين واحد وعقيدة واحدة لفعل، لكنه (ﷻ) لم يرد ذلك، وأراد أن يخلقهم مختلفين في العقائد والأفكار بل في اللغات والألوان وحتى بصمات الأصابع يقول الله (ﷻ): ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (سورة هود:١١٨) وقوله (ﷻ): ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ تلفت النظر إلى أن اختلاف الناس في هذه الأمور حقيقة كونية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير حتى آخر لحظة من عمر هذا الكون.

الحقيقة الثانية: أن الناس رغم اختلافهم، أبناء أب واحد وأم واحدة، وأن الصيغة التي يجب أن تحكم علاقاتهم هي صيغة التعارف والتآلف يقول الله (ﷻ): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (سورة الحجرات: من الآية١٣).

وعلينا أن نلحظ الترابط المنطقي في الآية الكريمة بين تذكير الناس برابطة الأخوة والنبوة لأب واحد وأم واحدة وما تقتضيه هذه الرابطة من علاقات التعارف.وهاتان الحقيقتان لابد أن تنتهيا بالضرورة إلى تأصيل حق الإنسان في حرية العقيدة، فلا تفرض عليه بسيف أو بما يجري مجرى السيف من ضغوط أو إغراءات تستغل فقر الناس وحاجاتهم لتفتنهم عن أديانهم وتجرهم جراً إلى هذه العقيدة أو تلك، ومن هنا جاءت العقيدة القرآنية التي تقرر: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾.

بمثابة النتيجة التي تترتب على الحقيقتين السابقتين ترتيباً ضرورياً، والدين الذي تنشغل نصوصه المقدسة بتقرير هذه الحقوق لا يصح أن يتهم بأنه دين سيف أو دين يشترى ويباع في أسواق المصالح والمنافع وحاجات الناس وضروراتهم، والدين الذي تفسح نصوصه المقدسة مساحات واسعة لتقرير حرية الاعتقاد حرية مطلقة لاشك هو أبعد الأديان عن السيف لأنه لا يعترف بالعقائد المختطفة ببريق السيف أو بريق الأموال والخدمات فهذا وذاك في فلسفة الإسلام من الأساليب غير النظيفة في تحصيل العقائد.

وهذه الآية وسام شرف على صدر كل مسلم يفاخر به الحضارات الأخرى التي تنشر ثقافاتها بإبادة الآخرين واستئصال عقائدهم.

وهذه الآية بمثابة حاجز منيع يحول بين المسلم وبين أن يتصور اجتماع الناس على عقيدة واحدة، ومن هنا لا يتصور مسلم واحد اجتماع الناس على دين واحد، حتى لو كان هذا الدين هو الإسلام. ولذلك خلت حضارة المسلمين من العنف ومن نفي الآخر.

ولم يذكر وينقل التاريخ أنهم كانوا يحررون المستضعفين من أجل استعبادهم والاستيلاء على مقدراتهم.

ومن المعلوم لدى المنصفين من غير المسلمين أن القتال في الإسلام لم يكن أبدا لتغيير الأديان أو فرض الإسلام على أهل دين آخر.

وما روى التاريخ أن المسلمين كانوا يباغتون الآخرين ويقولون لهم: (إما الإسلام وإما السيف) وهذه حقيقة شديدة الوضوح في التاريخ لولا الأغاليط الكريهة التي تثار بين الحين والحين.

ولو أن القرآن الكريم أو السنة النبوية أشارت مجرد إشارة إلى فرض الإسلام وحضارته على الناس بالسيف لما بقي غير المسلمين في البلاد التي فتحوها، ولما قبل المسلمون المنتصرون بقاء الآخرين على أديانهم نظير ضريبة رمزية لا تغني الغالبين ولا تفقر المغلوبين.

وينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن إقرار الآخرين على أديانهم يستلزم في الوقت ذاته إقرار الآخرين على حضاراتهم وأنماط حياتهم، مما يبرهن على أن هذا الدين لا يضيق بالأديان الأخرى ولا بحضاراتها، ويتقبلها حتى وإن اختلف معها. ولك أن تقارن بين هذه الصورة وصورة المسلمين المضطهدين في الأندلس حين فرض عليهم التحول إلى الكاثوليكية والارتداد عن الإسلام بالعنف والقسر والإكراه ومحاكم التفتيش[١].

ولم يشهر المسلمون سيوفهم إلا دفاعاً عن أنفسهم، وكفا للعدوان عنهم، ثم كانت الفتوح بعد ذلك من ضرورات الملك، وجملة القول في القتال أنه شُرع للدفاع عن الحق، وأهله، وحماية الدعوة ونشرها والإسلام يقرر منهج الدعوة إلى الإسلام بقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ (النحل: من الآية١٢٥).

- ومن رسائل النبي (ﷺ) إلى أهل اليمن:

(أنه من كان على يهودية أو نصرانية فلا يفتن عنها)[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المسلمين حينما فتحوا مصر لم يرغموا أحداً من أهلها

---

(١) د/ أحمد الطيب - رئيس جامعة الأزهر - صحيفة الأهرام ٢٠/ ١١/ ٢٠٠٦م صـ٢٨.

(٢) ذكره ابن كثير في جامع المسانيد (٢/ ٥٧٨).

على الدخول في الإسلام، ولذلك ظل المسلمون في مصر أقلية مدة قرنين من الزمان وأي تجاوزات أو انحرافات عن هذا الخط الواضح للإسلام لا يجوز إلصاقها بالإسلام بأي حال من الأحوال..

إن القرآن الكريم يرفض العدوان على الآخرين رفضاً قاطعاً طالما لم يسيئوا إلى المسلمين، ويطلب من المسلمين أن يتعاملوا معهم على أساس من التعايش الإيجابي بالبر والعدل، وآيات القرآن الكريم في هذا الصدد واضحة وصريحة لكل باحث نزيه وقد أكد القرآن الكريم بأسلوب الحصر هدف الدعوة الإسلامية بقوله مخاطباً النبي (ﷺ):

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء:١٠٧)

.فالرحمة عنوان الإسلام والإسلام مشتق من نفس الأصل الذي منه الإسلام فهو دين السلام..

- والإسلام لم ينتصر بالسيف، بل انتصر على السيف الذي شهر وسلط في وجهه من أول يوم، وظل ثلاثة عشر عاماً يتحمل الأذى والفتنة في سبيل الله، حتى تنزل قول الله تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ ﴾ (الحج: ٣٩، ٤٠).

- إنما فرض الجهاد دفاعاً عن النفس، ومقاومة الفتنة، والفتنة أشد من القتل وأكبر، ولذا قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة:١٩٠).

فالإسلام لا يحب المعتدين على الآخرين، فهو يبغض الاعتداء على الآخرين ويدعوا إلى السلام ولذا قال الله (ﷻ):

﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾ (النساء: ٩٠).

وأمام أعيننا اليوم، من هو الإرهابي، هل الإسلام؟! أم أتباع النصرانية هم الذين

يعتدون كل يوم على الحرث والزرع والنسل في كل بلدان العالم الإسلامي، فمن الذي غزا أفغانستان؟!!. واحتل العراق وهدم البنية التحتية والفوقية للبنان؟؟ وغيرهم من بقاع الأرض، ومن الذي قال أنها حرب صليبية؟!!.

والإسلام يؤكد على مبدأ عدم الإكراه في الدين بداية من قوله (ﷻ): ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة ٢٥٦) ومن ثم فلا ضير في التساؤل والتحاور والمجادلة بالتي هي أحسن، بل الضير كل الضير في العناد والشقاق والتشدد الذي يورث الكراهية والبغضاء ويحجب القلب والعقل ومختلف الحواس عن الامتثال للحقيقة، والمعرفة الصحيحة السليمة، الأمر الذي أشار إليه القرآن الكريم عندما قال: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ (الكهف:٥٧).

ويقول الله (ﷻ): ﴿ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الإسراء:٩٧).

﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ ﴾ (الكهف:١٧). وقوله (ﷻ): ﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ (البقرة: من الآية٢١٣)، ﴿ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ ﴾ (النور:٤٦) .

وقوله (ﷻ): ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ (يونس:٢٥).

وقوله (ﷻ): ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ (الكهف:٥٧).

وبين القرآن الكريم أيضاً: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾. (القصص:٥٦).

والدعوة لا تكون إلا بالحسنى ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهي حرية كاملة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾. (الكهف: من الآية٢٩).

والإسلام لا يعرف ما يسمى بالحرب المقدسة، والجهاد في الإسلام شرع لرد العدوان فقط كما يقول (ﷻ):﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ ﴾ (البقرة:١٩٠).

وقوله: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (البقرة: من الآية١٩٤).

والجهاد الأكبر هو جهاد النفس، كما يكون الجهاد بالنفس على المسلمين فإنه يكون أيضا بالعلم وبالمال عمل ينصف المظلوم ويقيم موازين العدل ويحض على الفضائل، وينهي عن الرذائل وأن اختزان الجهاد في الإسلام في الحرب ضد الآخرين لنصر الإسلام بالسيف هو تفسير خاطئ لهذا المفهوم، فنشر الإسلام لا يكون إلا بالاقتناع وبالحجة والبرهان، والإسلام لم ينتشر بالسيف كما أشاع المستشرقون ولكن بقوته الذاتية، وليس أدل على ذلك من انتشاره في جنوب شرق آسيا والصين عن طريق التجار المسلمين الذين لم يكونوا مسلحين لإرغام الناس على اعتناق الإسلام..

ولم يكن السيف هو السبب في سرعة انتشار الإسلام وإقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة، إنما كان لسهولة تعقله ويسر أحكامه، وعدالة شريعته، وبالجملة، لأن فطرة البشرية تطلب دينا، وترتاد منه ما هو أمس بمصالحها وأقرب إلى قلوبها ومشاعرها، وأدعى إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة، ودين هذا شأنه يجد إلى القلوب منفذا، وإلى العقول مخلصاً.

بدون حاجة إلى دعاة ينفقون الأموال الكثيرة والأوقات الطويلة، ويستكثرون من الوسائل ونصب الحبائل لإسقاط النفوس فيه[1].

---

(١) محمد عمارة. الغرب والإسلام. صـــ ١٥٤، ١٥٥.

ونذكركم بأن رسول الله (ﷺ) لم يقل في القرآن الكريم:

(لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض).

(ما جئت لألقي سلاما بل سيفاً)!![1].

ولم يأمرنا رسول الإسلام بأن نتعامل مع أعدائنا بأن نقتل جميع الرجال والنساء والأطفال والرضع والبقر والغنم والإبل والحمير.

وإنما يأمرنا رسول الله (ﷺ) وشريعة الإسلام بعدم المساس بالنساء والأطفال والرضع والغنم.. الخ فإنه محرم المساس بهم حتى وهم في معسكر العدو..

نعم كان هناك سيف، لكنه كان ضد ممالك ظالمة، لكن سيف الإسلام لم يرتفع أبداً على صاحب حق أو صاحب حاجة. والبابا لم يميز بين محمد (ﷺ) المرسل، ومحمد السياسي ورئيس دولة المدينة، ومحمد النبي لم يرغم أحداً على قبول الإسلام ولم يحارب لنشره، وإنما حارب الذين هاجموه دفاعا عن حياه الجماعة التي أصبح مسئولا عنها.

والبابا لم يميز أيضا بين الفتوح العربية من ناحية وانتشار الإسلام من ناحية أخرى، من المؤكد أن العرب دخلوا فارس، العراق، الشام، مصر، وبلاد المغرب، والأندلس بحد السيف، لكن شعوب هذه البلاد لم تدخل في الإسلام إلا بإرادتها، والإسلام لم يصبح دين الأغلبية فيها إلا بعد أن مضت على الفتح مئات السنين[2].

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: ٢١٦).

والقتال في سبيل الله (الجهاد) سنة ماضية في دين الله يقتضيه العقل والمنطق، ومن يتتبع سير الأنبياء مع أقوامهم يجد أن الجهاد شرع للدفاع عن دين الله تعالى، وإيصالها للناس، وليس غاية في حد ذاته.

ولقد أخبرنا القرآن الكريم عن الجهاد في بني إسرائيل بل أنهم لم يتمكنوا من سكنى الأرض التي وعدهم الله على لسان نبيهم موسى (عليه السلام) لعدوهم المناوئ لهم.

---

(١) إنجيل متى (١٠ / ٣٤).

(٢) أحمد عبد المعطي حجازي - الأهرام - الأربعاء (٢٠/ ٩/ ٢٠٠٦م).

ولما ركن بنو إسرائيل إلى الدعة والكسل في بلدهم التي سكنوها بعد التيه، نال منهم عدوهم ذلة وغلبة حتى طلبوا من أحد أنبيائهم الإذن بالقتال وأن يؤمروا به (أي يفرض عليهم) يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾ (البقرة:٢٤٦).

قال القرطبي: (وهذه الآية هي خبر عن قوم من بني إسرائيل نالتهم ذلة وغلبة عدوهم، فطلبوا الإذن بالجهاد وأن يؤمروا به). [١].

وفي شريعة عيسى ابن مريم على الرغم مما اتصفت به رسالته من التسامح والدعوة إلى العفو فقد حاربه بني إسرائيل (بني قومه) واتفقوا على محاربة دعوته فظل ثلاث سنوات يدعوهم بالحسنى ويصبر على آذاهم الذي طال حواريه (أتباعه وأصحابه) ثم أخذ يدافع عن رسالته ويهاجم المناوئين له من اليهود والفرسيين، فقد جاء على لسانه:(ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً) (إنجيل متي ١٠/ ٣٤).

لهذا فرض الله (ﷻ) الجهاد في سبيله على الرغم من أن النفس البشرية تكرهه، قال الله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾ (البقرة: ٢١٦).

وعن هذا السيف يقول الكاتب الإسرائيلي (يوري أميتري): على البابا أن يسأل.

كيف تعامل الحكام المسلمين مع أصحاب الديانات الأخرى حينما كانت لديهم القوة الكافية لنشر الإسلام بحد السيف. حيث حكم المسلمون اليونان قروناً ولم يتحول اليونانيون إلى الإسلام، واعتلى كثيرون منهم مناصب رفيعة في الإدارة العثمانية، وهكذا كانت أحوال البلغار والصرب والرومانيين، وفي الأندلس كان من بين اليهود شعراء ووزراء وعلماء؟؟!!.

---

(٢) أ.د/ أحمد شلبي – المسيحية – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الحادية عشر ٢٠٠٢م – صـ٩٥.

- إن قصة نشر الإسلام بالسيف أسطورة شريرة ترددت في الحروب الصليبية، ومحاولات استعادة الأندلس، وصد جيوش الأتراك عن فيينا، فأي حرب جديدة يبشر بها الحبر الأعظم حتى يردد تلك الخرافة؟!!.

- وأما عن قولك بأن الإسلام انتشر بحد السيف. فالحق أن النبي (ﷺ) لم يحارب إلا الذين منعوا المسلمين من أداء مناسكهم، و الذين أرادوا قتل المسلمين، وتوقف القتال عندما تبين الناس ما هو الدين الذي ينادي به وأنه لا يمجد أو يعظم أو يقدس إلا الله خالق العالم . هذا هو الدين الوحيد الصحيح، وللمقارنة فإن عدد الذين قتلوا من المشركين والكفار حتى ملأ الإسلام الأرض من النيل للفرات أقل ممن قتلهم موسى (عليه السلام) من بني إسرائيل في معركة واحدة - ثلاثة آلاف حسب رواية التوراة التي تقول: (هكذا قال الرب آله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه، وكل واحد قريبه. ففعل ابن لأوي بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل وقال موسى املاءوا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه، فيعطيكم اليوم بركة[1].

(١) سفر الخروج إصحاح: ٣٢: ٢٦/ ٢٩.

م	عدد ضحايا غير اليهود	مصدر السفر	م	عدد ضحايا اليهود في حروبهم الداخلية أو مع الأجانب..	مصدر السفر
١	١٢,٠٠٠ ضحايا عاي	يشوع ٨/ ٢٥	٢١	٤٢,٠٠٠ من أفرأيم	قضاة ١٢/ ٦
٢	١٠,٠٠٠ من الكنعانيين والفرزيين	قضاة ١ / ٤	٢٢	٢٢,٠٠٠ من إسرائيل	قضاة ٢٠/ ٢١
٣	١٠,٠٠٠ من موآب	قضاة ٣/ ٢٩	٢٣	١٨,٠٠٠ من إسرائيل	قضاة ٢٠/ ٢٥
٤	١٢٠,٠٠٠ من مديان	قضاة ٨/ ١٠	٢٤	٢٥,٠٠٠ من بنيامين	قضاة ٢٠/ ٣٢
٥	١٠٠٠ من شكيم	قضاة ٩/ ٤٩	٢٥	٣٠ من إسرائيل	قضاة ٢٠/ ٣٩
٦	٣٠ من أشقلون	قضاة ١٤/ ١٩	٢٦	١٨,٠٠٠ من بنيامين	قضاة ٢٠/ ٤٢
٧	١٠٠٠ من الفلسطينيين	قضاة ١٥/ ١٧	٢٧	٢٠٠٠ من بنيامين	قضاة ٢٠/ ٤٥
٨	٣٠٠ من الفلسطينيين	قضاة ١٦/ ٢٧	٢٨	٤,٠٠٠ من إسرائيل	صموئيل أول ٤/ ٢
٩	٢٠ من الفلسطينيين	صموئيل أول ١٤/ ١٤	٢٩	٣٠,٠٠٠ من إسرائيل	صموئيل أول ٤/ ١٠
١٠	٢٠٠ من الفلسطينيين	صموئيل أول ١٨/ ٢٧	٣٠	٥٠,٠٧٠ من بيتشمن	صموئيل أول ٦/ ١٩
١١	٢٢,٠٠٠ من آرام	صموئيل ثان ٨/ ٥	٣١	٨٥ من الكهنة	صموئيل أول ٢٢/ ١٩
١٢	١٨,٠٠٠ من آرام	صموئيل ثان ٨/ ١٣	٣٢	٢٠ عبيد داود	صموئيل أول ٢/ ٣٠
١٣	٤٠,٠٠٠ من آرام	صموئيل ثان ١٠/ ١٨	٣٣	٣٦٠ رجال أبنير ٢	صموئيل أول ٢/ ٣٠
١٤	١٠٠,٠٠٠ من آرام	ملوك أول ٢٠/ ٢٩	٣٤	٢٠,٠٠٠ من إسرائيل	صموئيل ثان ١٨/ ٧
١٥	١٠,٠٠٠ من أدوم	ملوك ثان ١٤/ ٧	٣٥	٤٢ من أخوة أخزيا	صموئيل ثان ١٠/ ١٣
١٦	١٨٥,٠٠٠ من آشور	ملوك ثان ١٩/ ٣٥	٣٦	٥٠ من الجلعاديين	صموئيل ثان ١٥/ ٢٥
١٧	١,٠٠٠,٠٠٠ من الكوشيين	أخبار الأيام الأول ١٤/ ٩	٣٧	١٢٠,٠٠٠ من يهوذا	أخبار الأيام الثاني ٢٨/ ٦
١٨	٥٠٠ من الفرس	١٥،	٣٨	٧٠ من أخوة أبيمالك	قضاة ٩/ ٥
١٩	٧٥,٠٠٠ من الفرس	إستير ٩/ ٥		مجموع الضحايا من اليهود ٣٥٢,٨٢٧	
٢٠	٣٠٠ من الفرس	إستير ٩/ ١٦		والمجموع الكلي للضحايا المحصاة من	
	مجموع الضحايا من غير اليهود ١,٦٣٥,٦٥٠	إستير ٩/ ١٥		الجانبين ١,٩٨٨,٤٧٧ قتيلا! (١)	

(١) فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي صـ١٨٩/ ١٩١.

وحتى نجسد للقارئ الفوارق الجوهرية والنوعية بين العقلية الإسلامية والتاريخ الحقيقي الموثق الذي صنعه المسلمون. وبين العقلية اليهودية والتاريخ الوهمي الذي تخيلته وحلمت به. نسوق رقم ضحايا كل الغزوات التي انتصر بها الإسلام على الشرك والوثنية وغيّر بها مجرى التاريخ. والتي لا يتعدى رقمها ٣٨٦ قتيلا، هم جملة قتلى المشركين وشهداء المسلمين. لنقارن برقم المليونين من ضحايا الحروب الدينية التي أورد أخبارها الكهنة في أسفار العهد القديم. وزيادة في التوثيق نقدم جدولاً بالغزوات الإسلامية التي تمت في العصر النبوي. وآخر الحروب التي وردت أخبارها وأرقام ضحاياها في العهد القديم.

غزوات الإسلام التي حدث فيها قتال:

رقم	الغـــزوة	عدد قتلى المشركين	عدد شهداء المسلمين	تاريخ الغزوة	ملاحظات
١	غزوة بدر	٧٠	١٤	سنة ٢ هـ	
٢	غزوة السويق	- -	٢	سنة ٢ هـ	الـ ٦٠٠ الذين قتلوا من بني قريظة لم يقتلوا في الحروب.. وإنما قتلوا قضاء بالتحكيم الذي ارتضوه - جزاء على خيانتهم. فلا يحسبون في قتلى المعارك
٣	بعث كعب بن الاشرف	١	- -	سنة ٣ هـ	
٤	غزوة أحد	٢٢	٧٠	سنة ٣ هـ	
٥	غزوة حمراء الأسد	١	- -	سنة ٣ هـ	
٦	بعث الرجيع	- -	٧	سنة ٣ هـ	
٧	بعث بئر معونة	- -	٢٧	سنة ٣ هـ	
٨	غزوة الخندق	٣	٦	سنة ٣ هـ	
٩	غزوة بني قريظة	٧٠٠	- -	سنة ٥ هـ	
١٠	بعثة عبد الله بن عتيك	١	- -	سنة ٥ هـ	
١١	غزوة ذي قرد	١	٢	سنة ٥ هـ	
١٢	غزوة بني المطلق	- -	١	سنة ٦ هـ	
١٣	غزوة خيبر	٢	٢٠	سنة ٦ هـ	
١٤	غزوة وادي القرى	- -	١	سنة ٧ هـ	
١٥	غزوة مؤتة	- -	١١	سنة ٧ هـ	
١٦	فتح مكة	١٧	٣	سنة ٨ هـ	
١٧	غزوة حنين	٨٤	٤	سنة ٨ هـ	
١٨	غزوة الطائف	- -	١٣	سنة ٨ هـ	
١٩	غزوة تبوك	- -	- -	سنة ٨ هـ	
٢٠				سنة ٩ هـ	
	الـــمجموع	٢٠٣	١٨٣		المجموع الكلى من الجانبين ٣٨٦ [١]

(١) أيمن عبد البر - الدرر في اختصار المغازي والسير - تحقيق د/ شوقي ضيف - طبعة القاهرة ١٩٦٦م.

أما لماذا يهود بني قريظة؟!

ذلك لأنهم خانوا رسول الله (ﷺ) وتحالفوا مع الأحزاب ليفتكوا بالرسول (ﷺ) ويستأصلوا المسلمين في حصار الأحزاب رغم ما بينهم من عهد.

فلم يكن من الممكن بأي حال من الأحوال أن يستطيع المسلمون بعد ذلك أن يتعايشوا معهم في المدينة.

وعندما نرجع إلى شريعة اليهود في التوراة نجدهم في سفر التثنية. الفصل العشرين يدعون جيوشهم إذا هاجمت مدينة، فأنهم يدعونهم إلى السلم، فإن قبلت فرضوا عليها الجزية وتعبدت لهم، وإن حاربتهم فيحاصروها، وإذا أسلمها الرب إلى أيديهم فيضربوا كل ذكر بحد السيف.

والرسول (ﷺ)- بذلك - إنما طبق على بني قريظة ما جاء في شريعتهم ولنرجع إلى التوراة والفصل الثاني عشر من سفر الملوك الثاني فسنرى داود (عليه السلام)، استولى على مدينة (ربة) عاصمة (بني عَمّون) وهم شعب سامي، وكانت مدينة (ربة) بمكان (عَمّان) الحالية بالأردن، وتقول التوراة:

(أخرج شعبها ووضعهم تحت مناشير ونوارج من حديد وفئوس من حديد وطرح منهم في أتون الآجر (أي في الموقد الكبير للآجّر) .

وتقول التوراة:(إنه صنع ذلك بجميع مدن بني عَمّون).

والرسول(ﷺ) لم يضع أحداً من بني قريظة تحت مناشير أو تحت نوارج من حديد، ولا وضع أحداً منهم في موقد نيران [١].

ويقول المفكر جاك مندرسون في كتابه الرب والله وجو جو:

(إن الأفارقة لا ينسون أن المسيحية دخلت أفريقيا بحد السيف)...

وقد أنصف بعض الكتاب الغربيين الإسلام ورفضوا مقولة انتشاره بالسيف، ومن بين هؤلاء المستشرق المعروف توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام)..

---

(١) د/ شوقي ضيف - محمد خاتم المرسلين - دار المعارف - سنة ٢٠٠٠ - صـ ٢٧٢، ٢٧٣.

ويقول مونتجمري وات Montgomery Watt..

يبدو أن الحركة الصليبية هي التي أدت إلى زيادة اهتمام الباحثين الأوروبيين بالديانة الإسلامية. صحيح أنه كان ثمة بعض الإحاطة بالإسلام من قبل. سواء بفضل المصادر البيزنطية، أو بفضل صلات المسيحيين في أسبانيا. غير أن تلك المعارف السائدة وقتذلك كانت مشوبة إلى حد رهيب بالأوهام والأخطاء. فقد نظر إلى العرب باعتبارهم وثنيين يعبدون محمداً. ونظر إلى محمد باعتباره ساحراً بل الشيطان بعينه (لاحظ تحريف اسمه إلى Mohound في الإنجليزية). كما شاع القول بأن الدين الإسلامي يبيح الاتصال الجنسي غير الشرعي ويطلق العنان لإشباع الغريزة الجنسية. وقد خصص (بدور دو ألفونسو) اليهودي المتنصر في بداية القرن الثاني عشر إحدى محاوراته لموضوع الطعن في الإسلام والنقاط الأربعة الرئيسية التي راحوا يشوهون صورة الإسلام في العصور الوسطى هي..

(١) أن الدين الإسلامي أكذوبة وتشويه متعمد للحقيقة..

(٢) أنه دين العنف والسيف..

(٣) أنه دين يطلق لشهوات المرء العنان..

(٤) أن محمداً (ﷺ) هو المسيح الدجال..

أما عن..

أن الإسلام دين العنف والسيف: فيقول مونتجمري وات..

قام بعض العلماء ومن أمثالهم توما الأكويني بالقول بأن محمداً إنما نشر الإسلام بالقوة العسكرية..

كما كانوا يقولون أنه من بين تعاليم دين العرب الدعوة إلى (السرقة) من أعداء الله ورسوله وأسرهم وقتلهم، واضطهادهم وهدمهم بأي صورة من الصور[1].

بل لقد بلغ الأمر بأحد كبار المتحمسين المدافعين عن الحروب الصليبية وهو

---

(١) بدوردو الفونسو - اليهودى المتنصر. حسب قول مونتجمري وات. صـ ١٠٢.

هومبرت أوف رومانس (Humbert of Romans) إلى حد قوله: إن المسلمين شديدو الحماس لدينهم لدرجة أنهم يقطعون دون رحمة رأس أي مخلوق يهاجم هذا الدين في أي إقليم يسيطرون عليه..

والواقع أن الصورة الأوروبية للإسلام هي أبعد ما تكون عن الحقيقة وأن اليهود والنصارى وأتباع الديانات الأخرى التي يعترف الإسلام بها لم يخيروا بين الإسلام والسيف، وأن الذين خيروا بينهما هم عبدة الأوثان وحدهم، ولم نسمع الكثير عن حدوث هذا خارج شبه جزيرة العرب. إن النشاط الحربي للمسلمين، هو الذي يملأ خبره كتب التاريخ، فإنما أدى إلى توسع سياسي، وجاء اعتناق الإسلام نتيجة للدعوة إليه أو نتيجة الضغط الاجتماعي..

وفي تلك الصورة للإسلام باعتباره دين عنف ما يراد الإيحاء بأنه مخالف تماما لصورة المسيحية باعتبارها دين سلام انتشر عن طريق الإقناع. ومن القريب أن يصدق الرجال المشتركون في الحروب الصليبية أن دينهم دين سلام، وأن دين خصومهم دين عنف(1).

ويرد على ادعاء السيف هذا (توماس كارليل) في كتابه الأبطال بقوله:

إن اتهام محمد (ﷺ) بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم. إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه يقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته. فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد أمنوا به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها..

وهل كان الرسول أن يقوم في قومه مقام الجبارين فيقتلهم أو يحرقهم لمجرد إعراضهم عن دينه بعد قول الله (ﷻ):

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (ق:٤٥).

---

(١) مونتجمري وات Montgomery Watt – تأثير الإسلام في أوروبا خلال العصر الوسيط. المترجم للعربية بعنوان (فضل الإسلام على الحضارة الغربية)– صـ ١٠٢.

والواقع الثابت في أخبار الدعوة الإسلامية أن المسلمين كانوا ضحايا القهر والتعذيب قبل أن يقدروا على دفع الأذى من مشركي قريش في مكة فهاجروا ديارهم، وتغربوا عن أهلهم حتى بلغوا إلى الحبشة في هجرتهم فهل يأمنون على أنفسهم في مدينة غريبة قبل التجائهم إلى يثرب وإقامتهم في جوار أخوال الرسول (ﷺ). ولم يعمد المسلمون قط إلى القوة إلا لمحاربة القوة التي تصدهم عن الاقتناع، فإذا رصدت لهم الدولة القوية جنودها حاربوها لأن القوة لا تحارب بالحجة والبينة. وإذا كفوا عنهم لم يتعرضوا لها بسوء لذلك سالموا الحبشة ولم يحاربوها، وحاربوا الفرس لأن كسرى أرسل إلى عامله في اليمن يأمره بتأديب النبي أو ضرب عنقه وإرسال رأسه إليه..

وحاربوا الروم لأنهم أرسلوا طلائعهم إلى تبوك وعادت السرية بغير قتال حين وجدت في تبوك أنهم لا يتأهبون للزحف على بلاد العرب ذلك العام..

ولم يفاتح النبي أحداً بالعداء في بلاد الدولتين. إنما كتب إلى الملوك والأمراء يبلغهم دعوته بالحسنى، ولم تقع الحرب بعد هذا البلاغ بين المسلمين وجنود الفرس والروم إلا بعد تحريضهم القبائل العربية في العراق والشام على غزو الحجاز وإعدادهم العدة لقتال المسلمين..

وقد علم المسلمون بإصرارهم على اغتنام الفرصة العاجلة لمباغتتهم بالحرب من أطراف الجزيرة. ولولا اشتغال كسرى وهرقل بالفتن الداخلية في بلادهما لبوغت المسلمون بتلك الحرب قبل أن يتأهبوا لمدافعتها والتحصن دونها.

وفي الجزيرة العربية لم تقع حرب بين المسلمين وقبائلها إلا أن تكون حرب دفاع أو مبادرة إلى اتقاء الهجوم المبيت في أرض تلك القبائل. وكانت العداوات سافرة بين المسلمين ومشركي قريش لا يكتمها المشركون ولا يواربون فيها ولا يخفون أنهم عقدوا النية على الإيقاع برسول الله (ﷺ) وأصحابه وفض العرب من حوله وإيذاء كل من يدخل منهم في دينه، فلم تكن بين المسلمين والمشركين حالة غير حالة الحرب إلا في أيام صلح الحديبية. ثم عادت الحرب سجالا بين الفريقين حتى فتح مكة وانتقلت الحرب من قتال سافر بين المشركين والمسلمين إلى قتال بالدس والمكيدة بين هؤلاء وزمرة المنافقين..

وقد حرص الإسلام على تسمية كل عدو من أعداءه باسمه لا يعدوه ولم يخلط بين حرب الشرك وحرب النفاق لأنه لا يحاسب على العداوة بالنيات كما يحاسب على العداوة بالأعمال..

أما حرب الجزيرة العربية في غير قريش فلم يحاربهم الإسلام إلا حرب دفاع أو حرب مبادرة لاتقاء الهجوم من جانبها..

هذا حق السيف كما استخدمه الإسلام في أشد الأوقات حاجة إليه حق السيف مرادف لحق الحياة. وكلما أوجبه الإسلام فإنما أوجيه لأنه مضطر إليه وإلا فأنه مضطر إلى التخلي عن حقه في الحياة وحقه في حرية الدعوة والاعتقاد. فلم يكن إلا درءاً للعدوان وإلا فيأتي على حق الحياة وحق الحرية، فالإسلام في كلمتين هو دين السلام وهو دين الفطرة ومجموع الكمالات القدسية والآداب الإلهية وليس بذلك الذي يتذرع إليه بالقسوة والغلظة ويروج في العالم بالسيوف والنيران ومن الأوليات المسلمة أن العقائد لا تتكون في نفوس العقلاء بالقوة والقهر، ولكن لها وسائل معروفة. لا تلتمس إلا بها وعلى قمتها البرهان العقلي..

أما المشركون وأهل الكتاب فقد أرتنا السنة المطهرة والقرآن الكريم أن الرسول (ﷺ) قد اكتفي منهم في حقن دمائهم واحترام حقوقهم بالجزية إذ أبوا الإسلام يدفعونها في سبيل حماية أرواحهم وأموالهم واستمتاعهم بما للمسلمين وما عليهم ومقابل عدم انخراطهم في الجيش وتعريض أرواحهم للموت. فهم إذا ما دفعوها كان لهم ما للمسلمين من الحقوق وعليهم منها ما عليهم..

ويبين القرآن الكريم أن دعوة المسلمين إلى القتال والحرب إنما كانت لرد الاعتداء وليست للاعتداء حيث يقول الله (ﷻ):

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة:١٩٠).

ويقول الله (ﷻ): ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ (البقرة:١٩١من الآية).

ويقول الله (ﷻ): ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾. (البقرة: من الآية١٩٤).

ويقول المولى (ﷻ): ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (التوبة: من الآية٣٦).

ويقول الله (ﷻ): ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ (البقرة:١٩٣).

كذلك لم يحبذ الإسلام القسوة ولم يدع المسلمين إلى الاعتداء فقد تكررت الآيات التي تنهي عن الاعتداء مثل: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة: من الآية١٩٠).

وقوله (ﷻ): ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الأعراف:٥٥).

وقوله (ﷻ): ﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (ق: ٢٤، ٢٥).

أليس في هذا ما يدحض قول خصوم الإسلام ويظهر كذب قولهم بأن الإسلام قد انتشر بحد السيف؟؟!!.

والإسلام لم يستولي على العقول والقلوب والضمائر بالسيف وإنما أخذ بتلابيبها بقوة سلطانه ولم يأخذ بالسيف شيئاً قط. وقد تعاقبت على أممه دول حكمتها وقهرتها بالسيف والنار وتحكمت فيها، فلم يغير ذلك من إسلامها ولا غير من إيمانها، ومازال الغرب إلى اليوم يتحكم في بعض الشعوب الإسلامية ولم يغير ذلك من إيمانها بالله شيئاً، وظل النبي (ﷺ) يدعو ويجاهد في سبيل الله محتملاً الإيذاء وصابراً على إساءات الكفار ثلاث عشرة سنة حتى بدأ يفكر في رد العدوان..

وفي ذلك يقول المستشرق الغربي (بودلي):

كان القرشيون أنفسهم سببا من الأسباب التي دفعت (محمداً) (ﷺ) إلى الالتجاء

للقوة، إذ استمر أعداء أبي جهل لمحمد (ﷺ) في درجة الغليان. فقد كان يغير على جماعات المسلمين المتحركة باستمرار ويقاتل أية جماعة منعزلة يكمن لها. وقد أغار على ضواحي المدينة وأتلف الزرع والحدائق، فأظهر لمحمد (ﷺ) أن شعورهم لم يتبدل وأن هدفه لا يزال قتله، فلم يكن هنالك إلا حل واحد من وجهة نظر الجانبين وهو القتال..

ويقول المستشرق (جيمس متشنر) في مقال له بعنوان اخترت الدفاع عن الإسلام:

لم يحدث في التاريخ أن انتشر دين بهذه السرعة. وعند وفاة (محمد (ﷺ) سنة (٦٣٢م). كان الإسلام يحتل جانباً كبيراً من شبه الجزيرة العربية. ولم يلبث بعد ذلك أن ضم إليها سوريا وبلاد الفرس ومصر والتخوم الجنوبية لروسيا وامتد إلى شمال إفريقيا حتى بلغ مداخل أسبانيا وفي الزمن الذي جاء بعد ذلك كان تقدم الإسلام باهراً. واعتقد الغرب أن توسع الإسلام ما كان يمكن أن يتم لو لم يعمد المسلمون إلى السيف. ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأي فالقرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة والدليل قوي على أن الإسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان مادام أهلها يحسنون المعاملة ويدفعون الجزية..

ومما يؤكد صحة هذا القول أن الإسلام أمر بأن تكون الدعوة له بالسلم وليست بالحرب..

ويقول الله (ﷻ): ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (العنكبوت: من الآية٤٦) ولم يشرع الإسلام إلزام الناس بالإسلام بالقوة.

ويقول الله (ﷻ): ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا ﴾ (الإسراء: من الآية١٥).

وإذا كان الغرب ينظرون إلى نجاح الإسلام وانتشاره بسرعة كبيرة وازدياد رائع في بقاع الأرض يوماً بعد يوم فإن الإسلام لم ينجح لأنه دين قتال كما يردد أعداءه المغرضون، ولكنه نجح لأنه دعوة لازمة يقوم بها داع موفق ، وليس بين أسباب بخاصة سبب يصعب فهمه على هذا الاعتبار.

- والواقع إن الإسلام في بداءة عهده كان هو المعتدى عليه ولم يكن من قبله اعتداء على أحد. وظل كذلك حتى بعد تلبية الدعوة المحمدية واجتماع القول حول النبي (ﷺ)، فإنهم كانوا يقاتلون من قاتلهم ولا يزيدون على ذلك: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٠).

- وقد صبر المسلمون على المشركين حتى أُمِروا أن يقاتلوهم كافة كما يقاتلون المسلمين كافة، فلم يكن لهم قط عدوان ولا إكراه.

- وحروب النبي (ﷺ) كانت كلها حروب دفاع. ولم تكن منها حرب هجوم إلا على سبيل المبادرة بالدفاع بعد الإيقان من نكث العهد والإصرار على القتال، وتستوي في ذلك حروبه (ﷺ) مع قريش وحروبه مع اليهود أو مع الروم..

- إن الإسلام إنما يعاب عليه أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والإقناع، ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف (سلطة) تقف في طريقه وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للإصغاء إليه لأن السلطة تزال بالسلطة، ولا غنى في إخضاعها عن القوة. ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الإسلامية وإنما كانوا أصحاب سيادة موروثة وتقاليد لازمة لحفظ تلك السيادة في الأبناء بعد الآباء، وفي الأعقاب بعد الأسلاف. وكل حجتهم التي يدافعون بها عن تلك التقاليد أنهم وجدوا آبائهم عليها، وإن زوالها يزيل ما لهم من سطوة الحكم والجاه. وقصد النبي (ﷺ) بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمراءها لأنهم أصحاب السلطة التي تأبي العقائد الجديدة، وقد تبين بالتجربة بعد التجربة أن السلطة هي التي كانت تحول دون الدعوة المحمدية وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء، لأن امتناع المقاومة من هؤلاء العظماء والملوك كانت تمنع العوائق التي تصد الدعوة الإسلامية فيمتنع القتال. فمحاربة السلطة بالقوة غير محاربة الفكرة بالقوة.

- وحدث فعلا أن المسلمين فتحوا بلادا غير بلاد العرب ولم يكن يتأتى لهم فتحها بغير السلاح. ثم إن هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة الإسلامية واستقرارها إن لم تفرضها الدعوة. فلا يمكن أن يقال أنها كانت وسيلة الإسلام للظهور، وقد ظهر

الإسلام قبلها وتمكن في أرضه واجتمعت له جنود تؤمن به وتقدم على الموت في سبيله ثم إن هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة الإسلامية إن لم تفرضها الدعوة إلى دينها.

- فلو افترضنا جدلا، أن الخليفة المسلم لم يكن صاحب دين ينشره ويدعو إليه، لوجب في ذلك العهد أن يأمن على بلاه من الفوضى التي شاعت في أرض فارس وفي أرض الروم. ووجب أن يكف بلاده الشر الذي يوشك أن ينقض عليه ، وأن يمنع عدوى الفساد أن تسر إلى بلاده.

- كما أن المقارنة بين ما كانت عليه شعوب العالم يومئذ قبل إسلامها وبعد إسلامها تدل على أن جانب الإسلام هو جانب الإقناع لمن أراد الإقناع، فقد استقر السلام بالإسلام بين تلك الشعوب ولم يكن له قرار وانتظمت بينهما العلاقات ولم يكن لها نظام، واطمأن الناس على أرواحهم وأرزاقهم وأعراضهم، وكانت جميعها مباحة لكل غاصب من ذوي الأمر والجاه.

- وإذا قيل إن المدعوين إلى الإسلام لم يقتنعوا بفضله وعظمته حينها، فهذا لا ينفي القول أنهم اقتنعوا به فيما بعد. إن الإسلام مقنع لمن يختار ويحسن الاختيار فهو دين عقل وفكر، إلى جانب قوته وعظمته وإقناعه لمن يركب رأسه ويقف في طريق الإصلاح. وحقيقة أن الإسلام لم يحتكم إلى السيف قط إلا في الأحوال التي أجمعت شرائع الإنسان على تحكيم السيف فيها. فماذا تصنع الدولة التي يثور عليها من يخالفها بين ظهرانيها، ماذا تصنع إن لم تحتكم إلى السلاح؟!! وهذا ما قضي به القرآن الكريم حيث جاء فيه: ﴿ **وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾** ﴾ (البقرة:١٩٣)

- والدولة التي يحمل أفراد من أبنائها السلاح على أفراد آخرين من أبنائها، فبماذا تفض الخلاف بينهم إن لم تفضه بقوة السلطان؟!! وهذا ما قضى به القرآن الكريم أيضاً حيث جاء فيه: ﴿ **وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟**

بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ (الحجرات:٩) وفي كلتا الحالتين يكون السلاح آخر الحيل وتكون نهاية الظلم والاعتداء ونهاية الاعتماد على السلاح. ثم يأتي الصلح والتوفيق والتفاهم بالرضا والاختيار. كما يجب أن لا نغفل عن هذه الحقيقة وهي: أن الأديان الكتابية بينها فروق موضوعية لابد من ملاحظتها عند البحث في هذا الموضوع: فاليهودية أو الإسرائيلية كانت كما يدل عليها اسمها أشبه بالعصبية المحصورة في أبناء إسرائيل منها بالدعوة العامة لجميع الناس. فكان أبناؤهم يكرهون أن يشاركهم غيرهم فيها كما يكره أصحاب النسب الواحد أن يشاركهم غيرهم فيه، وكانوا من أجل هذا لا يحركون ألسنتهم. فضلا عن امتشاق السيف. لتعميم الدين اليهودي وإدخال الأمم الأجنبية فيه، ولا وجه إذن للمقارنة بين اليهودية والإسلام في هذا الاعتبار[1].

ويقول الكاتب السويدي (إنجمار كارلسون) عن الجهاد في الإسلام: (ميزت العقيدة الإسلامية بين أربعة مستويات أو أشكال لممارسة الجهاد هي: الجهاد بالقلب، والجهاد باللسان، والجهاد باليد، وآخرها الجهاد بالسيف.

فأما جهاد القلب: فهو المقاومة الروحية والنفسية والأخلاقية التي ينبغي على كل مسلم ممارستها للتغلب على الشهوات والسيطرة على النفس.

وأما الجهاد باللسان: فهو واجب المؤمن في أن ينشر الدين ويعلمه للآخرين، وأن يكون هو ذاته قدوة صالحة لغير المسلمين.

وأما الجهاد باليد: فهو عمل المسلم لتقوية مجتمعه الإسلامي، وتعتبر التجارة الصحيحة والأمينة مثالاً وتطبيقاً له بحسب السنة النبوية.

وأما الجهاد بالسيف: (الحرب المقدسة) ضد أعداء الإسلام، والتي جعلناها نحن الغربيين مرادفاً وحيداً لمفهوم الجهاد، فلا أساس لها في القرآن الكريم، وخاصة بمفهوم الحرب العدوانية أو الهجومية.

الحرب المشروعة في القرآن هي: (الحرب الدفاعية) فقط - إنها صراع الحق ضد

(١) د/ عباس محمود العقاد - عبقرية محمد - صـ٣١.

الباطل عندما يطغى، أو يحاول السيطرة. وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بشكل واضح:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة:١٩٠) وبحسب القرآن الكريم فإن للحرب شروطاً محددة يمكن الاستدلال عليها:

* على الأمة الإسلامية واجب الاستعداد وبناء القوة وحيازة السلاح في وقت السلم، لتدافع عن ذاتها حيال أي اعتداء، وذلك عملاً بالآية:

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال: من الآية٦٠).

* الدفاع عن المسلمين وبلادهم فريضة على كل مسلم، وذلك ما يستوحى من الآيات التالية: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء:٩٥).

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة:٢١٦).

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (سورة الحج:٣٩).

* الحرب والقتال بين الدول الإسلامية محظوران حظراً باتاً.

* مقدار المساهمة في الحرب يجب أن يتناسب وينسجم مع الهدف المراد بلوغه، وهو ما يستوحى من الآية الكريمة التالية:

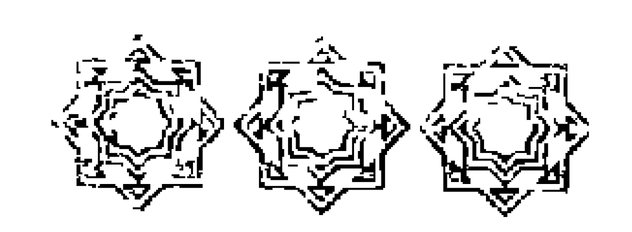
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة:١٩٣)

﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (سورة الحج: ٦٠).

* يفرض الإسلام على المقاتلين المسلمين احترام حياة الذين لا يحاربون من الأعداء، كما أن الإسلام يحظر إبادة الزرع والنسل بحسب مبدأ الأرض المحروقة.

* يتعين على المسلمين حتى في أثناء الحرب إعطاء الأعداء المحاصرين خيار الدخول في الإسلام أو خيار الاستسلام بدون حرب، لمنع إراقة الدماء.

* يتحتم على المسلمين قبول السلام إذا عرض العدو ذلك، ويجب حقن دمائهم تبعاً لذلك على حسب الآية: ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾ (سورة النساء: من الآية٩٠)[1].



(١) إنجمار كارلسون – الإسلام وأوروبا. تعايش أم مجابهة؟ – مكتبة الشروق الدولية صـ٢٠/ ٢٢، ترجمة/ سمير بوتاني سنة ٢٠٠٣م.

المسيحية والسيف

- أما المسيحية فقد عنيت أولا بالآداب والأخلاق، ولم تعني هذه العناية بالمعاملات ونظام الحكومة وذلك لأنها ظهرت في بلاد كانت للنظم الحكومية والمعاملات قوانين تحميها كما يحميها الكهان المعززون بالسلطان، وبذلك فقد عدلت المسيحية عن فرض المعاملات والدساتير لهذه الضرورة وليس لأن المعاملات والدساتير ليست من شأن الدين. كما أن المسيحية ظهرت في وطن تحكمه دولة أجنبية ذات حول وطول وقوة، وليست للوطن الذي ظهرت طاقة بمصادمة تلك الدولة في ميدان القتال. أما الإسلام فقد ظهر في وطن لا سيطرة للأجنبي عليه، وكان ظهوره لإصلاح المعيشة وتقويم المعاملات وتقرير الأمن والنظام. وإلا فلا معنى لظهوره بين العرب ثم فيما وراء الحدود العربية. فإذا اختلفت نشأة الإسلام ونشأة المسيحية فذلك اختلاف موضعي طبيعي لا مناص منه ولا اختيار لأحد من الخلق فيه. آية ذلك أن المسيحية صنعت صنع الإسلام وفاقته بكثير حين قامت بين أهلها الدول والجيوش، وحين استقلت شعوبها عن الأجانب المتغلبين وفاقت وزادت حروب المذاهب فيما بين أبنائها على كل حروب صدر الإسلام[١].

السيف والنصرانية الشرقية

بداية لابد من التمييز القاطع بين النصرانية الشرقية والنصرانية الغربية. فالنصرانية الشرقية ظلت طوال تاريخها وفية للمبدأ النصراني: - دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله - فلم تدخل ميدان السياسة والدولة والسلطة، وإنما وقفت كنائسها عند خلاص الروح ومملكة السماء. ومن ثم فإنها لم تمارس العنف القتالي ولا الحروب الدينية، بل لقد كانت في قرونها الأولى. قبل ظهور الإسلام وتحريره للشرق. كانت ضحية للاضطهاد الديني المسيحي الغربي الذي مارسه ضدها الرومان، في عصر وثنيتهم وفي عصر

---

(١) د/ عباس محمود العقاد- عبقرية محمد - صـ٣١.

نصرانيتهم على السواء، وهو اضطهاد قارب حد الإبادة لمسيحية الشرق، ومع ذلك اتخذت هذه النصرانية إزاء هذا الاضطهاد موقف المسالمة واللاعنف، على نحو فريد ولم يحدث في تاريخ النصرانية الشرقية، اللجوء إلى العنف، اللهم إلا ضد الوثنية المصرية ومعابدها وفلاسفتها في مرحلة من مراحل التاريخ.

النصرانية الغربية والسيف

أما حال النصرانية الغربية وكنائسها، فكان مختلفا كل الاختلاف. فمنذ دخول النصرانية على يد بولس إلى العاصمة الرومانية (روما) ودولتها، تحولت النصرانية عن طبيعتها الروحية الخالصة، والصوفية المسالمة، لتصبح جزءاً من الحضارة الغربية، ذات الجذور اليونانية، التي تعتمد فلسفة القوة، والطابع المادي. ولقد وصفها أحد الفلاسفة بقوله: (إن النصرانية عندما دخلت روما، لم تتنصر روما، ولكن النصرانية هي التي ترومت).

ومنذ ذلك التاريخ، غدت النصرانية الغربية جزءاً من التراث الحضاري الغربي أكثر مما أصبح هذا التراث الحضاري الغربي نصرانياً، بالمعنى الروحي والصوفي والسلمي للنصرانية الأولى) ولقد مارست الكنيسة الغربية، ومعها الدولة الرومانية والبيزنطية بعد تدينها بالنصرانية . مارست حرباً من الاضطهاد البشع ضد النصرانية الشرقية والمصرية منها على وجه الخصوص . حتى لقد اعتبر النصارى المصريون هزيمة الدولة البيزنطية أمام الفتح الإسلامي عقاباً إلهياً لهذه الدولة وكنيستها على الاضطهاد الذي مارسوه ضد نصارى مصر.

كذلك شنت الكنيسة الغربية ضد الشرق الإسلامي حرباً صليبية (مقدسة) استمرت حملاتها قرنين من الزمان (١٠٩٦/ ١٢٩١م) (٤٨٩/ ٦٩٠هـ) وأشركت فيها الملوك وأمراء الإقطاع والرعاع من سائر أنحاء أوروبا..

وفي هذه الحرب الصليبية استخدمت الكنيسة الدين لتحقيق المقاصد الاستعمارية ولإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي الذي أنقذ الشرق ونصرانيته من إبادة الاضطهاد الإغريقي والروماني الذي دام عشرة قرون من الإسكندر الأكبر (٣٥٦ -

٣٢٤ق.م) من القرن الرابع قبل الميلاد إلى الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي.

فقد قادت الكنيسة حرباً باسم الصليب وأعلنها البابا الذهبي (أوروبان الثاني ١٠٨٨م/١٠٩٩م) عندما خاطب فرسان الإقطاع الأوروبيين سنة (١٠٩٥م) في (كليرمونت) بجنوب فرنسا قائلا: (يا من كنتم لصوصاً كونوا اليوم جنوداً! لقد آن الزمان الذي فيه تحولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التي أنتم حتى الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض فالحرب المقدسة المعتمدة الآن هي في حق الله عينه. وليست هي الاكتساب مدينة واحدة. بل هي أقاليم آسيا بجملتها، مع غناها وخزائنها التي تفوق الإحصاء[1].

فاتخذوا محبة القبر القدسي، وخلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، وانتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض حسب ألفاظ التوراة. تفيض لبناً وعسلاً. ومدينة أورشليم هي قطب الأرض المذكورة، والأمكنة المخصبة المشابهة فردوساً سماوياً[2].

اذهبوا وحاربوا البربر (يقصد المسلمين) لتخليص الأراضي المقدسة من استيلائهم. امضوا متسلحين بسيف مفاتيحي البطرسية. (أي مفاتيح الجنة التي صنعها لهم البابا!) واكتسبوا بها نزواتكم خزائن المكافآت السماوية الأبدية فإذا انتم انتصرتم على أعدائكم، فالملك الشرقي يكون قسماً وميراثاً.

وهذا هو الحين الذي فيه أنتم تكفرون عن كثرة الاغتصابات التي مارستموها عدوانا. ومن حيث إنكم صبغتم أيديكم بالدم ظلماً فاغسلوها بدم غير المؤمنين[3].

فهكذا تحولت المقاصد الدينية المقدسة إلى سبل وآليات وطاقات شحن لتحقيق الاستعمار والنهب والاستغلال وأصبحت الآخرة في خدمة لصوص الدنيا. وحملت

(١) الغرب والإسلام صـ١٢٢.

(٢) المرجع السابق صـ١٢٣.

(٣) مكسيموس مونروند - تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب - ج١ - صـ ٤١٣ - ترجمة مكسيموس مظلوم - طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م.

الأيدي المخضبة بدماء المظلومين مفاتيح الفردوس الإلهي الأعلى!! وفي موقعة احتلال الصليبيين لمدينة القدس وحدها سنة (١٠٩٩م) تمت مجزرة الإبادة الكاملة لسكانها المسلمين ومعهم اليهود بالقتل والذبح والإحراق. فهذا مكسيموس مونروند يصف هذه الحروب الصليبية بقوله: (إن ديوان المشورة العسكرية اجتمع وقطع حكماً مرهباً، وهو أن يُمات كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة. وهذا الحكم المهيل قد تباشر بالعمل. ودامت هذه الملحمة مدة سبعة أيام كاملة) (١).

وحتى الذين هربوا واحتموا بمسجد عمر بن الخطاب (قبة الصخرة) ذبحهم الصليبيون في المسجد وبعبارة شهود العيان: كان المسلمون في أورشليم يجدون - يسعون مفتشين - عن مهرب يحمون به حياتهم. فعدد كليّ منهم قد هربوا إلى جامع عمر ظانين أنهم هناك يحمون ذواتهم من الموت ولكن ظنهم خاب، إذ إن الصليبيين، خيالة ومشاة قد دخلوا الجامع المذكور، وأبادوا بحد السيف كل الموجودين هناك.حتى استوعب الجامع من الدم بحراً متموجاً، علا إلى حد الرُّكب، بل إلى لُجم الخيل. وذلك مما فتكت به سيوف الجيوش الصليبية رقاب المسلمين(٢).

ويقول مكسيموس مونروند - مؤلف هذا الكتاب وهو رجل دين نصراني وبعد أن - كلّت أيدي الصليبيين من سفك الدماء!! ذهبوا إلى كنيسة القيامة التي حررها عمر بن الخطاب، وتحرج أن يصلي فيها كي تظل خالصة للنصرانية والنصارى. ذهب الصليبيون إلى كنيسة القيامة وهم سكارى يرددون الصلوات، وأيديهم غارقة في دماء المسلمين الذين ذبحوهم في مسجد عمر بن الخطاب!! وبعبارة شهود العيان النصارى: (ولما حل المساء اندفع الصليبيون يبكون من فرط الضحك!! بعد أن أتوا على نبيذ المعاصر!! إلى كنيسة القيامة، ووضعوا أكفهم الغارقة في الدماء على جدرانها، ورددوا الصلوات!! ثم كتبوا إلى البابا الذهبي (أوروبان الثاني) الذي صنع لهم مفاتيح الجنة

---

(١) المرجع السابق صـ١٧٢/ ١٧٣.

(٢) مكسيموس مونروند - تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب - المجلد الأول صـ١٧٢، ١٧٣ - ترجمة مكسيموس مظلوم طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م.

لقاء هذا الذي صنعوا بالإسلام والمسلمين فقالوا: يا ليتك كنت معنا لتشهد خيولنا وهي تسبح في دماء الكفار أي المسلمين!!وإذا كانت هذه شهادة نصرانية قديمة، تؤكد على توسل الكنيسة الغربية بالدين لإعادة اختطاف الشرق من الإسلام لنهب ثرواته. فإن شهادة نصرانية معاصرة تؤكد هي الأخرى على الطابع الديني لهذه الحرب الصليبية التي دامت قرنين ضد الإسلام وفي هذه الشهادة المعاصرة يقول د/ جاك تاجر Jack Tager : (إن ضخامة الوسائل التي أعدها الصليبيون، وتعدد هجماتهم، تدل بلا شك على أن الحروب الصليبية كانت محاولة لمحو نفوذ الإسلام في الشرق، فقد شنت هذه الحرب أول ما شُنت لانتزاع حماية القبر المقدسي من الخلفاء، ولكنها ما لبثت أن تحولت إلى قتال عام بين جيوش الإسلام وجيوش المسيحية، أي بين الشرق المسلم والغرب المسيحي) (1).

ونقلب صفحة أخرى دامية من صفحات الحروب الدينية للكنيسة الغربية، تلك التي تمثلت في نشر النصرانية بحد السيف، وإبادة كل من لم يتدين بدين الملك أو الأمير الذي اعتنق النصرانية!!.....

فالملك (شارلمان) (٧٤٢ - ٨١٤م) فرض النصرانية على السكسونيين بحد السيف!.

وفي الدنمارك استأصل الملك (كنوت Cnut) (٩٩٥م - ١٠٣٥م) الديانات غير المسيحية من بلاده بالقوة والإرهاب!..

وفي روسيا فرض الأمير (فلاديمير Vladimir) (٩٨٠م - ١٠١٥ م) المسيحية الأرثوذكسية على كل الروس غداة اعتناقه لها سنة٩٨٨م!.

- وفي الجبل الأسود، ذبح دانيال بيتروفيتش (Petrovich - D.) غير المسيحيين بمن فيهم المسلمون - ليلة عيد الميلاد سنة ١٧٠٣م!.

- وفي المجر أرغم الملك (شارل روبرت ١٣١٦/١٣٧٨م) غير المسيحيين على التنصر أو النفي من البلاد سنة ١٣٤٠م!.

(١) د/ جاك تاجر - أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى سنة ١٩٢٢م صـ ١٥٣ - طبعة مصورة أصدرها أقباط المهجر - مدينة جرسي أمريكا ١٩٨٤م.

- وفي أسبانيا - قبل الفتح الإسلامي لها - أقسم الملوك على التنفيذ بالقوة لقرار المجمع الكنسي السادس. في طليطلة - تحريم كل المذاهب المخالفة للمذهب الكاثوليكي!.

أما الحروب الدينية التي قادتها وخاضتها الكنائس الغربية بعضها ضد البعض الآخر - أي في داخل النصرانية، وبين أتباع مذاهبها، التي أصبح لكل مذهب فيها (قانون للإيمان) يحتكر الخلاص لأبناء المذهب دون سواهم ، هذه الحروب التي إشتعلت لإبادت المخالفين في المذهب، أو إكراههم على تغيير عقيدتهم. فإنها شهيرة حتى لقد مثلت عصراً من عصور الحضارة الغربية! وهذه الحروب قد امتدت أكثر من قرنين بين الكاثوليك وبين البروتستانت. واشتهر منها إحدى عشرة حرباً.

(١) (١٥٦٢ - ١٥٦٣م).
(٢) (١٥٦٧/١٥٦٨م).
(٣) (١٥٦٩/ ١٥٧٠م).
(٤) (١٥٧٢ / ١٥٧٣م).
(٥) (١٥٧٤ - ١٥٧٦م).
(٦) (١٥٧٦ - ١٥٧٧م) .
(٧) ١٥٨٠م.
(٨) (١٥٨٥ - ١٥٩٤م).
(٩) (١٥٨٦م).
(١٠) (١٦٢١م).
(١١) (١٦٢٥ - ١٦٢٩).

ولقد ذهب ضحية لهذه الحروب ٤٠٪ من سكان وسط أوروبا.. ووفق إحصاء فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) عشرة ملايين إنسان!!.

وذلك غير حرب الكنيسة اللاتينية الغربية ضد كنيسة أيا صوفيا اليونانية بالقسطنطينية (١٢٠٢ - ١٢٠٤م) والتي تم فيها التدمير والاحتلال والسلب والنهب لمملكة القسطنطينية بأسرها!! [١].

---

(١) ول ديورانت قصة الحضارة - المجلد السادس حـ٣/ ٤ ترجمة د/ عبد الحميد يونس - طبعة القاهرة سنة ١٩٧١/ ١٩٧٢م والمجلد الرابع حـ٤، صـ٤٦/ ٥٣. وسير توماس أرنولد - الدعوة إلى الإسلام صـ٣٠/ ٣٢/ ٧٢/ ١٢٢/ ١٢٤/ ١٣٥/ ١٣٦/ ١٤١/ ١٤٣/ ١٥٤/ ١٥٦/ ٢٢٣/

أما صفحة الحرب الدينية التي أعلنتها وخاضتها الكنائس الغربية باسم (محاكم التفتيش) عندما أعلنت أن خلاص المخالفين إنما يتحقق بتخليصهم من الحياة! بعد صب صنوف العذاب عليهم!!. فلقد دامت هذه الحرب البشعة من عهد البابا. إنوسنت الثالث) (١١٩٨ - ١٢١٦ م) في القرن الثالث عشر الميلادي. وذهب ضحيتها ملايين الضحايا، الذين حكمت عليهم الكنيسة بالخلاص: الذي يخلصهم من الحياة بالإغراق - أو الإحراق أو الإعدام على الخازوق - الذي استمر عقوبة للمخالفين ثلاثة قرون!! [١].

أما أحدث صفحات وموجات هذه الحروب الدينية الغربية ضد الإسلام وأمنه وعالمه، فهي التي أعلنها اليمين الديني الأمريكي في الإدارة الأمريكية، بقيادة جورج بوش - الصغير - بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م في أمريكا..

وهي حرب تستهدف بترول الشرق الإسلامي - من منطقة البحيرات الأفريقية إلى بحر قزوين - مرورا بالعراق والخليج العربي لتحقيق الهيمنة الأمريكية على العالم، وانفراد الإمبريالية الأمريكية بالزعامة دون شريك، في القرن الواحد والعشرين، ويقودها اليمين الديني الأمريكي، برؤية توراتية، توحد بين هذا اليمين البروتستنتي وبين اليمين اليهودي والصهيوني..

وإذا كان الجميع مجتمعين على استهداف هذه الحرب للاستيلاء على مصادر الطاقة، للانفراد بالهيمنة على العالم، فإن الطابع الديني لهذه الحرب على الإسلام والمسلمين تقوم عليه شواهد وأدلة وحقائق عديدة وإذا كان البعض يمارى في هذا البعد الديني لهذه الحرب الاستعمارية. فإننا نسوق عدداً من الأدلة والبراهين التي تدحض هذه المماراة ونقف في هذه الأدلة والبراهين عند أقوال الغربيين، واعترافات الأمريكيين

٢٢٦/ ٢٧٤/ ٢٧٦. ترجمة د/ حسن إبراهيم شحاته، د/ عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.

(١) د/ توفيق الطويل - قصة الاضطهاد الديني والمسيحي والإسلام صـ٧٠/ ١١٢ - طبعة القاهرة ١٩٩١ م.

لتكون شهادات شهود من أهلها على هذا الطابع الديني لهذه الحرب الاستعمارية التي أعلنها اليمين الديني الأمريكي، بقيادة بوش الصغير على العالم الإسلامي..

- فعقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة (٢٠٠١م). وقبل بدء التحقيق في هذه الأحداث..

لقد وصف جورج بوش الصغير هذه الحرب في (١٦ سبتمبر سنة ٢٠٠١م) بأنها (حملة صليبية). وهي عبارة لمعناها في العقل المسلم تاريخ، ثم جرت محاولات غربية. ومتغربة! للتخفيف من وقع هذه العبارة على العالم الإسلامي بالقول: إنها زلة لسان!! حتى يتم الإجهاز على الإسلام والمسلمين.ولكن تداعيات الوقائع والأحداث، في هذه الحرب الممتدة، قد جعلت الفاتيكان - و هو أكبر كنائس النصرانية - يعلن - من خلال إذاعته الرسمية التي تذيع بتسع وثلاثين لغة وعلى لسان مدير هذه الإذاعة الرسمية الأب باسكوإلى بور جوميو يعلن أن الإدارة الأمريكية، في حملتها على العراق تتصرف بلهجة وموافقة صليبية، فيقول: في الوقت الذي يدعو الفاتيكان إلى التعقل، ويشجع العمل الدبلوماسي، ويدافع عن الحق الدولي، نرى في الجانب الآخر قوة عظمى تقودها إدارة خولت إلى نفسها مهمة مقدسة واتخذت لهجة ومواقف صليبية[1].

كما صرح مصدر رفيع في الفاتيكان بأن الحرب الأمريكية على العراق ستفسر من قبل ملايين المسلمين في العالم الإسلامي بأنها حرب صليبية جديدة..

أما بابا الفاتيكان (يوحنا بولس الثاني) فلقد أعلن:

(إنني أخشى أن تثير الحرب على العراق صراعاً دبنيا بين المسيحيين والمسلمين).

أما الكاردنيال (بيولاجي) مندوب البابا في المساعي الدبلوماسية لتجنب الحرب ضد العراق فلقد أعلن: أنها حرب ستقودنا إلى مستقبل مظلم سيقوض فرص الحوار بين المسيحية والإسلام[2].

أما الأنبا (يوحنا قلتة) نائب البطرك الكاثوليكي في مصر - فلقد أعلن: أن بوش

(١) صحيفة الحياة - لندن ٢٩/ ٢/ ٢٠٠٣ م.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط - لندن ٨/ ٣/ ٢٠٠٣م - أ/ زين العابدين الركابي.

يستخدم المسيح درعاً والصليبية ثوباً للدفاع عن مصالح أمريكا المادية وأنه كان يقصد تماما معني عبارة (الحملة الصليبية) ولم تكن أبدا زلة لسان[١].

فهي (حرب صليبية) أعلنها ويقودها اليمين الديني الأمريكي. بشهادة الفاتيكان - أكبر كنائس النصرانية في الشرق والغرب..

ولقد أعلن الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر) عن العقيدة الدينية (المسيحية - الصهيونية) التي تقود الإدارة الأمريكية إدارة (بوش - الصغير) في هذه الحرب عندما قال:

كمسيحي وكرئيس استنفرته الأزمات الدولية بشدة، أصبحت على معرفة عميقة بالمبادئ التي تستند إليها أي حرب عادلة. ومن الواضح أن أي هجوم انفرادي على العراق لا يلبى متطلبات هذه المعايير. وهذه هي تقريباً القناعة على مستوى العالم كله بين الزعماء الدينيين، مع استثناء واحد يتمثل - بمؤتمر معمداني الجنوب - (ساوثيرن بابتيست كونفشون) وهؤلاء معروفون بالتزامهم تجاه إسرائيل من منطلقات ثيولوجية ضيقة تستند إلى فكرة آخر مرحلة حياتية قبل حلول يوم الدينونة[٢].

أما السيناتور (إدوارد كيندي) والسيناتور (بابريك ليهي) فلقد أعلنا: أن الإدارة الأمريكية مدفوعة إلى هذه الحرب (بحماسة مسيحية)[٣].

- وكتبت النيوزويك الأمريكية عن بوش الصغير حامل البشارة فقالت: (إنه يؤمن أن حربه على العراق ستكون حرباً عادلة وفق المفهوم المسيحي كما شرحها القديس أغسطين في القرن الرابع وفصلها كل من توما الأكويني (١٢٢٥/ ١٢٧٤م).

ومارتن لوثر (١٤٨٣/١٥٤٦م) وآخرون، وأنه عندما استخدم مصطلح (الأشرار) في وصف خصومه قد نبش هذه الكلمة مباشرة من المزامير وأنه يفكر في سياسة خارجية تستند إلى الإيمان.. ويفكر في حرب باسم الحرية المدنية - بما في ذلك

---

(١) صحيفة العربي - القاهرة ١٦/ ٣/ ٢٠٠٣م.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط - لندن ١٠/ ٣/ ٢٠٠٣م.

(٣) صحيفة الحياة - لندن ١٥/ ٣/ ٢٠٠٣م.

الحرية الدينية - في القلب القديم للإسلام العربي. ويحظى بدعم قوي من قاعدته في الجناح السياسي للمؤتمر المعمداني الجنوبي، من أمثال (ريتشارد لاند) و(فرانكلين جراهام) الأب الروحي لبوش . والذي سب رسول الإسلام، ويندد بالإسلام باعتباره إيمانا عنيفاً وفاسداً. ولا يخفى مع المبشرين الإنجيليين رغبتهم تحويل المسلمين إلى المسيحية، حتى لا - بل لا سيما في بغداد[١].

أما في ذروة الحرب على العراق وانخراط المبشرين الإنجيليين، تحت قيادة الآباء الروحيين (لبوش) في الحملة الأمريكية على العراق، بصحبة القوات الأمريكية الغازية فقد كتبت صحيفة النيويورك تايمز في مقالتين في (٥، ٦/ ٤/ ٢٠٠٤م) قالت:

إن من بين تلك الجماعات التبشيرية المصاحبة للجيش الأمريكي مبشرين تابعين للكنيسة المعمدانية والكنيسة المنهجية، وكلتا الكنيستين كانت ضمن أهم الجماعات التي دعمت الرئيس بوش وهناك ٨٠٠ مبشر تطوعوا لمصاحبة الجيش الأمريكي الزاحف على العراق، لتقديم الدعم الروحي والمادي للشعب العراقي. ومن بين هؤلاء المبشرين (فرنكين جراهام) الذي دشن حفل تنصيب جورج بوش رئيساً. ووالده (بيل جراهام) الذي آثار عاصفة داخل المجتمعات الإسلامية عندما وصف النبي محمدا بأنه إرهابي ووثني. ولقد أعلن المبشر (فرانكلين جراهام) في القاعدة الأمريكية في الكويت: (لقد جئت إلى هنا تمهيداً لدخول العراق. فرغم أن نسبة المسلمين في العراق تشكل ٩٧ ٪ من إجمالي تعداد السكان، إلا أننا يجب ألا ننسي أن المسيحية سبقت الإسلام في دخول العراق. إنني هنا لدعم مسيحي العراق، لكننا في الوقت ذاته نخطط لتقديم الدعم للمسلمين ليس باسمنا، ولكن باسم الرب).

- أما والد هذا المبشر - القس (بيل جراهام) فهو الأب الروحي لجورج بوش، الذي قال عنه بوش: إنه الرجل الذي قادني إلى الرب. وهو الذي جعل بوش يواظب يومياً على القراءة في كتاب القس (أوزوالد شامبرز) الذي مات سنة ١٩١٧ م وهو يعظ الجنود البريطانيين والأستراليين بالزحف إلى القدس وانتزاعها من المسلمين[٢].

---

(١) مجلة نيويورك الأمريكية عدد ١١/ ٣/ ٢٠٠٣م.

(٢) عن صحيفة الأسبوع - القاهرة ١٤/ ٤/ ٢٠٠٣م نقلا عن نيويورك تايمز.

- أما وزير العدل الأمريكي - نعم العدل! (جون أشكروفت) فلقد تجاوز الحدود، فسب إله العالمين، الذي يعبده المسلمون لا يشركون به أحداً. فقال: إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل الإله.!! [١].

وهو بهذا الذي قاله، يضلل الناس عن حقيقة ثقافة الشهادة والاستشهاد الإسلامية، التي تدعو إلى التضحية بالمال والنفس في سبيل المقدساتِ التي أجمعت عليها منظومات القيم الإنسانية الدينية والوضعية - والتي أشار إليها الحديث النبوي الشريف: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» (رواه الترمذي).

فثقافة الشهادة والاستشهاد الإسلامية هي ثقافة رد العدوان نعم. لقد أجمعت كل ثقافات الفطر الإنسانية السوية على ضرورة الاستشهاد في سبيل هذه المقدسات، اللهم إلا ثقافة الجبناء الذين هم أحرص الناس على حياة، فلا يتقدمون إلا للعدوان على الأوطان والمقدسات.!!.

- أما مفكر الاستراتيجية الأمريكية (صموئيل هنتجتون) فلقد وضع بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م - القضية في صورة الصدام بين الغرب وبين العقيدة والقناعات الإيمانية للإسلام، فقال:

- إن عناصر صدام الحضارات متوافرة، وإن ردود الفعل تجاه أحداث ١١ سبتمبر تمت في حدود الخطوط والأطر الحضارية بشكل صارم. والصحوة الإسلامية هي رد فعل تجاه الحداثة والتحديث والعولمة. ومع ذلك فإن عصر حروب المسلمين له جذوره في أسباب أكثر عمومية، وهذه الأسباب تعني العقيدة الإسلامية والقناعات الإيمانية في الإسلام. [٢].

- وفي نفس التاريخ يكتب المفكر الإستراتيجي الأمريكي (فرنسيس فوكوياما)

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط - لندن ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢م.

(٢) صحيفة نيويورك تايمز - العدد السنوي - ديسمبر ٢٠٠١فبراير ٢٠٠٢م.

فيقول: إن الصراع الحالي ليس ببساطة ضد الإرهاب. ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية... وضد الدولة العلمانية... وهذه الأيدولوجية الأصولية تمثل خطراً أكثر أساسية في بعض جوانبه من الخطر الذي شكلته الشيوعية. والمطلوب هو حرب داخل الإسلام.. حتى يقبل الحداثة الغربية والعلمانية الغربية... والمبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله!! [(١)].

تلك شهادات أمريكية على البعد الديني الصليبي في هذه الحرب التي أعلنها اليمين الديني الأمريكي على الإسلام والمسلمين. صحيح أن الهدف الأول لهذه الحرب هو الاستيلاء على مصادر الطاقة. التي يملك العراق وحده منها مخزونا إذا قيس بحجم إنتاجه يجعله آخر بلد في العالم سينفذ منه البترول! [(٢)].

وذلك لتحقيق هيمنة الإمبريالية الأمريكية على العالم في القرن الواحد والعشرين الذي يريدونه قرنا أمريكيا. لكن البعد الديني في عقيدة الإدارة الأمريكية التي تقود هذه الحرب لا يمكن أن يغفله عاقل. ولقد شهد عليه الفاتيكان. والكثير من الأمريكان! وصحيح أيضا أن هذه الحرب ليست بين المسيحية والإسلام، ولا بين المسيحيين والمسلمين، لأن أكبر وأهم كنائس الغرب، ومعها كل كنائس الشرق، قد وقفت ضد هذه الحرب. ولكن البابا بنديكت له رأي آخر. على أية حال لا أحد ينكر أنها حرب اليمين الديني الأمريكي المتحالف مع اليمين الديني اليهودي ضد الإسلام وأمته وعالمه لمعالجة اليقظة الإسلامية ولإبقاء ثروات العالم الإسلامي لقمة سائغة في فم الاستغلال الأمريكي والشركات متعددة الجنسيات ومتعدية القارات[(٣)].

هكذا برئت النصرانية الحقة، وتبرأ من نزعات الحرب الدينية وهكذا سقط التراث النصراني الغربي في مستنقع هذه الحروب الدينية منذ الحملات الصليبية للبابا الذهبي

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ملحق الوسط – صحيفة الحياة – لندن ٢٧/ ١/ ٢٠٠٣م.

(٣) د/ محمد عمارة || الهجمة الأمريكية على الإسلام صـ٩١/ ١١٣ – مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٣م.

أوروبان الثاني (١٠٨٨، ١٠٩٩م) وحتى الحملة الصليبية المعاصرة لليمين الديني الأمريكي بقيادة الرئيس الأمريكي جورج بوش الصغير!![1].

- وإذا كان من حق السائل أن يسأل عن الحروب التي حدثت بين المسلمين، في التاريخ الإسلامي، أليست حروباً دينية، أثارتها المذهبيات والمعتقدات، على النحو الذي حدث في التاريخ النصراني الغربي؟. ونحن نجيب على هذا السؤال فنقول:

- إن ما شهده هذا التاريخ الإسلامي من حروب داخلية، إنما كانت حروباً سياسية، ولم تكن دينية. والسياسة والدولة والخلافة والإمارة، والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وإنها كانت من باب التدافع بين فرقاء الاختلافات السياسية لا يخرج أياً من هؤلاء الفرقاء من ملة الدين وعقائد الإسلام، فالمعايير الحاكمة للاختلاف في هذه الأمور هي الصواب والخطأ والنفع والضرر وليست الإيمان والكفر وحتى البغي في هذه الأمور لا يخرج أصحابه عن إطار الإيمان الديني ولو بلغوا في بغيهم السياسي حدود القتال! ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحقيقة الإسلامية فقال:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ ﴾ (الحجرات: ٩ ، ١٠).

فإذا ارتكب المؤمنون خطأ الاقتتال في الأمور السياسية - فإن هذا الخطأ والبغي فيه لا يخرج أصحابه من الملة، والإيمان بأصول الإسلام.

وحروب الفتنة الكبرى التي وقعت بين علي بن أبي طالب (٢٣ق.هـ - ٤٠هـ ٦٠٠ - ٦٦١م) ومعاوية بن أبي سفيان (٢٠ق.هـ - ٦٠هـ ٦٠٣ - ٦٨٠م) لم تكن حروباً دينية، يطلب فيها فريق من الفريق الآخر تغيير عقيدته أو تبديل مذهبه، وإنما كانت حروباً سياسية، دارت حول الخلافة، وبالذات حول المسئولية عن مقتل الخليفة

(١) د/ محمد عمارة- الغرب والإسلام - أين الخطأ وأين الصواب؟ صـ١٢١/ ١٣٣.

الثالث عثمان بن عفان (٤٧ق.هـ - ٣٥هـ، ٥٧٧ - ٦٥٦م) وعن هذه الحقيقة الناصعة يقول علي بن أبي طالب (ﷺ):

- لقد التقينا في معركة صفين (٣٧هـ - ٦٥٧م) وربنا واحد، ونبينا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا - والأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء. إننا - والله ما قتلنا أهل الشام. (معاوية ومن معه) على ما توهم هؤلاء (الخوارج) من التكفير والافتراق في الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة (السياسية: رعية الدولة) وإنهم لأخواننا في الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا أننا على الحق دونهم. وإني لأرجو ألا يقتل أحد نقي قلبه، منهم، إلا أدخله الله الجنة[1].

- وعندما رفض عبد الله بن الزبير (١/ ٧٣هـ - ٦٢٢ - ٦٩٢م) مبايعة الخليفة الأموي، وأعلن الثورة على الدولة الأموية، واتخذ من مكة عاصمة لدولته ودارت الحرب بينه وبين الأمويين، حتى في داخل الحرم المكي، وحول الكعبة، كانت الجيوش المقاتلة تضع أسلحتها إذا أُذّن للصلاة، ويصلون جميعاً خلف إمام واحد، لإله واحد، بقرآن واحد، وعلى عقيدة واحدة. لأن الحرب كانت سياسية، لا علاقة لها بعقائد الدين.

وكذلك كل الحروب التي شهدها التاريخ الإسلامي، كانت سياسية متعلقة بالخلافة والسياسة للاجتماع. ولم تكن فيها حرب واحدة حول العقائد الدينية، أو للإكراه على الاعتقاد بمذهب في الدين..

وكما يقول الأستاذ الإمام محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ، ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) عن الحروب التي خاضها المسلمون: - كان المشركون يبدءون المسلمين بالقتال لأجل

---

(١) ابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة جـ١٧صـ١٤١تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة القاهرة ١٩٥٩م - والباقلاني (التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) صـ٢٣٧/ ٢٣٨ تحقيق محمود محمد الخضري د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة - طبعة القاهرة ١٩٤٧م.

إرجاعهم عن دينهم ولو لم يبدءوا في كل واقعة لكان اعتداؤهم بإخراج الرسول (ﷺ) من بلده، وفتنة المؤمنين وإيذائهم، ومنع الدعوة، كل ذلك كان كافياً في اعتبارهم معتدين، فقتال النبي كله مدافعة عن الحق وأهله، وحماية لدعوة الحق، ولذلك كان تقديم الدعوة شرطاً لجواز القتال - وإنما تكون الدعوة بالحق والبرهان لا بالسيف والسنان.

وكانت حروب الصحابة في الصدر الأول، لأجل حماية الدعوة ومنع المسلمين من تغلب الظالمين. ولم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما. ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال، وعقائد أهل السنة، سلفيين وأشاعرة، كما لم يسمع بأن الفلاسفة الإسلاميين تألفت لهم طائفة، ووقع الحرب بينهما وبين غيرهما. نعم سمع بحروب الخوارج، كما وقع من القرامطة وغيرهم، وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد، وإنما أشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء، لأجل أن ينصروا عقيدة، ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة.

وأما ما كان من حروب الأمويين والهاشميين، فهي حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة. لقد شهر المسلمون سيوفهم دفاعاً عن أنفسهم وكفاً للعدوان عنهم، ثم كانت الفتوحات الإسلامية بعد ذلك من ضرورات الملك. ولم يكن من المسلمين مع غيرهم إلا أنهم جاوروهم، فكان الجوار طريق العلم بالإسلام، وكانت الحاجة لصالح العقل والعلم داعية للانتقال إليه..

وجملة القول في القتال:

أنه شُرع للدفاع عن الحق وأهله، وحماية الدعوة ونشرها. إن سرعة انتشار الإسلام، وإقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة، إنما كان لسهولة تعقله، ويسر أحكامه، وعدالة شريعته، وبالجملة، لأن فطر البشر تطلب دينًا، وترتاد منه ما هو أمس بمصالحها وأقرب إلى قلوبهم ومشاعرها، وأدعى إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. ودين هذا شأنه يجد إلى القلوب منفذاً، وإلى العقول مخلصاً. بدون حاجة إلى دعاة ينفقون

الأموال الكثيرة والأوقات الطويلة، ويستكثرون من الوسائل ونصب الحبائل لإسقاط النفوس فيه.

هذا كان حال الإسلام في بساطته الأولى وطهارته التي أنشأه الله عليها ولا يزال على جانب عظيم في بعض أطراف الأرض إلى اليوم(١).



(١) محمد عبده - الأعمال الكاملة حـ٤صـ٤٧٥، ٤٧٦، حـ٣صـ٢٦٧/ ٤٧٥ - تحقيق - د/ محمد عمارة - طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

الأسفار والسيف

وهذه أنهار من الدماء تجري على صفحات الأسفار

تصور الأسفار(يهوه) رب الجنود ورجل الحرب، وتصوره بالظالم المتوحش وتصوره وقد غرز في نفوسهم غريزة البطش والإرهاب والقسوة والهمجية. والمتصفح للأسفار يجد ذلك جليا.

(١) ونبدأ الجولة مع رب الأسفار الخمسة الأولى والمسمى بالعهد القديم ونقتفى آثار القسوة التي رسمها لشعبه لنجد أنه يأمر بقتل الذين يأكلون خبزاً خميراً في أيام حرم فيها آكل الخمير: - سبعة أيام تأكلون فطيراً. اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم. فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل. سبعة أيام لا يوجد خمير في بيوتكم. فإن كل من أكل مختمراً تقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل. (سفر الخروج: إصحاح: ١٢ - ١٥- ١٩).

(٢) واستفتح رب الأسفار عمليات القسوة والعنف بالشعب المصري - وقال موسى هكذا يقول الرب إني نحو نصف الليل أخرج في وسط مصر. فيموت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التي خلف الرحى وكل بكر بهيمة - ويكون صُراخ عظيم في كل أرض مصر لم يكن مثله ولا يكون أيضا . (سفر الخروج إصحاح: ١١/ ٤/ ٦).

(٣) وقبل التوجه إلى أرض فلسطين تمت مجزرة ابتغاء رضا رب الأسفار الذي غضب على شعبه المحب للذهب والساجد له، عابد العجل، من دونه: (هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومُروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة، واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه، وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل وقال موسى املاءوا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه، فيعطيكم اليوم بركة) . (سفر الخروج إصحاح:٣٢/ ٢٧/ ٢٩)

(٤) ثم ترسم الأسفار خطة المجازر الجديدة والإبادة الجماعية لتضمن للمؤمنين بها أرضا بلا سكان ووطنا قومياً بلا منازعين ومشاغبين من السكان الأصليين في كل زمان ومكان - متى آتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم (تقتلهم) - (سفر التثنية إصحاح: ١:٧/ ٢).

(٥) أما حرب المدن البعيدة فيتم على النحو التالي: (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فان إجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم (فلسطين). وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً (تقتلها قتلا)كما أمرك الرب إلهك) . (سفر التثنية إصحاح: ٢٠/ ١٠/ ١٧).

(٦) وفوجئ أهل مديان من شعب فلسطين بالجموع المتدفقة، وشرعتها في الحرب فتك، وإبادة، وسبى، ونهب دون سابق إنذار: (وكلم الرب موسى قائلاً انتقم نقمة لبنى إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك. فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم. وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار..وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم) . (سفر العدد إصحاح:٣١/ ١/ ١١).

(٧) وغضب موسى في الأسفار على قادة جيشه الذين أبقوا على حياة النساء والأطفال وسبوهم إلى المحلة. فأمر بأن يطهر الجند من النجاسة بعد ذبح النساء

والأطفال (وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها) (سفر العدد إصحاح: ٣١/ ١٥/ ١٧).

(٨) وزحفت جموع اليهود لتفاجئ سيمون ملك حشبون ومن بعده عوج ملك باشان في جنوب أرض كنعان، وتبيد شعبيهما بناء على أوامرالرب (فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه. وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرمنا (قتلنا) من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نبق شاردا. لكن البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن إلى أخذنا) . (سفر التثنية إصحاح: ٢/ ٣٣/ ٣٥).

(٩) فدفع الرب إلهنا إلى أيدينا عوج ملك باشان وجميع قومه فضربناه حتى لم يبق له شارد. وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت. لم تكن قرية لم نأخذها منهم. ستون مدينة. كل هذه كانت مدناً محصنة بأسوار شامخة وأبواب ومزالج سوى قرى الصحراء الكثيرة جدا. فحرمناها – قتلناها – كما فعلنا بسيحون ملك حشبون محرمين – قاتلين – كل مدينة الرجال والنساء والأطفال. لكن كل البهائم وغنيمة المدن نهباها لأنفسنا) (سفر التثنية إصحاح: ٣/ ٣/ ٧).

(١٠) وتسلم يشوع بن نون الراية – راية رب الأسفار ياهوه – من بعد موسى الأسفار، والذي قضي ولم تزل جموع القوم في أطراف أرض كنعان. واستهل يشوع بطولاته بأريحه المنكوبة – وحرموا – قتلوا – كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف. واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب. (يشوع إصحاح: ٦/ ٢١/ ٢٤).

(١١) واستمرأ رب الأسفار عملية الإفناء والإبادة: – فقال الرب ليشوع مد المرزاق الذي بيدك نحو عاي لأني بيدك ادفعها. فمد يشوع المزراق الذي بيده نحو المدينة وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت. وأما ملك عاي فأمسكوه حيا وتقدموا به إلى يشوع. وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في

البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا. أن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف. فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفا جميع أهل عاي. ويشوع لم يرد يده التي مدها بالمزراق حتى حرم - قتل - جميع سكان عاي. لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذي أمر به يشوع. (يشوع إصحاح: ٨/ ١٨/ ٢٦).

(١٢) وبعد أن أحرق يشوع مدينة عاى ودمرها، قتل ملكها الأسير، وعلق جثته على باب المدينة. وواصل يشوع عملية الفتك والإبادة بهمة يرضى عنها رب الجنود ياهوه، وأخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم - قتل - ملكها هو وكل نفس بها. ولم يُبق شاردا. وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا..

(يشوع إصحاح: ١٠/ ٢٨/ ٣٠).

(١٣) ومن بعد مدينة لبنى أباد سكان مدن لخيش وعجلون وحبرون ودوبير مع ملوكهم كما أباد ملك حاصور وشعبه، ومن كان معه من ملوك مادون وشمرون وأكشاف ثم أخذ يشوع مدينة حاصور وقتل كل نفس فيها بحد السيف. وفي سفر يشوع تفصيل لمعارك الإبادة والإصرار على ذكر القتل، قتل جميع السكان وأفنائهم، الملوك والشعب، النساء والرجال والأطفال والشيوخ. فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربها بحد السيف حرمهم (قتلهم) كما أمر موسى عبد الرب[1].

واستمرت المجازر والمذابح بعد يشوع، تارة بين بنى إسرائيل في الشمال وبين بنى بنيامين في الجنوب، وتارة أخرى بين هذين الفرعين من اليهود وبين شعب كنعان المنكوب. وها هو أبى مالك يخدع أخواله ويأخذ منهم الموافقة على تنصيبه ملكاً، ثم يصارع إلى الفتك بإخوته - ثم جاء إلى بيت أبيه في عفره وقتل إخوته بنى يربعل سبعين رجلا على حجر واحد. وبقى يوثام بن يربعل الأصغر لأنه اختبأ. (سفر القضاة إصحاح: ٩/ ٥).

(١٤) وهذا هو يهوذا وشمعون يقتلون بحد السيف ١٠,٠٠٠ من الكنعانيين

---

(١) سفر يشوع إصحاح: ١١/ ١/ ١٤.

والفرزيين: (وكان بعد موت يشوع أن إسرائيل سألوا الرب قائلين: من منا يصعد إلى الكنعانيين أولا لمحاربتهم؟ – فقال الرب: – يهوذا يصعد هوذا قد دفعت الأرض ليده – . فقال يهوذا لشمعون أخيه: – أصعد معي في قرعة لكي نحارب الكنعانيين، فأصعد أنا أيضاً معك في قرعتك – . فذهب شمعون معه. فصعد يهوذا، ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم، فضربوا منهم في بازق عشرة آلاف رجل) (سفر القضاة إصحاح: ١/ ١/ ٤).

(١٥) وها هو سيف الأسفار يحصد من المؤابيين النشطاء وكل ذي بأس من المؤابيين: – فضربوا من مؤاب في ذلك الوقت نحو عشرة آلاف رجل كل نشيط [1] وكل ذي بأس، ولم ينجح أحد. فذل المؤابيون في ذلك اليوم تحت يد إسرائيل. (قضاة إصحاح: ٣/ ٢٩/ ٣٠).

(١٦) وهذا هو سيف شمجر بن عناة يحصد من الفلسطينيين ٦٠٠ رجل في سفر القضاة: – وكان بعده شمجر بن عناة، فضرب من الفلسطينيين ست مائة رجل بمنساس البقر – (قضاة إصحاح: ٣/ ٣١).

(١٧) ويواصل سفر القضاة حصاد البشر بحد السيف في السفر الثامن يحصد ١٢٠,٠٠٠ مائة وعشرون ألف رجل: وكان زيح وصلمناع في قرقر وجيشها معها نحو خمسة عشر ألفا، كل الباقين من جميع جيش بني المشرق. والذين سقطوا مائة وعشرون ألف رجل مخترطي السيف (قضاة إصحاح: ٨/ ١٠).

(١٨) وتقضي غريزة سفك الدماء وشهوة الإفناء والإبادة أن يهود جلعاد ذبحوا اثنين وأربعين ألفاً من يهود أفرايم لأنهم أخطئوا في لفظ حرف (ش) ولفظوه (س) – فأخذ الجلعاديون مخاوض الأردن لافرايم وكان إذا قال منفلتوا افرايم دعوني اعبر. كان رجال جلعاد يقولون له أأنت افرايمي؟ فإن قال لا يقولون له قل إذا شبولت، فيقول سبولت ولم يتحفظ للفظ بحق. فكانوا يأخذونه ويذبحونه على مخاوض الأردن. فسقط

---

(١) نشيط: أو ناشط مصطلح من الأسفار يستخدم لكل مجاهد ومحارب يقف أمام ظلمهم ويتصدى لاعتدائهم.

في ذلك الوقت من أفرايم اثنان وأربعون الفاً. - (قضاة إصحاح: ١٢/ ٥/ ٦) (شبولت ومعناها سنبلة).

(١٩) وقتل عشرات الآلاف في شرعت ياهوه التي غرسها في نفوس شعبه المختار أمر سهل يسير يروى تعطش ياهوه إلى شرب الدماء (فخرج بنو بنيامين من جبعة وأهلكوا من إسرائيل في ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل إلى الأرض وتشرد الشعب، رجال إسرائيل . فخرج بنيامين للقائهم من جبعة في اليوم الثاني وأهلك من بنى إسرائيل أيضا ثمانية عشر ألف رجل إلى الأرض. (قضاة إصحاح: ٢٠/ ٢٥).

(٢٠) ونذكر أن قبلها بيوم واحد كانوا قد حصدوا رقاب اثنين وعشرين ألف رجل فيقول السفر: - فخرج بنو بنيامين من جبعة وأهلكوا من إسرائيل في ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل إلى الأرض. (قضاة إصحاح: ٢٠/ ٢١).

(٢١) وها هي الأسفار تكشف عن صورة من صور الإبادة الجماعية فتقول: - وأخذ شيوخ المدينة وأشواك البرية والنوارج، وعلم بها أهل سكوت. وهدم برج فنوئيل وقتل رجال المدينة. (قضاة إصحاح: ١٨/ ١٦/ ١٧).

(٢٢) وحين زال غضب رب الأسفار، سارع إلى الفتك ببنى بنيامين - فضرب الرب بنيامين أمام إسرائيل، وأهلك بنو إسرائيل من بنيامين في ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف رجل ومائة رجل. كل هؤلاء مخترطوا السيف. ورجعوه أمام بنى إسرائيل في طريق البرية ولكن القتال أدركهم والذين من المدن أهلكوهم في وسطهم. فحاوطوا بنيامين وطاردوهم بسهولة وأدركوهم مقابل جبعة لجهة شروق الشمس. فسقط من بنيامين ثمانية عشر ألف رجل. ورجع رجال بنى إسرائيل إلى بنى بنيامين وضربوهم بحد السيف من المدينة بأسرها حتى البهائم، حتى كل ما وجد، وأيضاً جميع المدن التى وجدت، أحرقوها بالنار. (قضاة إصحاح: ٢٠/ ٣٥/ ٤٢/ ٤٨).

(٢٣) وتخلف أهل يابيش عن زيارة ياهوه في المجمع، فكان جزاؤهم الإبادة: « وقالوا: أي سبط من أسباط إسرائيل لم يصعد إلى الرب؟ إلى المصفاة؟ فأرسلت الجماعة إلى هناك اثنى عشر ألف رجل من بنى البأس، واوصوهم قائلين واضربوا سكان يابيش

جلعاد بحد السيف مع النساء والأطفال. وهذا ما تعلمونه تحرمون كل ذكر وكل امرأة عرفت اضجاع ذكر» . (قضاة إصحاح:٢١/ ١٠/ ١١).

(٢٤) وتحصد الأسفار من أهل برج شكليم ألف رجل وامرأة فتقول: - فقطع الشعب أيضا كل واحد غصنا وساروا وراء أبيمالك، ووضعوها على الصرح، وأحرقوا عليهم الصرح بالنار، فمات أيضا جميع أهل برج شكليم، نحو ألف رجل وامرأة - (قضاة إصحاح: ٩/ ٤٩).

(٢٥) وعندما يطلب داود ابنه شاؤل زوجة له. يطلب شاؤل من داود أن يقطع له مائة غُلفه من أعضاء الذكور من الفلسطينيين ويقدمها مهراً لأبنته ميكال - فقال شاؤل: هكذا تقولون لداود. ليست مسرت الملك بالمهر بل بمئة غُلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك. ولم تكمل الأيام حتى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتى رجل وأتى داود بغلفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك. فأعطاه شاؤل ميكال ابنته امرأة.. (صموئيل الأول إصحاح: ١٨/ ٢٥/ ٢٧).

(٢٦) ولا نعجب لوحشية شاؤل هذه إذا علمنا أنه أخذ يفتك بالكهنة من بنى إسرائيل أنفسهم، وبالنساء والأطفال والحيوانات. - ووقع هو بالكهنة وقتل في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلا لابسي افود كتان. وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف. الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم بحد السيف.

(صموئيل الأول إصحاح: ٢٢/ ١٨/ ١٩).

(٢٧) وجاء دور داود نبيهم الأعظم، وأبن ياهوه المفضل وخليفته الذي اقسم أن يظل ملك إسرائيل في عقبه إلى الأبد، فأستهل عهده الدامى بالفتك بالفلسطينيين الذين أحسنوا إليه وآووه يوم كان هارباً من شاؤل. - وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم وأخذ داود زمام القصبة من يد الفلسطينيين، وضرب المؤابيين وقاسهم بالحبل. أضجعهم على الأرض فقاس بحبلين للقتل وحبل للاستحياء..

(٢٨) وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة فأخذ داود الفاً وسبعمائة فارس وعشرين ألف رجل. وعرقب داود جميع خيل المركبات وأبقى منها مائة مركبة.

فجاء آرام دمشق لنجدة هدد عزر ملك صوبة فضرب داود من آرام أثنين وعشرين ألف رجل. ونصب داود تذكاراً عند رجوعه من ضربه ثمانية عشر ألفاً من آرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس. (صموئيل الثاني إصحاح: ٨/ ١/ ١٨).

(٢٩) ولم تقنع طريقة الإبادة بالسيف الملك داود فاستنبط طريقة جديدة فذة. - وأخرج غنيمة المدينة - ربة بنى عَمّون - كثيرة جدا. وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأحرقهم في آتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بنى عَمّون. - (صموئيل الثاني إصحاح: ١٢/ ٣٠/ ٣١).

(٣٠) واستتب الأمر لداود، فلم يبقى على عداء له سوى أبنت ابشالون. واستحكم العداء بينهم. فلابد إذن من مجزرة. «وكان القتال في وعر أفرايم. فانكسر هناك شعب إسرائيل أمام عبيد داود وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم قتل عشرون ألفا وكان القتال هناك منتشراً على وجه كل الأرض وزاد الذين أكلهم الوعر من الشعب على الذين أكلهم السيف في ذلك اليوم»

(صموئيل الثاني إصحاح: ١٨/ ٦/ ٨).

(٣١) وجاء سليمان الحكيم من بعد أبيه داود. فوجد أنه لابد من سفك الدماء لتتم الحكمة ويكمل الدهاء وتتوطد أركان الملك. «فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام وفى اليوم السابع اشتبكت الحرب فضرب بنو إسرائيل من الآراميين مائة ألف رجل في يوم واحد. وهرب الباقون إلى أفيق إلى المدينة وسقط السور على السبعة والعشرين ألف رجل الباقين» (الملوك الأول إصحاح: ٢٠/ ٢٩/ ٣٠).

(٣٢) ويجب ألا نهمل ذكر نصيب ملائكة الأسفار في سفك الدماء والمجازر التى توردها أسفارهم: «وكان في تلك الليلة ملاك الرب، خرج، وضرب من جيش أشور مائة ألف وخمسة وثمانين آلفا. ولما بكروا صباحاً إذا هم جميعا جثث ميتة» .

(الملوك الثاني إصحاح: ١٩/ ٣٥).

(٣٣) واشتد الصراع على مرضاة ياهوه بين يهوذا وإسرائيل فدارت بينهم رحى معركة طاحنة. «وهتف رجال يهوذا ولما هتف رجال يهوذا ضرب الله يربعام وكل

إسرائيل أمام أبيا ويهوذا. فانهزم بنو إسرائيل من أمام يهوذا فدفعهم الله ليدهم. وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمس مائة ألف رجل مختار. فنزل بنو إسرائيل في ذلك الوقت وتشجع بنو يهوذا لأنهم اتكلوا على الرب إله آبائهم» . (أخبار الأيام الثاني إصحاح: ١٢/ ١٥/ ١٨).

(٣٤) ويأتى دور يهورام بن ياهو ليجرب سيفه بإخوته. « فقام يهورام على مملكة أبيه وتشدد وقتل جميع اخوته بالسيف وأيضا بعضا من رؤساء إسرائيل» (أخبار الأيام الثاني إصحاح: ٢١/ ٤).

(٣٥) ثم تأتى عتليا أم أخذيا أبن يهورام وتبيد جميع النسل الملكي المقدس. ولما لا؟ أهي أقل من الرجال شجاعة ورغبة في سفك الدماء. « ولما رأت عتليا آم أخزيا أن ابنها قد مات قامت وأبادت جميع النسل الملكى من بيت يهوذا» .. (أخبار الأيام الثاني إصحاح: ٢١/ ٤).

(٣٦) وحين تنبأ الكاهن زكريا قتلوه في بيت الرب. «ولبس روح الله زكريا الكاهن بن يهويا داع فوقف فوق الشعب وقال لهم: هكذا يقول الله لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون. لأنكم تركتم الرب ترككم. ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب» (أخبار الأيام الثاني إصحاح: ٢٤/ ٢٠/ ٢١).

(٣٧) وانتقم يهوه لقتل نبيه زكريا فأوقع يواش الملك بأيدي جيش آرام فاهلكوا جميع رؤساء الشعب في يهوذا وأورشليم. - (أخبار الأيام الثاني إصحاح: ٢٤/ ٢٣).

(٣٨) ويبدو أن يهوه قد غضب على شعبه لأن حدة المجازر قد خفت، فجاء أمصيا الصالح « فتشدد واقتاد شعبه وذهب إلى وادي الملح وضرب من بنى سعير عشرة آلاف أحياء سباهم بنو يهوذا وأتوا بهم إلى رأس سالع وطرحوهم عن رأس سالع فتكسروا أجمعين.. وأما الرجال الذين أرجعهم أمصيا عن الذهاب معه إلى القتال فاقتحموا مدن يهوذا من السامرة إلى بيت حورون وضربوا منهم ثلاثة آلاف ونهبوا نهباً كثيرا»

(أخبار الأيام الثاني إصحاح: ٢٥/ ١١/ ١٢).

(٣٩) واشتد ساعد إسرائيل ونال حظوة عند رب الجنود يهوه فنصره على يهوذا.

« ودفع أيضا ليد ملك إسرائيل فضربه ضربة عظيمة. وقتل فقح بن رمليا في يهوذا مائة وعشرين ألفا في يوم واحد. وسبى بنو إسرائيل من أخوتهم مائتي ألف من النساء والبنين والبنات ونهبوا أيضا غنيمة وافرة وأتوا بالغنيمة إلى السامرة» .

(أخبار الأيام الثاني إصحاح: ٢٨/ ٥/ ٨).

(٤٠) والأسفار لا تخفي حقيقة الشعب المختار وميوله لشرب الدماء وقضم عظام البشر وقتل الأولاد حتى أولاد اليهود أنفسهم. «هو ذا شعب يقوم كلبوة ويرتفع كأسد. لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى.. الله أخرجه من مصر. له مثل سرعة الرئم. يأكل أمما مضايقيه ويقضم عظامهم» (سفر العدد إصحاح: ٢٣/ ٢٤، إصحاح: ٢٤/ ٨).

(٤١) ويندد أرميا نبيهم بحرق أبناء اليهود بالنار «وبنوا مرتفعات توفة التي في وادي ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار الذي لم آمر به ولا صعد على قلبي» .

(أرميا إصحاح: ٧/ ٣١).

(٤٢) وهذا شمشون الأسفار يقتل ألف رجل بفك حمار: «ووجد لحي حمار، طرياً، فمد يده وأخذه وضرب به ألف رجل فقال شمشون: بلحي حمار كومة كومتين، بلحي حمار قتلت ألف رجل» (قضاة: ١٥/ ١٥/ ١٦).

(٤٣) وهذا هو شمشون الأسفار الزاني والمبارك من الرب كما تقول أسفارهم والعاشق لامرأة تدعي دليلة وقد سقط في الأسر بيد الفلسطينيين، فقتل منهم في ساعة واحدة أكثر من (٣,٠٠٠) ثلاثة آلاف كما تحكي الأسفار: «ثم ذهب شمشون إلى غزة، ورأي هناك امرأة زانية فدخل إليها، فضجع شمشون إلى نصف الليل ثم قام في نصف الليل وأخذ مصراعي باب المدينة والقائمين وقلعها مع العارضة، ووضعها على كتفيه وصعد إلى رأس الجبل الذي مقابل حبرون» (قضاة إصحاح: ١٦/ ١/ ٣).

(٤٤) وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في وادي سورق اسمها دليله. فصعد إليها أقطاب الفلسطينيين وقالوا لها: «تملقيه وانظري بماذا قوته العظيمة. وبماذا نتمكن منه لكى نوثقه لإذلاله» (قضاة إصحاح: ١٦/ ٤/ ٥).

(٤٥) وتمكنوا منه وأخذوا يتسلون ويلهون به فقتل منهم أكثر من (٣,٠٠٠) ثلاث آلاف رجل في لحظة واحدة بعد أن قلعوا عينه وبعد أن فارقه الرب مع قص شعر رأسه: – وكان لما طابت قلوبهم أنهم قالوا: – ادعوا شمشون ليلعب لنا – فدعوا شمشون من بيت السجن، فلعب أمامهم، وأوقفوه بين الأعمدة. فقال شمشون للغلام الماسك بيده: دعني ألمس الأعمدة التي البيت قائم عليها لأسند عليها، وكان البيت مملوءاً رجالاً ونساءً، وكان هناك جميع أقطاب الفلسطينيين، وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون لعب شمشون. فدعا شمشون الرب وقال: يا سيدي، اذكرني وشددني يا الله هذه المرة فقط، فأنتقم نقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين، وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائماً عليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره، وقال شمشون: لتمت نفسي مع الفلسطينيين. وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذي فيه، فكان الموتى الذين أماتهم في موته، أكثر من الذين أماتهم في حياته. (قضاة إصحاح: ١٦/ ٢٥ / ٣٠).

(٤٦) وهذا هو داود يقتل من آرام اثنين وعشرين ألف رجل: – فجاء آرام دمشق لنجدة هدد عزر ملك صوبة، فضرب داود من آرام أثنين وعشرون ألف رجل.

(صموئيل ثاني إصحاح:٨/ ٥).

(٤٧) ونصب داود تذكاراً عند رجوعه من ضربة ثمانية عشر ألفاً من آرام في وادي الملح. (صموئيل ثاني إصحاح: ٨/ ١٣).

(٤٨) وقتل داود من آرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس، وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك. (صموئيل ثاني إصحاح: ١٠/ ١٨).

(٤٩) وها هي الأسفار تحصد (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف رجل في يوم واحد، فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام. وفي اليوم السابع اشتبكت الحرب، فضرب بنو إسرائيل من الآراميين مائة ألف رجل في يوم واحد، وهرب الباقون إلى أفيق، إلى المدينة، وسقط السور على السبعة والعشرين ألف رجل الباقين [1] (ملوك أول: ٢٠/ ٢٩/ ٣٠).

---

(١) أما السبعة وعشرين ألف قتيل فلن نحصيهم لأنهم قتلى السور الذي سقط عليهم، وليس السيف!!.

(٥٠) وهذا هو أمصيا يتولي الملك ويقتل عشرة آلاف رجل من أدوم: و« قتل من أدوم في وادي الملح عشرة آلاف، وأخذ سالع بالحرب» (ملوك ثاني: ١٤/ ٧).

(٥١) ويصل القتل إلى رقم المليون قتيل في الأسفار حيث تقول: (فخرج إليهم زارح الكوشي بجيش ألف ألف، وبمركبات ثلاثمائة، وأتى إلى مريشة. وخرج أسا للقائه واصطفوا للقتال حتى في وادي صفاته عند مريشة. ودعا أسا الرب إلهه وقال: أيها الرب، ليس فرقاً عندك، أن تساعد الكثيرين ومن ليس لهم قوة، فساعدنا أيها الرب إلهنا، لأننا عليك أتكلنا وباسمك قدمنا على هذا الجيش. أيها الرب أنت إلهنا. لا يقوي عليك إنسان - فضرب الرب الكوشيين أمام أسا، وأمام يهوذا، فضرب الكوشيون وطردهم أسا والشعب الذي معه إلى جرار، وسقط من الكوشيين حتى لم يكن لهم حي، لأنهم انكسروا أمام الرب وأمام جيشه، فحملوا غنيمة كثيرة جداً. وضربوا جميع المدن التي حول جرار، لأن رعب الرب كان عليهم، ونهبوا كل المدن لأنه كان فيها نهب كثير، وضربوا أيضاً خيام الماشية وساقوا غنماً كثيراً وجمالاً، ثم رجعوا إلى أورشليم) . (أخبار الأيام الثاني: ١٤/ ٩/ ١٥).

(٥٢) ولم يسلم الفرس من سيفهم ومن هذا القتل فقديسة الأسفار استير، خصها كهان بنى إسرائيل بسفر كامل جاء رمزاً على الكذب والتآمر والغدر والوحشية والقسوة: - وقتل اليهود في شوشن القصر وأهلكوا خمسمائة رجل، عشرة بني هامان ابن همداثا، عدو اليهود، قتلوهم. فقال الملك لاستير الملكة في شوشن القصر قد قتل اليهود وأهلكوا خمسمائة رجل وبني هامان العشرة. فما هو سؤلك فيعطى لك؟ وما هي طلبتك بعد فتقضى؟ فقالت استير: إن حسن عند الملك فليعط غداً أيضاً لليهود الذين في شوشن أن يعملوا في هذا اليوم، ويصلبوا بني هامان العشرة على الخشبة، فأمر الملك أن يعملوا هكذا. (سفر استير: إصحاح: ٩/ ١٢/ ١٤).

(٥٣) وبعد أن صلب أبناء هامان العشرة على الخشبة حسب طلب استير اتجه اليهود إلى الفتك بالشعب في بقية المناطق. - وباقي اليهود الذين في بلدان الملك اجتمعوا ووقفوا لأجل أنفسهم، واستراحوا من أعدائهم وقتلوا من مبغضيهم خمسة

وسبعين ألفاً. في اليوم الثالث عشر من شهر آذار. واستراحوا في اليوم الرابع عشر منه وجعلوه يوم شرب – عيداً رسمياً – (سفر استير: إصحاح: ٩/ ١٦).

(٥٤) وتتوالى الأسفار تحمل السيف وتفتك بالبشر ففي سفر القضاة: «فداروا وهربوا إلى البرية إلى صخرة رمون، فالتقطوا منهم في السكك خمسة آلاف رجل، وشدوا وراءهم إلى جدعون، وقتلوا معهم ألفي رجل» (قضاة: ٢٠/ ٤٥).

٥٥) واصطف الفلسطينيون للقاء إسرائيل، واشتبكت الحرب فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين وضربوا من الصف في الحقل نحو أربعة آلاف رجل. (صموئيل أول: ٤/ ٢).

(٥٦) فحارب الفلسطينيون، وانكسر إسرائيل، وهربوا كل واحد إلى خيمته، وكانت الضربة عظيمة جداً، وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل. (صموئيل الأول: ٤/ ١٠).

(٥٧) وضرب أهل بيتشمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب، وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً، فناح الشعب لأن الرب ضرب الشعب ضربة عظيمة. (صموئيل الأول: ٦/ ١٩).

(٥٨) وضرب عبيد داود من بنيامين ومن رجال أبنير، فمات ثلاثمائة وستون رجلاً. (صموئيل الثاني: ٢/ ٣١).

(٥٩) وخرج الشعب إلى الحقل للقاء إسرائيل. وكان القتال في وعر إفرايم، فانكسر هناك شعب إسرائيل أمام عبيد داسود، وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم، قُتل عشرون ألفاً. (صموئيل الثاني: ١٨/ ٦/ ٧).

(٦٠) وقتل فقح بن رمليا في يهوذا مئة وعشرين ألفاً في يوم واحد، الجميع بنو بأس. (أخبار الأيام الثاني: ٢٨/ ٦).

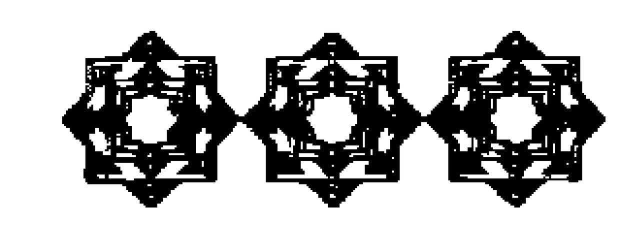
(٦١) ثم جاء إلى بيت أبيه في عطرة وقتل أخوته بني يربعل، سبعين رجلاً على حجر واحد. (قضاة: ٩/ ٥).

(٦٢) وحل عليه روح الرب فنزل إلى أشقلون وقتل منهم ثلاثين رجلاً، وأخذ سلبهم وأعطى الحلل لمظهري الأحجية. (القضاة: ١٤/ ١٩).

(٦٣) وكانت الضربة الأولى التي ضربها يوناثان وحامل سلاحه نحو عشرين رجلاً في نحو نصف تلم فدان أرض. (صموئيل الأول: ١٤/ ١٤).

تعليق:

ولا ننسى ونحن نعرض لهذه المجازر التي كان يذهب ضحيتها مئات الآلاف في معركة واحدة تدوم يوماً أو بعض يوم، أن نذكر بأن السلاح الرئيسي الذي كان يستخدم في تلك المذابح هو السيف. ولنا أن نقيس درجة الوحشية والهمجية من تصورنا لمعركة يسقط فيها نصف مليون قتيل، وبلغ المليون قتيل في معركة واحدة، من غير استخدام قنابل ذرية أو هيدروجينية، أو مدافع ورشاشات ودبابات وطائرات من قاذفات القنابل والصواريخ.. ولنا أن نقيس كذلك درجة المدنية التي قدمها الآخر للعالم، حين نتصور المآسي والكوارث التي كانت تنجم عن سبى مائتي ألف ما بين سيدة وطفل، في معركة واحدة بعد ذبح مئات الآلاف من الرجال المحاربين وغير المحاربين. إنها لعمري ليست مدنية بل همجية ووحشية. حتى أننا نخطئ كثيراً حين ننسبها إلى الوحوش ونسميها وحشية. ذلك لأن جميع أنواع الوحوش لا تقترف جرائم القتل إلا لتأمين وجبات طعامها، في حين أن الآخر كانوا وما زالوا متعطشين لسفك الدماء بشكل جنوني محموم، لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر.



الإسلام والعقل

أما المغالطة التي ساقها البابا وتقول: «إن الإسلام عدو للعقل» .

ونقول له: إن العقل في الفلسفة الإسلامية هو الأساس الذي يعتمد عليه القرآن الكريم في خطاب الناس، ويعول عليه تعويلا تاما في فهم أمور التشريع، ومنزلة العقل في القرآن الكريم يعرفها الصبيان في كتاتيب القرى والنجوع، لأن تلاوة القرآن الكريم تثبت هذا المعنى في بساطة ووضوح وبصورة ينفرد بها القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية الموجودة بأيدينا وفي قواعد الفقهاء العقل مناط التكليف، وحيث لا عقل لا تكليف وقال (ﷺ):«رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يحتلم» (متفق عليه).

ويكفي أن نذكر أن مواد العقل والفكر والنظر والفقه بمشتقاتها وردت في قرآن المسلمين أكثر من ١٢٠ مرة في نصوص صريحة تدعوا الناس إلى استخدام العقل بكل وظائفه وقواه، سواء في العلم بالله أو العلم بالكون والإنسان، وربما كان القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يجد فيه القارئ تفرقة مدهشة بين مرتبة العلم والحق من جانب، ومراتب الشك والظن من جانب آخر.

ونعتقد أن قداسة البابا وهو في طليعة علماء الفلسفة واللاهوت يعلم جيدا أن الإيمان بالله تعالى وبصفاته العليا عند المسلمين ينبني على دليل عقلي لا على تسليم وتلقين، وأن وجه دلالة الخوارق والمعجزات على صدق الأنبياء هو العقل وليس الإيمان، وإن القاعدة التي تركز عليها علوم العقيدة في الإسلام تقرر أنه: «**إذا تعارض الشرع والعقل، قُدم العقل وأول الشرع**» ويعلم قداسة البابا أن الفلاسفة والمتكلمين المسلمين بذلوا في هذا الميدان جهوداً علمية جبارة، وتركوا من ورائهم تراثاً عقلياً مازال ينتزع إعجاب أساتذة الغرب ومفكريه حتى الآن[1].

---

(١) د/ أحمد الطيب - صحيفة الأهرام - ٢٤/٩/٢٠٠٦ - صـ١٢.

ونحن نقول: إن العقلانية ليست حكرا على قوم دون غيرهم ولا على أتباع ديانة دون أخرى وقد قال الله (ﷻ): ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (فصلت: من الآية٤٦).

والقول بأن رب ديانة هو رب عاقل ومن ثم فهو ضد العنف العقلاني، ورب ديانة أخري فوق العقل ومن ثم فهو ضد العنف غير العقلاني، ورب ديانة أخرى فوق العقل ومن ثم فهو يقر العنف، قول غير مبرر، وإنما يعبر عن فهم خاطئ للأسباب والنتائج ويخلط بين صفات المخلوق وهي العقلانية، وصفات الخالق وهي فوق كل شيء بما فيه العقل.[1].

ويضيف قائلاً: وفي الحقيقة أنني أقر البابا تماما في قوله بأن الله في الإسلام قدراته بلا حدود، وأن العقل الأدنى، الذي هو من صنعة قاصر على الوصول إلى ماهيته، لكنني كنت أعتقد أن تلك هي بعض صفات الله في جميع الأديان، وإلا ما صار إلها، أما ما لم اقتنع به فهو ما وصل إليه من نتيجة خاطئة تأسياً على هذه الحقيقة وهي أن الله لأنه (ﷻ) لا تحده العقلانية فهو يمكن أن يأتي بعنف وظلم غير عقلاني!![2].

وإذا كنا نجد في الكتب السماوية الأخرى ما يشير إلى شأن العقل صراحة أو ضمنا فإن فيها ما يمكن فهمه على أنه زراية بالعقل وحط من شأنه بل فيها أيضا ما يفهم منه التحذير من العقل وذلك على عكس ما ورد في القرآن الكريم[3].

وليست المشيئة الإلهية في الإسلام منقطعة عن العقل وأن تصرفات الله لا تخضع للعقل ولا المنطق، فهذا زعم باطل، وأمر لا سند له من الواقع القرآني ولا من واقع الاعتقاد الإسلامي، فالله (ﷻ) قد أمرنا بكل الفضائل التي تتفق مع العقل والمنطق، وقد احترم الإسلام العقل الإنساني وجعله في أعلى منزلة، وأرفع مكان، وجعل الإنسان الذي لا يستخدم العقل الإنساني خطيئة كبرى سوف يسأل عنها الإنسان يوم القيامة.

والله (ﷻ) قد بين لنا في القرآن الكريم أنه خلق كل شيء بقدر، وأن كل ما في

(١) محمد سلماوي - صحيفة الأهرام ٢٧/ ٩/ ٢٠٠٦ صـ١٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) د/ أحمد الطيب - صحيفة الأهرام - المرجع السابق.

السموات والأرض يسير وفق سنن كونية، وأن كل خلق الله مرتبط بحكم بالغة، وقد دعا القرآن الكريم الناس إلى النظر في الكون ودراسته والتفكر في آيات الله في خلقه وفي الإنسان.

يقول الله (ﷻ): ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة الحج:٤٦)

وقوله (ﷻ): ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة المؤمنون:١٨)

وقوله (ﷻ): ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة العنكبوت:٢٠)

وقوله (ﷻ): ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الروم:٩)

ويقول (ﷻ): ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ (سورة الحج:٦٥)

وأما أن المسلم يؤمن بأن إرادة الله وعلمه وحكمته لا تحدها حدود فهذا أمر منطقي لأنه هو سبحانه وتعالى الخالق.

ولكن المسلم لا يفهم من ذلك مطلقاً أن تصرفات الله لا تتفق مع العقل والمنطق وفي ضوء هذه التعاليم القرآنية سار علماء المسلمين.

فحجة الإسلام الغزالي يقول: «العقل أنموذج من نور الله».

ويقول الجاحظ: «إن العقل وكيل الله عند الإنسان».

كما يقرر علماء التوحيد: «إن النظر العقلي يعد أول واجبات المسلم في مسائل الاعتقاد»

وقال الحسن البصري: « تفكر ساعة خير من قيام ليلة »[١].

وقال الفضيل: « الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك »[٢].

وقيل لإبراهيم بن أدهم: « إنك تطيل الفكرة؟! فقال: – الفكرة مخ العقل »[٣].

وكان سفيان بن عيينة يقول: « إذا المرء كانت له فكرة، ففي كل شيء له عبرة »[٤].

وقال حسن البصري أيضاً: « من لم يكن كلامه حكمه فهو لهو، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو »[٥].

وقال بشر: « لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله (ﷻ) »[٦].

وقال ابن عباس: « ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب »[٧].

وقال أبو سليمان الداراني: « عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر »[٨].

وقال أيضاً: « الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية، والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب، ومن الذكر يزيد الحب، ومن التفكر يزيد الخوف»[٩].

وقال ابن عباس: « التفكير في الخير يدعو إلى العمل به، والندم على الشر يدعو

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٠) برقم (٢٣، ٣٥) وغيرها.

(٢) ابن كثير في تفسيره ١/ ٤٣٩.

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير ٤/ ٣٦٧.

(٤) أبو نعيم – حلية الأولياء (٧/ ٣٠٦).

(٥) المناوي، فيض القدير (٤/ ٣٦٧).

(٦) أبو نعيم – في حلية الأولياء (٨/ ٣٢٧).

(٧) ابن المبارك – في الزهد (١/ ٩٧) برقم ٢٨٨ وأبو الشيخ في كتاب العظمة (١/ ٣٠٢).

(٨) أبو نعيم – حلية الأولياء (٩/ ٢٧٤).

(٩) أبو نعيم – حلية الأولياء (٩/ ٢٧٨).

إلى تركه، وإذا كان همُّ العبد وهواه في الله (ﷻ)، جعل الله صمته تفكرا وكلامه حمدا ».

وقال الحسن البصري: « إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر، وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة » (١).

« وبينما أبو شريح يمشي إذ جلس، فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك؟ قال: تفكرت في ذهاب عُمري وقلة عملي واقتراب أجلي » .

وقال الشافعي رحمه الله: « صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم على الرأي سلامة من التفريط، والندم والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة، ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة، ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم » (٢).

وقال أيضاً: الفضائل أربع:

إحداها: الحكمة وقوامها الفكرة.

والثانية: العفة وقوامها التغلب على الشهوة.

والثالثة: القوة وقوامها التغلب على الغضب.

والرابعة: العدل وقوامه في اعتدال قوي النفس (٣).

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى التفكر في كتابه مقروناً بذكر الأمثال والنعم والمخلوقات، وهذه بعض الآيات التي فيها الأمر بالتفكر أو مدح المتفكرين أو أنه (ﷻ) خلق أشياء للمتفكرين.

قال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ

(١) أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ١٩).

(٢) المناوي - في فيض القدير (٢/ ٣١٤).

(٣) المناوي - في فيض القدير (٢/ ٣١٤).

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ (سورة البقرة:٢٦٦).

وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾
(سورة آل عمران١٩٠ : ١٩٢)

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة يونس:٢٤).

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (سورة الرعد: ٢ – ٣).

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة النحل:١٠– ١٤).

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الروم: ٨، ٩)

قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة الحشر ٢٠، ٢١).

ومن وسائل زيادة الإيمان التفكر في آيات الله في الكون وفي الآفاق وفي النفس.

يقول الله (ﷻ): ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ﴾ (الروم: من الآية ٨).

ويقول (ﷻ): ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل: من الآية ٨).

وقوله (ﷻ): ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة الذاريات: ٢١).

وقوله (ﷻ): ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة الروم: ٢٠)

وقوله (ﷻ): ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ (سورةالقيامة: ٣٧ - ٣٨)

وقوله (ﷻ): ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة المرسلات: ٢٠-٢٢)

وقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ (سورة الإنسان: من الآية٢).

وتأتي الأدلة العقلية على وحدانية الله (ﷻ) عن طريق التحدي كما في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة لقمان: ١١)

فقد جعل القرآن الناس يتفكرون في عظمة الرب سبحانه وتعالى في خلق الإنسان وفي أشياء كثيرة أخرى.

وجاءت الأحاديث النبويـة الشريفة فبينت أن العقـل نعمة عظيمة فقال رسول الله (ﷺ): «ما اكتسب المرء بعد تقوى الله مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدي ويرده عن الردي».

وفي حديث آخر: «ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل» وقال أيضاً: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[1].

والمتدبر للقرآن الكريم يرى كثيرا من آياته تسوق الأدلة العقلية الباهرة على وحدانية الله تعالى وعلى أن يوم القيامة حق وعلى أن الرسل الكرام قد بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، وعلى أن هذا القرآن من عند الله (ﷻ).

والأدلة العقلية على وحدانية الله تعالى تارة تأتي عن طريق التحدي كما في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾(سورة لقمان:١١).

وشبيه بهذه الآية في التحدي قوله (ﷻ): ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (النحل:١٧).

ويسوق الله (ﷻ) الأدلة العقلية على وحدانية الله (ﷻ) عن طريق بيان أن هذا الكون البديع المتقن لا يصلح أن يكون بهذه الصورة البديعة المحكمة الجميلة، إلا إذا كان خالقه إلها واحدا وهو الله الذي أحسن كل شيء خلقه، ومن الآيات التي أكدت هذه الحقيقة قوله (ﷻ): ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة الأنبياء:٢٢).

ولما كان المشاهد غير ذلك، إذ كل شيء في هذا الكون يسير بنظام محكم ودقيق دل على أن لهذا الكون إلها واحدا قادراً حكيماً لا شريك له. يقول الله (ﷻ): ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (سورة المؤمنون:٩١)

---

(١) صحيح رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

ويسوق القرآن الكريم الأدلة العقلية على أن يوم القيامة حق، وأن الناس سيحاسبون على أعمالهم دون أن تظلم نفس شيئاً، هذه الأدلة كثيرة ومتنوعة منها قوله (ﷻ): ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (سورة يس: ٧٧ -٨٣)

وفي القرآن الكريم الكثير من الأدلة على أن كل رسول ناقش قومه مناقشة عقلية تدل على صدقة وعلى أنه قد جاء لهدايتهم إلى الصراط المستقيم وانه لا يطالبهم بأي أجر على دعوته لهم وانهم جميعا لا يريدون إلا الإصلاح. يقول الله (ﷻ): ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (سورة الشعراء: ١٤١-١٤٥).

ويتكرر هذا الموقف مع نبي الله لوط (الطَّيْلا) فيقول الله (ﷻ): ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (سورة الشعراء: ١٦٠ - ١٦٧).

ويمضي السفهاء في تكذيب الأنبياء فيتصدون لنبي الله شعيب (الطَّيْلا) فيقول الله (ﷻ): ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟

بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ (سورة الشعراء: ١٧٦ - ١٨٦).

والإسلام يدعو إلى استخدام العقل وإلى الحوار الهادف البناء وأن يكون الحوار قائم على التواضع والاحترام المتبادل بين الأطراف وهو يوصل في الأعم الأغلب إلى النجاح أما الحوار الذي يكون مبعثه الغرور والتعالي فمن المستبعد أن يأتي بنتيجة تؤدي إلى الوفاق.

والعقلاء عندما يرون المحاورة مع المغرورين تؤدي إلى الإفساد لا إلى الإصلاح يبتعدون عنها ويفوضون أمرهم إلى الله تعالى.

ومفردات الحوار في الشريعة الإسلامية تتسم باتساع دائرتها ووضوح قضاياها وشمولها لما لا يحصى من المسائل.

ومن هذه الحوارات ما قصه القرآن الكريم علينا من أن الله تعالى قد قال لبعض عباده أقوالاً بكيفية لا يعلمها إلا هو - (ﷻ) - كالمحاورة التي دارت بين الخالق (ﷻ) وبين عيسى (عليه السلام).

يقول الله (ﷻ): ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (سورة المائدة: ١١٦ - ١١٨).

والمقصود من هذه المحاورة: توبيخ الكفرة من قوم عيسى (عليه السلام) وتبكيت كل ما نسب إلى عيسى وأمه مريم رضوان الله عليهما ما ليس من حقهما، وفضيحة الضالين على

رؤوس الأشهاد يوم القيامة، لأن عيسى (عليه السلام) سينفي أمامهم أنه قال شيئاً من ذلك، ولا شك أن النفي بعد السؤال: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله – ابلغ في التكذيب.

وقد أجاب عيسى (عليه السلام) بأبلغ إجابة وبأوضح بيان حيث قال أنزهك يا إلهي عن أن أقول هذا القول، فإنه ليس من حقي ولا من حق أحد أن ينطق به.

ثم أضاف عيسى (عليه السلام) إلى هذا الأدب العالي في الجواب: إظهار ضعفه المطلق أمام علم خالقه (عز وجل) حيث قال: إن كنت قلت هذا القول فأنت تعلمه، ولا يخفى عليك منه شيء..

وبعد هذا التنزيه من عيسى (عليه السلام) لخالقه الله (عز وجل) وبعد هذا الإظهار للضعف أمام بارئه. يصرح بما قاله لقومه فقال: إني يا إلهي ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم، وأني كنت شاهدا عليهم، فلما قبضتني إليك، ورفعتني إلى سمائك، كنت أنت وحدك الحفيظ عليهم.

ثم فوض عيسى (عليه السلام) الأمر كله إلى خالقه فقال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (المائدة:١١٨).

ثم ختم سبحانه هذه المحاورة الحكيمة بقوله: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ (المائدة: من الآية١١٩).

المسيحية والعقل:

إن المسيحية في عقيدتها بعد تحريفها لتمثل أمام العقل البشري إشكالية كبري يقول عنها الجاحظ: «لو جهدت بكل جهدك وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه، حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم في الإلهية».

وقد أنفق علماء اللاهوت والفلاسفة الكاثوليك والبروتستنت كثيراً من الجهد والوقت لفهم وشرح التجسيد والتثليث بطريقة عقلانية وفشلوا دائماً، ولذلك لجئوا إلى دعوى: «إن التجسيد والتثليث من أسرار الديانة».

يقول م. هـ فنسلى: «قال المسيح بما لا يقبل التخمين: إن طبيعة ابن الله سر عميق لا تحيطه مدارك البشر (ليس أحد يعرف الابن إلا الأب)» (متى ١١/ ٢٧).

وبكلمات أخرى: «إن الله وحده فقط يعلم أعماق هذا السر».

ويقول قد يسهم (توما الأكويني): «إن أي محاولة لتفهم العقائد المسيحية واقعة في التناقض لا محالة، إن لم تكن مستحيلة على الإطلاق».

ويقول (ادوارج يونج) أحد كبار رجال الدين المسيحي المعاصرين: «إنه مما لاشك فيه أننا نواجه في عقيدتنا عن الوحي كثير من الصعاب المركبة والحقيقية، ومن الحق أن نعترف بذلك».

ويقول: «ما أكثر الصعاب الكتابية التي يلزم أن نواجهها. وما أكثر الصعاب التي لا نستطيع أن نجد لها تفسيراً».

كل هذا أدى إلى حرج شديد شعرت به الكنيسة، وخاصة في عصر العلم وإعمال العقل، مما حدا بالكنيسة الهولندية وهي الكاثوليكية أيضاً إلى إصدار كتاب للتعليم الديني عام ١٩٦٦ م غير ذلك الكتاب الذي كان سائداً منذ القرن السادس عشر، لم يرد به ذكر عقيدة الإيمان، ولا عبارة الثالوث.

ويتجلى هذا الحرج العام من هذه العقيدة غير المفهومة فنجد أن المنبر الأمريكي قد هجر إلى حد يعيد المواعظ العقائدية، وما يلاحقها من إقرارات الإيمان المسيحي، ومن ثم بات الأمريكان جاهلين إلى حد مخز لا بالعقيدة المسيحية فحسب، بل ربما بمحتويات الكتاب المقدس نفسه.

وهذا ما تعلنه صراحة (مرسيا اليود Mircea Eliod).

في موسوعتها عن الدين (The Encyclopedia of Religion).

بقولها: «إن المجتمع البروتستانتي الأكاديمي غدا يعتقد أن ممارسة المسيحية أمر أخلاقي بصورة عامة، وليس لله ولا للعالم الروحاني اتصال أو تأثير إلى أي مدي معتبر على حياة الإنسان العملية».

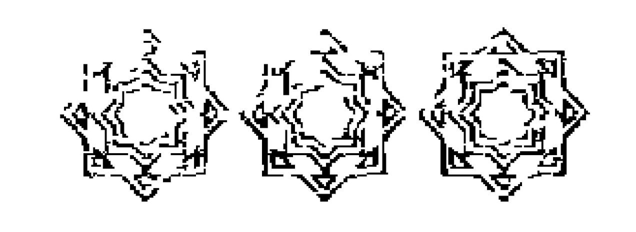
ويتضح هذا الحرج كذلك من أن الكنيسة الكندية الكاثوليكية تحذر قراءة الكتاب

المقدس إلا عن طريق رجال الدين المصرح لهم بذلك، مصرحة بأن الشر الناتج من قراءاته أكثر من الخير.

إن المسيحية اليوم لتشق على البشرية بإلزامها التسليم بعقائدها التي تصرح بغموضها وعدم فهمها. ثم إن تسويغ اللاهوت للأسرار الدينية على أساس وضعها فوق العقل هو إزاحة للوعي العقلي عن ممارسة دوره في فهم الحقيقة والتمييز بين الحق والباطل، وإحباط لفاعليته التي تحفزه للاكتشاف اللامعلوم أو على الأقل تقليل مساحته تدريجياً، وترسيخ لمجتمع السحرة الذي يعطى اللامعقول سلطة الغيب المقدس الذي يتطلب الاستسلام للأسرار.

ثم ألا يمكن أن يكون مثل هذا الموقف الذي يطالبنا اللاهوت به ذريعة لأي أسطورة أو خرافة تقدمها أديان وضعية أو محرفة أخرى بوصفها الحقيقة المطلقة، وعندما نحتج عليها منكرين، يسارع القائمون عليها بالقول: «إنها فوق العقل، ومن ثم يطالبوننا بالإيمان لها أولاً »[1].

ويقول الشيخ محمد رسلان في محاضرة للرد على بابا الفاتيكان: «إن أوروبا لم تتقدم إلا بعد أن طلق العلم النصرانية، وكفر بالمسيحية، وأما المسلمين فلم يتأخروا ويتخلفوا إلا بعد أن فصلوا العلم عن الدين، والدنيا عن الآخرة. إن القساوسة يأمرون اتباعهم بأن يجعلوا العقل خارج الكنيسة، وأن يدخلوا الكنائس بقلوبهم فقط، أما نحن المسلمون فأننا نجعل أحذيتنا خارج مساجدنا وندخل بعقولنا وقلوبنا. فهم يتركون عقولهم حيث يترك المسلمون أحذيتهم» .



(١) د/ جمال الحسيني أبو فرحة – عقائد المسيحية – مجلة الوعي الإسلامي – ذو الحجة ١٤٢٧ هـ صـ٢٩.

لماذا يحاربون الإسلام؟!.

لهذه الأسباب يحارب الإسلام وأهله:

- يبلغ تعداد المسلمين اليوم قرابة المليار ونصف المليار، من بين المليارات الستة التي هي تعداد البشرية اليوم، أي قرابة ربع البشرية، وفيهم أعلى نسبة للخصوبة والتوالد، الأمر الذي يرشح نسبتهم إلى سكان العالم للزيادة باطراد.

- ويمثل العالم الإسلامي والذي نعيش فيه الأغلبية الساحقة للمسلمين وطناً مترابط الأوصال، وسهل الاتصال، تبلغ مساحته خمسة وثلاثين مليونا من الكيلومترات المربعة.

وقد أتاح ترابط أقاليم هذا العالم الإسلامي التفاعل الثقافي، والحضاري بين شعوبه، حتى قبل التقدم الحالى في وسائل الاتصال، وهو يتيح في ظل ثورة وسائل الاتصال - المزيد من الترابط بين أمة الإسلام. وذلك فضلاً عن أن تطلع شعوب وأقاليم هذا العالم الإسلامي لمزيد من الترابط والتضامن والاتحاد، وليس هذا مجرد حلم مستقبلي، وجزء من الظاهرة المعاصرة نحو التكتلات الإقليمية والثقافية والاقتصادية، وإنما هو فوق ذلك - إحياء وتجديد للترابط الأممي الذي عرفه هذا العالم، في ظل الخلافة الإسلامية، لأكثر من عشرة قرون، كانت فيها هذه الأقاليم والدول والإمارات كيانات متميزة في ظل الوحدة الجامعة لدار الإسلام ولأمة الإسلام..

وفي ظل هذا التاريخ الطويل ظل العالم الإسلامي هو العالم الأول على ظهر الكرة الأرضية، بينما لا يتعدى عمر الغرب كعالم أول قرنين من الزمان! ذاق فيهم العالم مرارت كثيرة، ما بين حربين عالمتين وحروب كثيرة لنهب ثروات العالم النامي.

وفي ظل ذلك التاريخ الإسلامي، بنى المسلمون الحضارة الإسلامية الزاهرة، التي تفاعلت مع كل المواريث الحضارية القديمة، وأحيت علوم القدماء.. فراعنة. وفُرْساً، وهنوداً. وإغريقاً. ثم أسهمت في التطوير الهائل لهذه العلوم وأضافت إليها الإبداعات

الجديدة. ثم كانت مصدراً رئيسياً في النهضة الأوروبية الحديثة، ومنارة سطعت أضواؤها على مختلف الحضارات.

ولقد تفردت هذه الحضارة الإسلامية بكونها الحضارة العالمية التي تبلورت وازدهرت في ظل المرجعية الدينية الإسلامية بل وكأثر من آثار هذه المرجعية الدينية، فلم يكن نهوضها وازدهارها كغيرها - على أنقاض الدين. وبعد الثورة على الدين!!.

ولقد بنى المسلمون هذه الحضارة المتميزة، مشركين معهم في هذا البناء الحضاري كل الأقليات الدينية والثقافية، التي احتضنها الإسلام، وحررها من القهر الديني والحضاري، فأصبحت هذه الحضارة الإسلامية هي حضارة الأمة، على اختلاف مللها ونحلها ولغاتها ومذاهبها، الأمر الذي تفردت به هذه الحضارة الإسلامية بين الحضارات عندما أصبحت إسلاميتها جامعة للأقليات وليست طاردة لهذه الأقليات.

ولقد بنى المسلمون هذه الحضارة الإسلامية، وصنعوا التاريخ الإسلامي، في ظل أشرس التحديات. فلقد حررت فتوحاتهم الإسلامية الأولى الشرق من قهر القوى الاستعمارية القديمة. الغرب الأكاسرة. والروم البيزنطيين - ثم قهر المسلمون تحديات الحروب الصليبية، التي دامت قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م) ، وعلى أيديهم تمت الهزيمة الأولى للمغول الذين أبادوا الأخضر واليابس في كثير من الدول والشعوب. وفي العصر الحديث هزموا (نابليون بونابرت) (١٧٦٩ - ١٨٢١م) الذي أتعب أوروبا. ثم كانت بلاد الشرق الإسلامي المقبرة التي دفنت فيها أحلام الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية.. والإنجليزية.. والفرنسية.. والهولندية.. والبرتغالية. واليوم يصنع المسلمون تاريخاً من الصمود والمقاومة لأحلام الإمبريالية الأمريكية، وشريكتها الصهيونية، ساعين إلى إلحاقها بمصير الغزاة والمستكبرين ولسوف يحدث بإذن الله تعالى.

- وإذا كان المسلمون يمثلون اليوم نحو ربع تعداد البشرية. فإنهم يمثلون نصف المتدينين بالديانات السماوية والنصف الآخر تمثله الديانات الوضعية في آسيا.

لكن المقارنة بين الإسلام وبين الديانات السماوية الأخرى تشير إلى أن الإسلام في

الحقيقة والواقع - إنما يمثل الأكثرية العظمى للمتدينين بالدين السماوي والشريعة الإلهية، وذلك بشهادة العلماء والثقاة من الباحثين الغربيين، الذين قارنوا بين صمود الإسلام وحيويته وصحوته وإحيائه في العالم الإسلامي وامتداداته خارج عالم الإسلام، وبين تراجع النصرانية وانحصار التدين بها، في إطار الحضارة المسيحية الغربية، التي هزمت علمانيتها مسيحيتها وهمشتها وأصابتها بالإعياء والذبول. حتى لقد غدت المسيحية بالمعنى الديني الحق، أقلية في الغرب المسيحي. وغدا الغرب الذي ظل قروناً قلب العالم المسيحي فراغاً من المسيحية بالمعنى الديني الصحيح والصريح!..

فراغ الغرب من المسيحية:

يشهد على ذلك الفراغ، القس الألماني وعالم الاجتماع - جوتفرايد كونزلن - فيقول: لقد مثّلت العلمانية: تراجع السلطة المسيحية. وضياع أهميتها الدينية وتحول معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية. والفصل النهائي بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة، وسياسة بلا دين لقد نبعت العلمانية من التنوير الغربي وجاءت ثمرة لصراع العقل مع الدين، وانتصاره عليه، باعتباره مجرد أثر لحقبة من حقب التاريخ البشري، يتلاش باطراد في مسار التطور الإنساني. ومن نتائج العلمانية: فقدان المسيحية لأهميتها فقداناً كاملاً. وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون، والنظام، والسياسة والتربية والتعليم بل وزوال أهميته أيضاً كقوة موجهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس، وللحياة بشكل عام. فسلطة الدولة، وليست الحقيقة، هي التي تضع القانون. وهي التي تمنح الحرية الدينية.

ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها ديناً حل محل الدين المسيحي يفهم الوجود بقوي دنيوية هي العقل والعلم، لكن وبعد تلاشي المسيحية. سرعان ما عجزت العلمانية عن الإجابة عن أسئلة الإنسان، التي كان الدين يقدم لها الإجابات. فالقناعات العقلية أصبحت مفتقرة إلى اليقين. وغدت الحداثة العلمانية غير واثقة بنفسها بل وتُفكك أنساقها - العقلية والعلمية - عدمية ما بعد الحداثة. فدخلت الثقافة العلمانية

في أزمة، بعد أن أدخلت الدين المسيحي في أزمة. فالإنهاك الذي أصاب المسيحية أعقبه إعياء أصاب كل العصر العلماني الحديث. وتحققت نبوءة (نيتشه) (١٨٤٤ - ١٩٠٠م) عن إفراز التطور الثقافي الغربي لأناس يفقدون نجمهم الذي فوقهم، ويحيون حياة تافهة، ذات بُعد واحد، لا يعرف الواحد منهم شيئاً خارج نطاقه.

وبعبارة (ماكس فيبر) (١٨٦٤/ ١٩٢٠م): «لقد أصبح هناك أخصائيون لا روح لهم، وعلماء لا قلوب لهم! ولأن الاهتمام الإنساني بالدين لم يتلاش، بل تزايد. وفي ظل انحسار المسيحية، انفتح باب أوروبا لضروب من الروحانيات وخليط من العقائد الدينية لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالكنيسة، من التنجيم إلى عبادة القوى الخفية. والخارقة والاعتقاد بالأشباح وطقوس الهنود الحمر. وروحانيات الديانات الآسيوية. والإسلام الذي أخذ يحقق نجاحاً متزايداً في المجتمعات الغربية».

«لقد أزالت العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوروبا. ثم عجزت عن تحقيق سيادة دينها العلماني على الإنسان الأوروبي، عندما أصبح معبدها العلمي عتيقاً! فقد الناس النجم الذي كانوا به يهتدون وعد الخلاص المسيحي: ثم وعد الخلاص العلماني». [١].

وهذه شهادة الخبير الألماني في الاجتماع وفي اللاهوت القس (جوتفرايد كونزلن) على المأزق الذي تعيشه المسيحية في الغرب. لقد همّشتها العلمانية. ثم دخلت العلمانية مرحلة العجز والإفلاس، فغدت المجتمعات الغربية فضاء مفتوحاً للعقائد الأخرى، الأمر الذي يهدد الغرب بالتحول عن كونه قلب العالم المسيحي. كما حدث من قبل للمسيحية الشرقية، بعد ظهور الإسلام، عندما أصبح الشرق قلباً للعالم الإسلامي، بعد أن كان قلب العالم المسيحي القديم!.

- إن الإيمان - في أوروبا المسيحية - بوجود إله خالق لهذا الكون، لا يتعدى ١٤٪ والذين يذهبون إلى الكنيسة لا يتجاوزون ١٠٪ وهم يذهبون إلى كنائس قد خانت

(١) جوتفرايد كوترلن - مآزق المسيحية والعلمانية في أوروبا - صـــ٢٢/ ٣٦.- طبعة القاهرة ١٩٩٩م.

مسيحيتها، فغدت (أندية) تجتذب روادها بحيل لا علاقة لها بأي دين من الأديان - بالحفلات الراقصة - والموسيقى الصاخبة. بل وتفتح الأبواب لزواج الشواذ!

حتى لقد تنبأ البعض بزيادة عدد المسلمين في إنجلترا بعد سنوات على عدد الإنجليكانيين الملتزمين دينياً!!.

وهذه النصرانية الغربية تتوزعها ثلاث كنائس، لكل منها - قانون إيمان - خاص، يحتكر - الخلاص - لها وحدها! فالنصرانية في الحقيقة أصبحت ثلاثة أديان، بينما الإسلام دين واحد. وحتى في المذاهب داخل الإسلام الواحد - فإن أهل السنة يبلغ تعدادهم أكثر من ٩٠٪ من أمة الإسلام.

من حق المسلمين أن يشعروا بالعزة:

وأمام هذا الذي أصاب ويصيب النصرانية بسبب العلمانية والعلمنة من حق المسلمين أن يشعروا بالعزة، لأن العلمانية التي حملها الاستعمار الغربي في ركابه إلى الشرق الإسلامي. لم تحرز تقدماً يذكر، رغم دعم الاستعمار لها في الأوساط الإسلامية، على امتداد أكثر من قرنين من الزمان! بل قد زادت تحدياتُها الإسلام قوة وحيويّة وإحياءً، فأخذت الصحوة الإسلامية الحديثة والمعاصرة تؤكد على شمولية الإسلام للدين والدولة والدنيا والآخرة. وعلى ضرورة إسلامية النهضة الحضارية. وأسلمة العلوم الاجتماعية والإنسانية والفنون والآداب. والاحتكام في القانون إلى الشريعة الإسلامية، والقانون - الفقه الإسلامي. وذلك فضلا عن منظومة القيم والأخلاق. كما اندفعت جماهير المسلمين نحو الالتزام الديني، وتحكيم معايير الحلال والحرام في أنماط العيش والكسب والإنفاق، وأساليب الحياة، وغدت رايات الإسلام هي التي تظلل حركات التحرر الوطني ومقاومة الاستعمار على امتداد عالم الإسلام.

فبينما يكتب كثيرون من علماء الغرب ومفكريه عن (موت الغرب) بعد أن أعلنت الحداثة الغربية (موت الإله).

تمتلئ المكتبات بالكتابات التي تتحدث عن (يقظة الإسلام) وعن (الصحوة الإسلامية) و(المد الإسلامي).

شهادة غربية على علو نجم الإسلام في سماء التدين بديانات السماء:

في مجلة (شؤون دولية International Affairs) الصادرة في كامبردج يناير ١٩٩١ م ملف عن الإسلام فيه دراستان عن:

- الإسلام والمسيحية.
- والإسلام والماركسية .

كتبها اثنان من علماء الاجتماع:

- د. إدوارد مورتيمر.
- ود. إرنست جيلنر .

وفي هاتين الدراستين تعليل للحملة الغربية على الإسلام، يُرجع سبب هذه الحملة التي تصاعدت عقب سقوط الشيوعية إلى استعصاء الإسلام على العلمانية، الأمر الذي جعل ثقافته صامدة أمام الثقافة الغربية التي تعيش مأزق المسيحية والعلمانية، وتفكيكية وفوضوية وعدمية ما بعد الحداثة. وبعد أن قال الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون كلمته في نفس المجلة عام ١٩٨٥م:

Russia and America should join hands to fight the rising tide of Islamic fundamentalism.

وترجمة هذه العبارة: (يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الصحوة الإسلامية)[١].

ويقول هذان العالمان:

- لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتي وبالنسبة لهذا الغرض كان الإسلام جاهزاً في المتناول. فالإسلام رافض لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر. وهو لا يسمح لمعتنقيه بأن يصبحوا مواطنين في دولة علمانية. إنه استثناء مدهش وتام جدا من النظرية التي يعتنقها علماء الاجتماع والتي تقول: « إن المجتمع

(١) مجلة الشئون الخارجية عام ١٩٨٥م.

الصناعي والعلمي الحديث يُحل العلمنة محل الإيمان الديني. فلم تتم أية علمنة في عالم الإسلام، وسيطرة هذا الدين على المؤمنين به هو سيطرة قوية، بل هي أقوى الآن مما كانت عليه من مائة سنة مضت. إنه مقوم للعلمنة في ظل مختلف النظم السياسية. راديكالية. وتقليدية. وبين عمليات الإصلاح الذاتي تتم في العالم الإسلامي باسم الإيمان الديني، وليس على أنقاض هذا الإيمان. الأمر الذي مكن العالم الإسلامي من الإفلات من المعضلة التي جعلت مجتمعات أخرى ضحية للاضطراب والإذلال بسبب إضفاء الغرب الطابع المثالي على نموذجه في التحديث، الأمر الذي جعلها تقف منه موقف المحاكاة والتقليد. ذلك هو التفسير الأساسي لمقاومة الإسلام المرموقة للعلمنة. ولأن الإسلام هو الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحّد فعلي وحقيقي للثقافة العلمانية الغربية (ثقافة الشك واللاأدرية) ثقافة الإحصائيين الذين لا روح لهم والعلماء الذين لا قلوب لهم، كان الإسلام من بين ثقافات الجنوب، الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة على الإسلام.!!.

لماذا الحملة الغربية على الإسلام؟

نقول: إذن فهذه الحملة الغربية الشرسة على الإسلام - بشهادة هذه الدراسات العلمية الغربية - ليست نابعة من عيوب جوهرية وحقيقية في الإسلام - كما يزعم البعض - ولا هي نابعة من الجهل بحقيقة الإسلام - كما يحسب كثير من المسلمين وإنما هي نابعة - بشهادة هؤلاء العلماء الغربيين - من إفلاس المسيحية الغربية، وإفلاس العلمانية الغربية، أي إفلاس **(الدين الكنسي)** و **(الدين الحداثي)** في الغرب الحديث والمعاصر. ومن فشل الغرب الاستعماري في إدخال الإسلام وأمته وعالمه إلى النفق العلماني المظلم الذي دخل فيه الغرب، الأمر الذي جعل الكثيرين يتحدثون - ثقافياً ودينياً - وديموجرافياً عن موت الغرب وصحوة الإسلام!!.

تلك هي حقيقة الأسباب الموضوعية والجوهرية الكامنة وراء الهجمة الغربية على الإسلام، وهذا هو السبب في شدة الضربات التي يحاول بها الغرب معالجة صحوة الإسلام. وإلا فلو كان الإسلام هزيلا لما استأهل هذا الضرب الشديد! وهذه الحقيقة

التي شهد بها العلماء الغربيون تدعوا المسلمين إلى الاعتزاز بإسلامهم، ولكن دون غرور. وتدعوهم إلى مواجهة هذه الهجمة على دينهم، ليس بهذه المحاولات البلهاء التي يريد أصحابها تزيين الإسلام بالمساحيق الغربية، كي يرضى عنه الغربيون، وإنما إلى مواجهة هذه الهجمة بالكشف عن حقائق الإسلام ليعلمها الذين لا يعلمون في الغرب وغير الغرب - ويكشف الدعاوى الكاذبة، التي تستر وتزيف الأسباب الحقيقية لهذه الهجمة الغربية على الإسلام. كذلك يجب أن نكشف الزيف الذي تمارسه هذه الحملة على الإسلام، عندما يزعم أقطابها، أنهم إنما يهاجمون «الأصولية الإسلامية» ولا يهاجمون (الإسلام) فسبر غور كتابات هؤلاء الكُتاب الغربيين، إنما يكشف عن أن حديثهم، بل وتعريفهم (للأصولية الإسلامية) إنما هو التعريف (لحقيقة الإسلام)..!.

الأصولية الإسلامية والأصولية المسيحية واليهودية:

فالأصولية في المصطلح الإسلامي، والفكر الإسلامي، والتراث الإسلامي هي الانطلاق من الأصول «أصول الدين، وأصول الفقه، وهما علمان من أبرز علوم العقلانية الإسلامية التي يحاربها ويستخف بها البابا بنديكتوس السادس عشر» العقلانية التي تفقه الأحكام، وتفقه الواقع المعيشي، ثم تعقد القران بين الفقهين والقراءتين. ومن ثم فالأصولية الإسلامية هي على النقيض من الأصولية المسيحية والأصولية اليهودية - اللتين مثلتا وتمثلان الجمود والحرفية والتقليد ومعاداة العلم والعقل والتجديد. والوقوف - ببلادة - عند ظواهر النصوص. والكُتاب الغربيون الذين يهاجمون الإسلام تحت غطاء مصطلح «الأصولية الإسلامية» يكشفون هم أنفسهم عن هذه الحقيقة - حقيقة أن مقصدهم في الهجوم هو الإسلام - ويشهد بذلك الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون وهو مفكر استراتيجي - عندما يتحدث عن الأصوليين الإسلاميين، الذين يدعو نيكسون الغرب لمواجهتهم - مخاطباً أمريكا وأوروبا الغربية والشرقية بقوله: «يجب الاتحاد لمواجهة خطرهم الداهم بسياسة واحدة». وهؤلاء «الأصوليون الإسلاميون» في تعريف نيكسون. وباعترافه: هم المصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة، عن طريق بعث الماضي.

* ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.

* وينادون بأن الإسلام دين ودولة.

* وعلى الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي، فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار [١].

وعلى هذا الدرب - في تعريف - الأصولية الإسلامية - يسير المفكر الاستراتيجي الأمريكي (فرانسيس فوكوياما) والمفكر الاستراتيجي الأمريكي صموئيل هنتنجتون - اللذان يصفان الأصولية الإسلامية - بالفاشية - وهو اللفظ الذي استخدمه جورج بوش الصغير أيضاً. وأن هذه الفاشية الأصولية الإسلامية - تشكل تحدياً أيدلوجّياً هو في بعض جوانبه أكثر أساسيه من الخطر الذي شكلته الشيوعية!!.

ثم ... إذا فهذه الأصولية الإسلامية عندهما ليست كذلك إلا لأنها (الإسلام) الذي هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم التي يمكن الجدال بأن لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة الأمريكية المسيطرة في السياسة الدولية.. فالعالم الإسلامي يختلف عن غيره من الحضارات في وجه واحد مهم. فهو وحدة قد ولّد تكراراً خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة، لا ترفض السياسات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة: الدولة العلمانية نفسها..

ومن ثم فإن الصراع الحالى ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب. لكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية التي أطلقوا عليها «الأصولية الإسلامية، والفاشية الإسلامية» والتي ترفض الاستهلاكية الغربية، والحداثة الغربية والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر وما لله والذي يمثل مبدأ فصل الدين عن الدولة[٢].

إذن فالحرب الغربية المعلنة على ما يسمونه بـ «الأصولية الإسلامية» هي في

---

(١) ريتشارد نيكسون (الفرصة السانحة Seize the moment) صـ١٤٠. - ترجمة: أحمد صدقي مراد - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

(٢) فوكوياما - وهنتنجتون - نيوزويك الأمريكية - العدد السنوي - ديسمبر ٢٠٠١م فبراير ٢٠٠٢م.

الجوهر والحقيقة معلنة على حقيقة الإسلام، لا لشيء إلا لأنه المستعصي الأول بل والوحيد على العلمنة، أي الذوبان في النموذج الحداثى الغربي، والرافض للوقوف ذليلاً أمام هذا النموذج الغربي موقف التقليد والمحاكاة!..

وهو موقف إسلامي يجعل من التدين بالأصول الإسلامية طاقة إيمانية تفجّر في المسلم طاقات العزة والسيادة والغلَب، فلا يرضي بالتبعية - السياسية والفكرية والاقتصادية والأمنية للمركزية الغربية، وللهيمنة الغربية - وهذا جوهر ما يخشاه الغرب ويحاربه الغرب في الإسلام!..

تلك هي الأسباب الحقيقية التي تشهد بها وتعلنها الشهادات الغربية. للهجمة على الإسلام. وهي أسباب تدعو المسلمين - وهم يخاطبون الغرب، ويقدمون إليه حقائق الإسلام - أن يتحدثوا من موقع العزة والاعتزاز بالإسلام - دونما تكبّر أو غرور - وألا يقعوا في خطأ - بل خطيئة - تقديم التنازلات التي تزيّف الإسلام، على أمل أن يرضى عنه هؤلاء الذين يعادونه، لأنهم يعرفونه، ويعرفون حقيقته، وليس بسبب جهلهم له، كما يحسب بعض السطحيين والجهلاء!. وصدق الله العظيم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (البقرة:١٤٦).

الإسلام دعوة للتوحيد ولتحرير ثروات العالم الإسلامى من استغلال الرأسمالية الغربية:

- وحقيقة أخرى من حقائق هذه الهجمة الغربية على الإسلام، هي أن أعداء هؤلاء الذين يناصبون الإسلام العداء، ليس لأن المسلمين يغايرونهم في الدين، ولا لأنهم يمارسون من الشعائر الدينية الإسلامية ما يخالف شعائر النصرانية الغربية. فالديانات الوضعية، هي الأخرى، تغاير النصرانية الغربية في الشعائر والاعتقادات ومع ذلك فإنها لا تحظى بعشر معشار ما يحظى به الإسلام من العداء..

لماذا؟

ذلك لأن الذي يناصب الإسلام العداء من الغربيين هم أولئك الذين يعرفون أنه ليس مجرد شعائر ومناسك وعبادات: ولا مجرد مالك لأقدم وأعرق المواريث الحضارية العالمية وإنما هو، مع كل هذا وفوقه.

- **الإسلام توحيد:**

هذا التوحيد يجعل المؤمنين به يرفضون الخضوع لكل الطواغيت، وفي مقدمتها طاغوت الهيمنة الغربية وإمبرياليتها.

- **الإسلام مشروع نهضوى:**

يعنى - عندما يوضع في التطبيق - ليس فقط تحرير ضمائر المسلمين وعقولهم من الهيمنة الثقافية الغربية. وتحرير محيطات العالم الإسلامي وبحاره من الأساطيل العسكرية الغربية. وتحرير سياسات حكومات العالم الإسلامي من التبعية للمركزية الغربية. ومن ثم إعادة الأمة الإسلامية إلى مكانتها الطبيعية في مقدمة الأمم والحضارات..

والإسلام دعوة لتحرير ثروات العالم الإسلامي من استغلال غول الرأسمالية الغربية:

إن العالم الإسلامي يمثل في الثروات:

- العالم الإسلامي الأول في البترول. والغاز الطبيعي. والمنجنيز. والكروم. والقصدير. والبوكيست.

وشركات النفط الأمريكية متلهفة لاجتياح خزان النفط العراقي ولو على جماجم أبناء العراق وبعض أبناء الولايات المتحدة نفسها.[١].

وإذا كان مخزون البترول في الولايات المتحدة الأمريكية وفي النرويج - بحر الشمال - لن يزيد عمره - مقارناً بالإنتاج الحالى - على عشر سنوات. وعمره في كندا

(١) أحمد السيد النجار - صحيفة الأهرام - ١٨/ ١١/ ٢٠٠٦ - صـ ١٠.

ثماني سنوات. فإن عمر هذا المخزون في العالم الإسلامي سيجعل هذا العالم هو المصدر الوحيد للطاقة على النطاق العالمي، في المستقبل من الزمان. فعمر المخزون في الإمارات العربية المتحدة ٧٥عاماً. وعمر المخزون في الكويت ١١٦عاماً. أما في العراق فعمر المخزون النفطي ٥٢٦عاماً!! [١] هل أدركت لماذا العراق؟!!.

هذا غير بترول عالم الإسلام في بحر قزوين. ولهذا كانت أفغانستان واحتلال أفغانستان!! وفي السودان ووسط أفريقيا. ولهذا. يريدون دارفور!! تلك هي - كعكة الطاقة - التي تعض عليها الإمبريالية الأمريكية لتتحكم في عالم القرن الواحد والعشرين!!.

- كما يمثل العالم الإسلامي «في الثروات الخاضعة لاستغلال الشركات الغربية متعددة الجنسيات» فالعالم الإسلامي يمثل العالم الثاني في النحاس والفوسفات ويمثل العالم الثالث في الحديد. ويمثل العالم الخامس في الرصاص. والعالم السابع في الفحم.

- وفي العالم الإسلامي أطول أنهار الدنيا. وأقدم فلاح علم البشرية فن الزراعة.والأرض الزراعية الصالحة لتكون سلة غذاء تحرير المليار ونصف المليار مستهلك من التبعية الذليلة للاستيراد والاستهلاك من الغرب..

- كما أن فيه من الشواطئ المترامية للبحار، والأنهار والمحيطات ما يجعله مصدراً عظيماً للثروة السمكية..

- وفي العالم الإسلامي من الفوائض النقدية. ومن مصادر التمويل للتنمية الاقتصادية ما يحقق الانعتاق من عبودية الديون الغربية، التي رهنت وترهن اقتصاديات وثروات المسلمين وإرادتهم وحريتهم وكرامتهم لدى مراكز الهيمنة الاقتصادية الغربية. ويكفي أن الزكاة وحدها، وخاصة - زكاة الركاز - التي تمثل ٢٠٪ من الثروات المركوزة في الأرض - وأغلب ثروات العالم الإسلامي مركوزة في الأرض - يمكن أن تتحول إلى صندوق تنموي يجعل تنميتنا بالحلال - كما يجعلها مصدراً لتحررنا!.

- كذلك يصدّر العالم الإسلامي إلى الشمال - الأوروبي والأمريكي - بأرخص

(١) ملحق (الوسط) صحيفة الحياة - لندن - ١٧/ ١/ ٢٠٠٣م.

الأسعار ٤٠٪ من المعادن. و٣٥٪ من النفط. و٩٣٪من القصدير.و٦٥٪من الخشب. و٤٠٪من القطن. بينما يحرمه الغرب من التقنيات التي تحقق استقلاله الاقتصادي وتنميته المستقلة. بل ويحرمه الآن بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م في أمريكا - من تعلم العلوم الدقيقة وتقنياتها. بل وحتى من الدوريات العلمية، كما صنع من العراق طوال سنوات الحصار! وذلك باغتيال العقل العلمي في بلاد الإسلام! أليس هذا ما يحدث الآن في بلاد الرافدين؟!!.

والحيلولة دون امتلاك المسلمين استقلالهم الاقتصادي - وامتلاكهم لأسلحة الردع التي تحمي هذا الاستقلال! وفي هذه الميادين - ميادين التحرير لثروات العالم الإسلامي - تكمن المقاصد العظمى للتحرير التي تبتغيها الصحوة الإسلامية والتي يسمونها: - الأصولية التي تريد استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة، عن طريق بعث الماضي وتطبيق الشريعة الإسلامية، والمناداة بأن الإسلام دين ودولة، واتخاذ الماضي الإسلامي هداية للمستقبل الإسلامي.

لهذه الأسباب - الفكرية، والثقافية والاقتصادية يتعرض الإسلام لهذه الهجمة الغربية الشرسة والظالمة - وليس بسبب الجهل به، أو لعيوب كامنة فيه [1].

ومن أجل هذه الامتيازات الغربية يحارب الإسلام:

والمتأمل والدارس للمشهد الاقتصادي العالمي، الذي تريد الرأسمالية الغربية المتوحشة الحفاظ عليه، وتكريسه معتبرة إياه «نهاية التاريخ» !.. يقول:

- أن ٢٠٪ من سكان العالم، هم أبناء الشمال، يستأثرون بـــ ٨٦٪ من خيرات العالم، بينما يعيش ٨٠٪ من البشرية، وهم سكان الجنوب على فتات ١٤٪ من ثروة العالم!..
- وأن ٢٢٥ فرداً من أبناء الشمال يملكون ما يوازي ملكية مليارين ونصف المليار من أبناء الجنوب، أي نحو نصف البشرية!..

---

(١) د/ محمد عمارة - الغرب والإسلام - أين الخطأ وأين الصواب؟! - مكتبة الشروق الدولية صـ٧/ ٢٠- وهل الإسلام هو الحل؟لماذا وكيف؟- دار الشروق - صـ٨/ ٩.

- وأن ثلاثة أفراد في أمريكا يملكون ما يساوي ملكية ٤٨ دولة عضواً في الأمم المتحدة. أي قرابة ثلث أعضاء الأمم المتحدة!.
- وأن أكبر التجارات في هذا المشهد الاقتصادي الغربي الذي يعولمونه، هي تجارة السلاح والدمار، تليها تجارة المخدرات. تليها تجارة الدعارة!.
- وأن الشركات الرأسمالية الغربية، متعددة الجنسيات، ومتعدية القارات التي تستنزف ثروات الجنوب، وفي القلب منه عالم الإسلام، هذه الشركات تقترض الدولارات من بنوك - وول ستريت - بنيويورك بفائدة قدرها ٦٪ لتعيد إقراضها لدول الجنوب بفائدة تتراوح بين ٢٠٪ و٥٠٪ فتمتص دماء الشعوب التي غدت صادراتها عاجزة عن سداد هذه الديون، ناهيكم عن أصول الديون!.
- وأن تدني القدرة الشرائية لـــــ ٨٠٪ من البشرية سكان الجنوب قد جعل رؤوس الأموال الغربية الباحثة عن الأرباح السريعة، والفاحشة، تتصرف بعيداً عن ميادين الإنتاج والخدمات، فتوظف ٩٧٪ من حجمها في السمسرة والمضاربات والمقامرات والمغامرات في البورصات! الأمر الذي يحرم الإنتاج والخدمات من ثمرات رؤوس الأموال هذه. ويزيد من حدة البطالة والفقر في عالم الجنوب، بل والشمال أيضاً، ويصيب كثيراً من الدول بالهزات والكوارث والأزمات.
- وأن هذه الرأسمالية الغربية المهيمنة توظف ٩٠٪ من العقول العلمية بشكل مباشر أو غير مباشر في صناعة السلاح والدمار ومتعلقاتها!. [١].

ذلك هو المشهد الاقتصادي العالمي البائس، الذي يريدون بمحاربة الإسلام الحفاظ عليه، وتكريسه، وجعله «نهاية التاريخ» . لأنهم يعلمون أن اليقظة الإسلامية. التي يسمونها «الأصولية الإسلامية» تسعى منذ نشأتها في القرن التاسع عشر، على يد

---

(١) البرنامج الأنمائي للأمم المتحدة (تقرير التنمية البشرية) لسنة ١٩٩٨م - انظر مقالات صلاح الدين حافظ، ود/ محمود عبد الفضيل، ومحمد سيد أحمد، والسيد ياسين - الأهرام القاهرة في ١٥/٩، ١٦/٩/ ١٩٩٨م، ١١/ ٣/ ١٩٩٩م.

جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ) (١٨٣٨ - ١٨٩٧م) إلى تحرير اقتصاديات العالم الإسلامي من هذا الاستغلال الغربي. وقد أعلنت اليقظة الإسلامية على لسان الأفغاني قبل مائة وخمسين عاماً: - أن غاية الجامعة الإسلامية الاقتصادية - هي:

(أ) ثروة المسلمين للمسلمين.

(ب) وثمرات التجارة والصناعة في جميع المعمورة الإسلامية هي لهم يتنعمون بها، وليست لنصارى الغرب يستنزفونها.

(ج) وفض اليد من رؤوس الأموال الغربية والاستعانة عنها برؤوس مال إسلامية.

(د) وتحطيم نواجذ أوروبا، النواجذ العاضة على موارد الثروة الطبيعية في بلاد المسلمين، وذلك بعدم تجديد الامتيازات في الأرضين، والمعادن، والغابات، وقُطُر الحديد، والجمارك. والعقود التي مادامت خارجة من أيدي العالم الإسلامي فسيظل عالة على الغرب [1].

هذا ما يتمناه الغرب ويسعده من المسلمين:

فمنذ فجر الصحوة الإسلامية الحديثة التي يسمونها «الأصولية الإسلامية» كان هدفا من أهدافها الرئيسية تحرير ثروات العالم الإسلامي من الاستغلال الغربي وهذا ما يزعج ويؤلم الغرب.

أما «الدروشة» والوقوف عند التدين الشكلي، بإطالة اللحى، وتقصير الثياب، واستفراغ الطاقات والأوقات في الجزئيات والثانويات. فهو ما يسعد به ويتعايش معه هؤلاء الذين يشنون الحرب الصليبية على الإسلام، لأنهم يدركون المقاصد الحقيقية لصحوة الإسلام. فهل نستيقظ؟!! [2].

(١) لوثروب استودارد - حاضر العالم الإسلامي - تعليقات شكيب أرسلان. ترجمة عجاج نويهض - المجلد الأول حـ١ صـ٣٢٨- طبعة بيروت ١٩٧١م.

(٢) د/ محمد عمارة - المرجع السابق صـ٢١/ ٢٢.

هل أضر بالمسلمين سماحتهم؟!

السماحة في المصطلح العربي الإسلامي: هي الجود. أي العطاء بلا حدود. وهي المساهلة واللين، في الأشياء والمعاملات، دونما انتظار مقابل أو ثمن، أو حاجة إلى جزاء.

فالله (ﷻ) قد شرع الإسلام لهداية العالمين، ولتحقيق مصالحهم الشرعية المعتبرة، ومقاصد شريعة الإسلام هي تحقيق الضرورات، والحاجيات، والتحسينات للاجتماع الإنساني، ومطلق الإنسانية، في المعاش والمعاد. والله سبحانه وتعالى غني عنْ الخلق، الذين شرع لهم هذا الهدي الدائم، وأفاض عليهم هذه السماحة والجود بلا مقابل وبلا حدود..

ولهذه الحقيقة، خلا الإسلام من كهانة الأحبار والرهبان، الذين استغلوا أهل دياناتهم مقابل إرشادهم إلى التدين بتلك الديانات. فالمسلم يأخذ دينه من الشرع مباشرة، ودون مقابل، وهو يؤوب ويتوب إلى خالقة مباشرة ودون واسطة أو إتاوة.

ولذلك كانت السماحة صفة لصيقة بالإسلام، ومميزة له كما كانت السماحة صفة واقعية، تجسدت في الأمة الإسلامية وحضارتها وتاريخها، ولم تكن مجرد مثاليات استعصت على التطبيق. وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول: «إني أرسلت بحنيفية سمحة» [١] وقال رسول الله (ﷺ): «وأحبّ الدين إلى الله الحنيفية السمحة» [٢].

ولم تعرف البشرية في تاريخها الطويل السماحة كما عرفتها في التاريخ الإسلامي: فالسماحة قد بدأت في التاريخ الإنساني، بظهور الإسلام، وإنها قد بلغت فيه مستوى متميزاً، لا نظير له خارج الإسلام..

لقد ظهر الإسلام، على يد نبيه محمد (ﷺ) وليس في العالم دين ولا حضارة تعترف بالآخر، ولا تسالم الآخرين.

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه البخاري والإمام أحمد.

اليهود والآخر

فاليهودية التلمودية، قد تحولت إلى (ديانة عنصرية) تقول لهم أسفار عهدها القديم أن اليهود هم شعب الله المختار وذلك بحكم الولادة والعرق والدم والجنس. وليس بحكم التدين والصلاح والتقوى. وتؤكد أسفارهم على أنهم وأبناؤهم أحباء الله. كما تقول لهم أسفارهم القديمة: – إن علاقتهم بالآخرين. كل الآخرين ليست فقط الكراهية، واللعن والإنكار، بل المطلوب منهم أن (يأكلوا) الشعوب الأخرى أكلاً! فإبادة الآخرين عندهم تكليف إلهي: «والآن اقتل كل ذكر بين الصغار، وكل امرأة عرفت رجلاً ضاجعها» (سفر العدد: ١٧/ ٣١). وذلك: «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. مباركاً تكون فوق جميع الشعوب. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك لا تشفق عيناك عليهم» (سفر التثنية: إصحاح: ٧: ٦ - ٧، و١٤/ ١٦).

والناظر إلى التلمود وهو كتاب تعاليم ديانة وآداب اليهود وما فيها من عنصرية وما فيها من كراهية لشعوب الأرض جميعاً والذين يطلق عليهم اليهود (الجويم أو الأميين) يري كيف ينظر اليهود إلى الآخر ويجب أن ندرك جيدا أن تعاليم التلمود عند اليهود أهم من تعاليم التوراة (المحرفة) نفسها لذلك يقول في كتاب (حاجيجا): «من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى. وقد جاء في التلمود: أن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي (غير يهودي) إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية. وإنه من الأمور المستغربة أن يباح لليهود في البلاد المسيحية وصفهم للمسيح علنا بأنه صنم ولد من الزنا» ويعتبر اليهود الأجانب كلاباً لأنه مذكور في سفر الخروج (١٢/ ١٦) «أن الأعياد المقدسة لم تُجعل للأجانب ولا الكلاب» ويعتبر اليهود أن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه

مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب وغير مصرح له أيضاً أن يعطيهم لحماً، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم.

والأمم الخارجة عن دين اليهود ليست فقط كلاباً بل حميراً أيضاً، وقال الحاخام (أباربانيل) الشعب المختار (اليهود) فقط يستحق الحياة الأبدية وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير.

ويقول التلمود: «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه يكون حفظ حياة أحد الوثنيين».

ويقول التلمود أيضاً: «إذا وقع أحد من الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر» ويقول: «من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر، لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً لله» .

ويقول التلمود أيضاً: «أن أموال المسيحيين مباحة عند اليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر، فأول من يضع يده عليها يمتلكها» (الكنز المرصود ٧/ ٨).

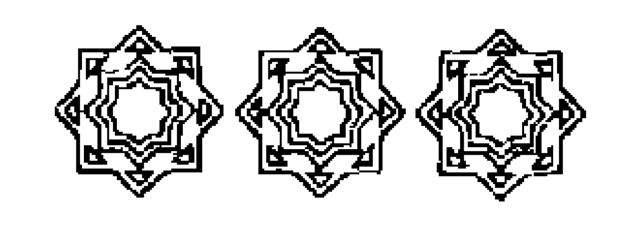
ولقد وصف القرآن الكريم هذه العنصرية اليهودية، المنكرة للآخر، بحكم كونه آخر، وحقّه في الكرامة، بل وفي الوجود. وصفها القرآن الكريم فقال:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران: من الآية٧٥).

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ (المائدة: من الآية١٨).

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (البقرة: من الآية١١٣).

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ (البقرة: من الآية١١١).



النصرانية والآخر

ولقد بادلت النصرانية اليهودية إنكاراً بإنكار. فطبقت على اليهود ذلك المبدأ الظالم الذي ابتدعوه ونسبوه زوراً وبهتاناً إلى الذات الإلهية، عندما زعموا أن الله يعاقب الخلف بذنوب السلف حتى أربعة أجيال! — فالرب (عند اليهود) لا يبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع، بل حرم على العموني والمؤابي الدخول في جماعة الرب: «لا يدخل عموني ولا مؤابي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، ولا يدخل منهم أحد في جماعة الرب»[1].

وقوله: الرب طويل كثير الإحسان، فيغفر الذنب والسيئة، لكنه لا يبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع. (سفر العدد ١٤/ ١٨).

طبقت النصرانية على اليهود هذا المبدأ الظالم، وامتدت به إلى الأبد، فوضعت في صلواتها لعن كل أجيال اليهود بذنب موقف أجدادهم الأولين من المسيح (عليه السلام)! ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الإنكار النصراني للآخر عندما أشار إلى دعواهم احتكار النجاة والجنة والخلاص.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ (البقرة: من الآية١١١).

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ (البقرة: من الآية١١٣).

ولقد تجسد هذا الإنكار المتبادل للآخر، في الواقع والممارسة والتطبيق في شكل ثورات واضطهادات طفحت بها كتب التاريخ، حيثما وجد اليهود والنصارى في أي مجتمع من مجتمعات التاريخ.

***

(١) سفر التثنية (٢٣ / ٣).

الحضارة الغربية والآخر

ولقد صنعت الحضارة الغربية نفس الإنكار للآخر، واحتقاره واضطهاده، وتجريده من الإنسانية وحقوقها، في بداياتها الإغريقية، وفي طورها الروماني..

- ففي (أثينا) التي ينسبون إليها ابتداء الديمقراطية. كانت هذه الديمقراطية. احتكار القلة من الفرسان الأشراف الملاك الذين يجتمعون في ميدان أثينا، يمارسون الديمقراطية، ويتمتعون بجميع حقوقهم. أما غيرهم من البشر، فإنهم كانوا برأيهم - برابرة وهمجاً - لا حظ لهم في الديمقراطية ولا نصيب لهم من أية حقوق للإنسان!.

وكذلك كان حال هذه الحضارة في طورها الروماني.فعلى الرغم من إبداعها القانوني، الذي تبلور في (مدونة) الإمبراطور (جستنيان) (٥٢٧م - ٥٦٦م) إلا أن هذا القانون إنما كان حقاً من حقوق السادة الفرسان، والأشراف الرومان. أما الشعوب الأخرى، فلقد كانوا. برأيهم (برابرة) لا حق لهم في أن يطبق عليهم قانون السادة الرومان!.

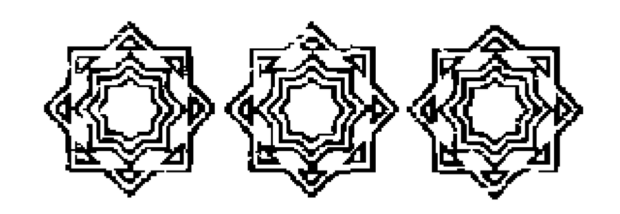
وعندما نشير إلى دراسة حالة تطبيقية لهذا الذي ساد العالم من إنكار للآخر، واضطهاد كل طرف لكل آخر. قبل ظهور الإسلام وإبان ظهوره. فيكفي أن نشير إلى (حالة مصر). فلقد شاع فيها اضطهاد أتباع (إخناتون) (١٣٨٠.ق.م - ١٣٦٢ق.م) لأتباع المعبود(آمون) فلما انتصر أتباع (آمون). بادلوا أتباع (إخناتون) إنكاراً بإنكار واضطهاداً باضطهاد وعندما ظهرت النصرانية. وعرفت طريقها إلى مصر في حوالي منتصف القرن الميلادي الأول. لقيت هذه النصرانية إنكاراً شديداً واضطهاداً اقترب من الإبادة على يد وثنية الرومان المستعمرين والوثنية المصرية. ولقد بلغ هذا الاضطهاد الذروة في عهد الإمبراطور - دقلديانوس - (٢٤٥ - ٣١٣ م) الذي حوّل النصارى إلى طعام للأسود والنيران وأسماك البحار!. حتى لقد أرخ نصارى - ولا يزالون بعهده، وسموه (عصر الشهداء)![1].

---

(١) يوحنا النيكوسي - تاريخ مصر ليوحنا النيكوسي - صـ ٩٠- ٩٥ ترجمة ودراسة وتعليق د / عمر صابر عبد الجليل - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

وعندما اعتنقت الدولة الرومانية النصرانية في عهد الإمبراطور (قسطنطين) (٢٧٤ - ٣٣٧م) مارست النصرانية - الرومانية والمصرية - الاضطهاد ضد الوثنية المصرية، فهدمت معابدها، وسحلت وذبحت فلاسفتها، وأحرقت مكتباتها، وعبثت بالآثار المصرية عندما حولت بعضاً منها إلى كنائس وأديرة. حتى لقد قاد الأسقف (تيوفيلوس) الذي تولى البطريركية المصرية ما بين (سنة ٣٨٥م - وسنة ٤١٢م) حملة اضطهاد عنيفة ضد الوثنيين، واتجه للقضاء على مدرسة الإسكندرية وتدمير مكتبتها وإشعال النار فيها. وطالت هذه الإبادة مكتبات المعابد وتم السحل والحرق لفيلسوفة الأفلاطونية الحديثة. وعالمه الفلك والرياضيات (إنانيه) (٣٧٠ - ٤١٥م). وذلك فضلا عن تحطيم التماثيل[١].

ثم ما لبث الإنكار والاضطهاد أن أعملا قانونهما وسيوفهما. وذلك بعد اختلاف النصرانية حول طبيعة المسيح (عليه السلام) فمارست النصرانية الرومانية. الإنكار والاضطهاد ضد النصرانية المصرية. الملكانية واليعقوبية - فهرب النصارى المصريون إلى الصحارى والمغارات والكهوف وهرب رأس الكنيسة المصرية البطرك بنيامين (١/ ٤١هـ) - ٦٦٢ / ٦٢٣)م) وظل لمدة ثلاثة عشر عاماً هارباً حتى استدعاه وأمّنه وأكرمه، وحرر كنائسه وردها إليه قائد الفتح الإسلامي لمصر عمرو بن العاص (٥٠ ق.هـ - ٤٣هـ) (٥٧٤ - ٦٦٤م) فاتحاً بذلك أولى صفحات كتاب السماحة والتسامح في تاريخ مصر والمصريين!! وهكذا كان حال الدنيا، وواقع العالم، وموقف أصحاب الديانات والحضارات من الآخر عندما ظهر الإسلام وعم نوره الكون. لم تكن هناك سماحة مع الآخر على الإطلاق. بل لم يكن هناك اعتراف بالآخر على الإطلاق. فماذا قدم الإسلام في هذا المجال؟.



---

(١) المرجع السابق صـ ١٢٢ - ١٢٥ - ١٣٠، د/ صبري أبو الخير سليم - تاريخ مصر في العصر البيزنطي صـ ٤٠: ٤٩: ١٢٦: ١٦٨) طبعة القاهرة ٢٠٠٠م.

الإسلام والآخر

بدأ الإسلام بوضع حجر الأساس لبناء عالمية إنسانية جديدة وغير مسبوقة، بدأها بالتأكيد على أن الله (ﷻ) هو رب العالمين، وليس رب شعب دون شعب، ولا أمة دون غيرها من الأمم. بدأها بقوله (ﷻ): ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (الفاتحة:١) .

ثم أكد الإسلام على أن الإنسان الذي كرمه الله (ﷻ) بأن نفخ فيه من روحه، ليكون ربانيا هو آدم أبو البشر أجمعين، يقول الله (ﷻ): ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة الحجر: ٢٨، ٢٩).

ولذلك فإن التكريم الإلهي هو لمطلق الإنسان يقول الله (ﷻ): ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ (الإسراء: من الآية٧٠).

وليس هذا التكريم حكراً لشعب من الشعوب. ولا لأبناء دين من الأديان أو حضارة من الحضارات.

ونفى الله (ﷻ) أن يكون التفاوت في مراتب القرب من الله سبحانه وتعالى، ثمرة العنصرية، وجعل هذا التفاوت والتفاضل ثمرة لمعايير متاحة ومفتوحة أبوابها أمام كل إنسان وهي معايير الصلاح والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي معايير الصلاح في المعاش والمعاد فقال (ﷻ): ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات: من الآية١٣).

وقال (ﷻ): ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ (النساء:١٢٣)

ولم يحتكر الله (ﷻ) في الإسلام النجاة لأبناء شريعة دون الشرائع الأخرى التي جاءت بها الرسالات السماوية في إطار الدين الإلهي الواحد وإنما أكد على أن: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾(سورة الزلزلة: ٧، ٨).

وأشار الإسلام إلى أن الذين آمنوا بوحدانية الذات الإلهية وبالغيب واليوم الآخر، والحساب والجزاء، وعملوا صالحاً في حياتهم الدنيا، وفق أية شريعة من الشرائع الإلهية الحقة، لا يمكن أن يستووا بالذين جحدوا الحق بعد أن عرفوه فكفروا بالألوهية الواحدة ولم يعملوا صالحاً وتنكبوا كل شرائع السماء.

يقول الله (ﷻ): ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (البقرة:٦٢).

ورفض الإسلام كل الفلسفات والأنساق الفكرية التي زعمت واجتمعت على أن العنف والقتال وسفك الدماء هي – غريزة. وجبلّة – مركوزة في طبيعة الإنسان. وكرر الإسلام أن القتال حالة استثناء وليس القاعدة، وأكد أنه شذوذ عن طبيعة الفطرة السوية، وأنه مكروه من الإنسان الذي يرتقي إلى المستوى الإنسان الحقيقي. فقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة غير المسبوقة، عندما قال: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ (البقرة:٢١٦).

وبينت وأكدت السنة النبوية هذه الحقيقة القرآنية عندما قال رسول الله(ﷺ): «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا وأكثروا ذكر الله» (رواه الدارمي).

بل بلغ الإسلام على هذا الدرب غير المسبوق إلى الحد الذي أوجب فيه العدل حتى مع من نكره فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة:٨)

ويقول الله (ﷻ): ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ (المائدة: من الآية٢).

ويأمر الإسلام بالعـدل حتى مع المعتدى الذي نقاتله رداً لعدوانه علينـا فيقول الله

(ﷻ): ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: من الآية١٩٤).

كما سن الإسلام قواعد للفروسية الإسلامية الرحيمة السمحة غير مسبوقة ولا ملحوقة في تاريخ الحروب. فالرسول (ﷺ) قد: «نهى عن قتل النساء والولدان» (رواه مالك في الموطأ).

وكان (ﷺ) إذا بعث سرية قال لهم: (اغزوا باسم الله في سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا - أي لا تخونوا - ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً) (رواه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ).

ولقد سن أبو بكر الصديق (ﷺ) (٥١ق.هـ - ١٣هـ) (٥٧٣ - ٦٣٤م) وهو على رأس دولة الخلافة الراشدة. هذه السنة النبوية وثيقة لشمائل الفروسية الإسلامية. عندما أوصى يزيد بن أبي سفيان وهو يودعه أميراً على الجيش الإسلامي الذاهب إلى الشام، فقال له: «إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبّسوا أنفسهم لله. وإني أوصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقّنه ولا تَغلُلْ ولا تجبن» (رواه مالك في الموطأ).

فشملت أخلاقيات الفروسية الإسلامية آداب التعامل مع الإنسان والحيوان. والنبات والجماد؛ لأن الطبيعة الخلقية كلها حية، تسبح خالقها، وإن لم تفقه لغاتها في التسبيح، فالعلاقة الإسلامية بها علاقة تآخ ورفق واتفاق، وليست علاقة قهر وتدمير واستغلال. يقول الله (ﷻ): ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: من الآية٤٤).

وفوق كل ذلك، فقد حصر الإسلام أسباب ومبررات استخدام هذه الضرورة وهذا الاستثناء. القتال في أمرين اثنين هما:

- رد العدوان على العقيدة، ليتحرر الضمير ويكون الدين كله لله.

- ورد العدوان عن الوطن. الذي هو وعاء إقامة الدين.

وذلك بردع الذين يخرجوننا من ديارنا أو يظاهرون على إخراجنا من الديار. يقول الله (ﷻ): ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩ ﴾ (سورة الممتحنة: ٧-٩).

بل حتى القتال الاستثنائي المكروه والمفروض على المسلمين فرضاً - قد جعله الإسلام (تدافعاً) والمقصد من وراءه تعديل المواقف وتحقيق التوازن العادل، ليحل محل الخلل الفاحش، وصولاً إلى التعايش بين الفرقاء المختلفين وليس (صراعاً) يستهدف أن يصرع طرف الطرف الآخر - فيقضي عليه ويمحوه وينهيه. فالتعددية والاختلاف والتمايز سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل، وإذا كان الصراع ينتهي بإلغاء هذه التعددية، والقضاء على الآخر فإن الله (ﷻ) هو الذي يتولى هذا الأمر وحده وبإرادته سبحانه: ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ ﴾ (الحاقة: ٧، ٨).

فالمقصد الإسلامي الذي ارتضاه (ﷻ) هو الإبقاء على التعددية، وتحقيق التوازن والتعايش بين فرقائها بالتدافع لا بالصراع. يقول الله (ﷻ): ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ ﴾ (فصلت: من الآية٣٤) فالتدافع سبيل للحياة، ولإصلاح الحياة. بينما الصراع هو طريق الفناء. ولقد صنع الإسلام ذلك كله، حتى مع المشرك الذي يعبد الأوثان والأصنام من دون الله.

سماحة الإسلام مع أصحاب الشرائع الدينية:

أما سماحة الإسلام مع أصحاب الشرائع الدينية، الذين جاء الإسلام ووجد كل منهم ينكر الآخر ويلعنه في صلواته ويصب عليه ألوان الاضطهادات والإبادات وهم يعتقدون ويحسبون أن ذلك مما يقربهم إلى الله!! فإن الإسلام - في تعامله مع أهل هذه الشرائع فقد قرر وحدة الألوهية والربوبية لكل العالمين ولكل عوالم المخلوقات

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص:١) ، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ (البقرة: من الآ ة:٢٥٥) .

وأضاف إليها عقيدة الإيمان بكل الكتب السماوية التي نزلت: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (البقرة:٢٨٥)

وجميع النبوات والرسالات التي سبقت وسائر الشرائع الإلهية التي توالت منذ آدم إلى محمد (ﷺ) فوحدة الإسلام الدين والملة عبر التاريخ الإنساني تجعل جميع الأنبياء أبناء أب واحد لدين واحد - وتجعل شرائعهم المتعددة تنوعاً في إطار الدين الواحد فأمهاتهم - شرائعهم- شتى- وأبوهم- دينهم- واحد، وصدق رسول الله (ﷺ) عندما أكد هذه الحقيقة، فقال (ﷺ): «الأنبياء إخوة من عَلاّت، وأمهاتهم شتى ودينهم واحد» (رواه البخاري ومسلم وأبو داود).

وأكد على حقيقة عدم التفريق بينهم بقوله (ﷻ): ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٥) وبهذا الأفق الإسلامي في السماحة، احتضن الإسلام الكل، وجعل الإيمان فيه شاملاً لكل ما أوحت به السماء على مر تاريخ الوحي إلى كل الرسل والأنبياء. وبذلك ولأول مرة في التاريخ، جعل الإسلام (الآخر) جزءاً من (الذات) فتجاوز، بهذا المستوى غير المسبوق في السماحة مجرد الاعتراف بالآخرين، والقبول بالآخرين. ولهذا كان الحديث القرآني الإيجابي، والمنصف والموضوعي عما لدى الآخرين فكتبهم التي يعترف علماؤهم هم بتلفيقها، ووضعها وتحريفها[1].

لم يعمم القرآن الكريم عليها هذا التحريف، وإنما تحدث عن هذه الكتب فقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ

---

(١) انظر كتاب تاريخ نقض العهد القديم من أقدم العصور حتي العصر الحديث - تحرير زالمان شازار - صـ ٣١ / ٢٢٦ - ترجمة أحمد محمد هويدي - مراجعة: خليفة حسن - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ (سورة آل عمران: ٢-٤).

وقال (ﷻ): ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ (المائدة:٤٦).

بل ولم ينه الإسلام الذين آثروا الشرائع الأخرى عن الاحتكام إلى ما بأيديهم من الكتب، بل أمرهم بتحكيمها فقال (ﷻ): ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ (سورة المائدة: ٤٧) وقال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ (المائدة: من الآية٤٣).

ونجد تطبيق لهذا الموقف الغير مسبوق في حوار الصحابي (حاطب بن أبي بلتعة) (٣٥ق.هـ - ٣٠هـ/ ٥٨٦ - ٦٥٠م) مع المقوقس عظيم القبط بمصر، عندما حمل إليه الصحابي الجليل كتاب رسول الله (ﷺ) سنة (٧هـ - ٦٢٨م) فقال له حاطب رضي الله عنه: « إننا ندعوك إلى الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به »[١].

كذلك بلغ الإسلام على درب العدالة والموضوعية والإنصاف الحد الذي جعله لا يهمل الفروق الدقيقة بين فضائل وتيارات أي (آخر) من الآخرين. فلم يعمم الأحكام ولا الأوصاف على أهل الكتاب، وإنما رأينا - القرآن الكريم - يؤكد عدم التعميم هذا، فيقول: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ﴾ (آل عمران١١٣) ويقول: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: من الآية١١٣) ويقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ ﴾ (آل عمران:١٩٩) ويقول: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ

---

(١) ابن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها - صـ٤٦ طبعة ليدن ١٩٢٠.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ (آل عمران:٧٥).

فلم يسوى القرآن الكريم ولم يعمم الأحكام والأوصاف على فصائل أهل الكتاب وتياراتهم وفرقهم مؤكدا دائمًا أنهم ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ (آل عمران: ١١٣).

سماحة الإسلام مع المتدينين بالديانات الوضعية:

ولم يقف الإسلام بهذا الأفق، غير المسبوق في السماحة والتسامح عند الآخر، المتدين بديانات سماوية فقط من أهل الكتاب من اليهود والنصارى. وإنما امتد ليشمل المتدينين بالديانات الوضعية. فتركهم هم أيضاً، وما يدينون، وعاملهم، في الدولة الإسلامية، معاملة أهل الكتاب.

فعندما فتح المسلمون فارس وأهلها مجوس، يعبدون النار، ويقولون بإلهين، أحدهما للخير والنور، والثاني للشر والظلمة. عرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٤٠ ق.هـ - ٢٣هـ - ٥٨٤/ ٦٤٤م) (رضي الله عنه)، أمرهم على (مجلس الشورى) مجلس السبعين الذي كان يجتمع بمسجد المدينة، في مكان محدد وأوقات محدودة. وكان عمر (رضي الله عنه) يجلس معهم فيه، ويحدثهم عما ينتهي إليه من أمر الأفاق والولايات والأقاليم - فقال لأعضاء مجلس الشورى (كيف أصنع بالمجوس؟) فوثب عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) (٤٤ق.هـ - ٣٢هـ - ٥٨٠/ ٦٥٢م) فقال: أشهد على رسول الله (ﷺ) أنه قال: (سنّوا فيهم سّنة أهل الكتاب)[١].

فعوملت الديانات الوضعية معاملة الكتابية. وجاء الفقهاء فسنوا هذه السنة النبوية وهذا التطبيق الراشدي لها فقالوا: لقد كانت لهذه الديانات كتب ثم ضاعت ويجب أن ندرك جيداً أن الإسلام لم يصنع هذا الاعتراف بالآخر والقبول لهذا الآخر.

وتمكين الآخر من إقامة عقائده، لم يصنع الإسلام كل ذلك باعتباره مجرد - مباح - وحق من حقوق هذا الآخر، وإنما جعل ذلك فريضة إسلامية، وشرطاً لاكتمال الاعتقاد بعقائد الإسلام وأكثر من هذا، وفوقه ... فإن الإسلام لم يقف بذلك الأفق

(١) البلاذري - فتوح البلدان - صـ٣٢٧ - تحقيق - د/ صلاح الدين المنجد - طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

السامي عند الآخر الذي يبادل الإسلام اعترافاً باعتراف، وقبولاً بقبول، وإنما صنعه مع الآخر الذي ينكر الإسلام ويجحده ويكفر بمقوماته وكل الآخرين، الذين ينكر كل واحد منهم صاحبه، يجتمعون جميعاً، حتى هذه اللحظة، على إنكار الإسلام وجحوده والكفران به، فلا يؤمنون بأن قرأنه وحي سماوي، ولا بأن رسوله مبعوث إلهي، ولا بأن ما جاء به دين إلهي. ومع كل ذلك، وبرغمه، كان هذا هو موقف الإسلام، غير المسبوق وغير الملحوق، في الاعتراف بكل الآخرين، الذين ينكرونه ويجحدونه. بل لقد تجاوز الاعتراف بهم، والقبول لهم، ووصل إلى حد جعلهم جزءاً من (الذات)، ذات الدين الإلهي الواحد، وذات الأمة الواحدة، بل وجعل تمكينهم من حرية إقامة جحودهم بالإسلام شرطاً من شروط اكتمال عقيدة الإسلام، وإسلامية دول الإسلام!.

فهل في تاريخ الدنيا والأمم والحضارات والشرائع والثقافات والفلسفات قبل الإسلام وبعده، سماحة شبيهة بهذه التي بدأت بالإسلام، والتي تفرد بها الإسلام؟![1].

هكذا بلغ الإسلام القمة غير مسبوق ولا ملحوق. عندما جعل الآخر يحافظ على اختلافه ومغايرته، وحرس وحمى هذه المغايرة وهذا الاختلاف مع جعل الآخر جزءاً من الذات أي الأمة الواحدة، وعندما جعل كل ذلك جزءاً من الاعتقاد الإسلامي، والتكليف الإلهي والسنة النبوية، والسياسة الشرعية، وعهد الله وميثاقه وليس مجرد حق من حقوق الإنسان، يمنحه حاكم ويمنعه آخرون! ولقد استمرت هذه السنة الإسلامية مرعية في الدولة الإسلامية والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي على امتداد هذا التاريخ.

- فسيف الإسلام وجميع الفتوحات الإسلامية قد دارت كل معاركها ضد جيوش القوى العظمى الباغية والغازية التي استعمرت الشرق لعدة قرون - الفرس والروم - ولم تحدث معركة واحدة بين جيوش الفتح الإسلامي وبين أهل البلاد التي فتحها المسلمون بل إن أهل هذه البلاد قد ساعدوا الجيوش الإسلامية بالدعم المادي

---

(١) د/ محمد عمارة - الغرب والإسلام - أين الخطأ؟.. وأين الصواب - صـ ٢٧ : ٣٨.

والمعنوي وأحياناً بالقتال ضد الفرس وضد الروم، مع بقائهم على دياناتهم المغايرة للإسلام، والموافقة لديانات الفرس والروم! صنع ذلك أهل العراق. ونصارى الشام. وأقباط مصر..

- وعندما حررت الجيوش الإسلامية بلادهم، حررت كذلك ضمائرهم من الاضطهاد الديني الذي عانوا منه عدة قرون، فتُركوا لأول مرة في تاريخهم. وما يدينون، وأصبحوا جزءاً من نسيج الدولة الإسلامية، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وظلوا أغلبية غير مسلمة في بلادهم لعدة قرون، حتى دخل منهم من دخل في الإسلام دون إكراه، بل ودون ترهيب، وفي أحيان كثيرة دون ترغيب!. وبقي من بقي منهم على نصرانيته أو يهوديته أو زرداشيته، شاهدين بذلك على هذه السماحة غير المسبوقة التي جاء بها الإسلام، والتي وضعتها دولته وحضارته في الممارسة والتطبيق..

- وكما فتح الإسلام الأبواب أمام هذا (الآخر الديني) للإسهام في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة، ترك هذا الآخر ليدير دواوينها حتى قال المستشرق الألماني (آدم متز) (١٨٦٩/ ١٩١٧م) يشهد بهذه الشهادة التي تقول: « لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام » [١].

وهذا هو المستشرق الإنجليزي (سير توماس أرنولد) (١٨٦٤/ ١٩٣٠م) يعلن عن سماحة الإسلام عندما يقول وهو شديد التدين بالنصرانية: « إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا، بوجه الإجمال، في ظل الحكم الإسلامي، بدرجة من التسامح لانجد لها معادلاً في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة.وإن دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدل على أن الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على أيدي المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح » [٢].

---

(١) آدم متز - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - ج١ - صـ ١٠٥ - ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة - طبعة بيروت ١٩٦٧م.

(٢) سير توماس أرنو لد - الدعوة إلى الإسلام صـ٧٢٩: ٧٣٠ ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن، د/ عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي - طبعة القاهرة ١٩٧٠م.

- لقد كان ذلك كله نتيجة حتمية للآية الكريمة التي جاءت في خطابكم: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقول الله (ﷻ): ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف من الآية:٢٩)

وقوله (ﷻ): ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ ﴾ (الكافرون:٦).

وقوله (ﷻ): ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (المائدة من الآية:٤٨)

وهي نفسها المبادئ والقواعد والتشريعات القرآنية التي جسدها عهود ومواثيق رسول الله (ﷺ) مع اليهود والنصارى.



صورة الإسلام
في الخطاب السياسي والثقافي والحضاري الغربي

إن الهدف الاستراتيجي الذي يجتمع عليه الغرب الاستعماري سواء السياسي أو الكنسي هو إعادة اختطاف الشرق من الإسلام ويسلك إلى هذا الهدف تشويه صورة الإسلام وسماحته حتى يتمكن من طي صفحة وجوده ويقود هذا الأمر الغرب السياسي وذلك بعد إزاحة الكنيسة عن مركز صناعة القرار القيادي، وهو في ذلك يتخذ خطاب سياسي وثقافي وحضاري يسعى من خلاله إلى تغريب الشرق الإسلامي، واحتلال عقول النخب من أبنائه، عندما يصبح الغرب نموذجهم الحضاري والقيمي وقبلة عقول من المفكرين والمثقفين يفعل الغرب كل ذلك ليتمكن من نهب ثرواته ومقدراته وفي نفس الوقت يتوجه الغرب بالخطاب السياسي والثقافي والحضاري إلى الرأي العام الغربي لإقناعه بضرورته، ولكسب تأييده لتحقيق هذه الأهداف ولإشراكه في الانفاق، وتحمل تبعاته والحرب في سبيله. وإذا قلنا إننا نعلم طبع الغرب الاستعماري السياسي والكنسي في العالم كله وليس الإسلامي. فلماذا الإسلامي على وجه التحديد؟!.

نقول: إن الإسلام ليس مجرد حضارة متميزة عن الحضارة الغربية كما هو الحال مع الحضارات الأخرى: الصينية. والهندية واليابانية. وإنما هو - مع هذا التّميز - حضارة عالمية وليست حضارة محلية كتلك الحضارات، ومن ثم فهو المنافس الأول والأوحد والأخطر للحضارة الغربية على النطاق العالمي، بل وهو المنافس للحضارة الغربية في عقر دارها..

ومن هنا يسعى الغرب دائما لإحياء وإنعاش ذاكرة شعوبه بذكريات.

- الفتوحات الإسلامية الأولى التي حررت الشرق من هيمنته الغربي في القرن السابع الميلادي بغض النظر عن دور هذه الفتوحات الإسلامية في تحرير شعوبها من القهر الحضاري والاستعماري الإغريقي والروماني والبيزنطي للشرق.

- وذكريات الوجود الإسلامي في الأندلس والذي استمر ثمانية قرون (٩٢ - ٨٩٧هـ) (٧١١ - ١٤٩٢م) وهو الوجود الذى كاد يُدخل كل جنوب أوروبا ووسطها في دائرة الإسلام، لولا الهزيمة الإسلامية في معركة (بلاط الشهداء) (١١٤هـ - ٧٣٢م).

- ويعيد وينعش ذكريات العقل الغربي بالهزيمة الصليبية أمام الفروسية الإسلامية، وفشل الحملات الصليبية في إعادة اختطاف الشرق والقدس من الإسلام. رغم استمرار هذه الحملات الصليبية قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١م).

- وذكريات المطاردة العثمانية الإسلامية للتحدي الأوروبي على أرضه. وفيها تم فتح القسطنطينية (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م) ثم أوغلت هذه المطاردة الإسلامية الزافرة على أرض البلقان.حتى وصلت إلى أسوار (فيينا) في (٩٣٥هـ - ١٥٢٩م) وفي (١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م).

- وتذكير الغرب بذكريات السيطرة الإسلامية على البحار الكبرى للكرة الأرضية - البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر - وبحر العرب والبحر الأسود. وذلك لأكثر من عشرة قرون، كان المسلمون فيها هم العالم الأول على ظهر هذا الكوكب.

والمشروع الغربي السياسي منه والكنسي يحرص دائماً وأبدا على إنعاش ذاكرة الشعوب الغربية بذكريات خطر العالمية الإسلامية على إستراتيجيته وذلك لتأجيج حماس تلك الشعوب في معركة الغرب لاستعادة الشرق مرة أخري من الإسلام وفي كل مفردات الخطاب الغربي اللاهوتي منه والسياسي والثقافي والتعليمي والإعلامي يحرص الغرب حرصاً شديداً على توجيه أمضي أسلحته وأخطرها إلى الإسلام (الدين، والثقافة، والحضارة).

ولقد أثمرت تراكمات مفردات هذا الخطاب الغربي الخاص بالشرق الإسلامي، أثمرت مخزوناً من ثقافة الكراهية السوداء للإسلام وأهله والتي شاعت وترسبت بل وتكدست، في كثير من ميادين الثقافة واللاهوت والتعليم والإعلام بأوروبا وأمريكا.

وهذا المخزون من الكراهية السوداء هو الداعم للمشاريع الغربية لاستعمار الشرق والذي تطفح به منابر الثقافة والإعلام والتنصير الغربية إبان الأزمات الحادة في علاقة الغرب بالإسلام على النحو الذي رأيناه ونراه بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا الميدان يستطيع العقل المسلم أن يتابع ويعي دلالات المواقف والأفكار، التي غدت مكونات أساسية في ثقافة الخطاب الغربي حول الإسلام والحضارة الإسلامية. وهي مواقف وأفكار رصدها وانتقدها علماء غربيون منصفون وعلى سبيل المثال لا الحصر.

- تصوير نبي الإسلام (ﷺ) باعتباره المنشق الكاثوليكي الأكبر، الذي اختطف الشرق من الغرب الروماني، ومن الكاثوليكية!! وكما يقول المفكر الألماني (هوبرت هيركومر) في دراسته عن (صورة الإسلام في الأدب الوسيط): «إن الأوروبيين ادعوا أن رسول الإسلام كان في الأصل كاردينالاً كاثوليكياً، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية. في القرون الوسطى محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية الذي يتحمل وزرا انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية» [١] فماذا نقول عن هذا النمط الفكري الغربي ... كردينالا كاثوليكيا؟!!.

- وتصوير الكاثوليكية الأوروبية بلسان فيلسوفها الأكبر «توما الأكويني» (١٢٢٥ - ١٢٧٤م) رسول الله (ﷺ) بأنه: «الذي أغوى الشعوب من خلال وعوده الشهوانية. وقام بتحريف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالة محمد إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون في البادية» [٢].

وتصوير البروتستانتية الأوروبية بلسان رائدها الأول - مارتن لوثر - (١٤٨٣ -

---

(١) هوبرت هيركومر - صورة الإسلام في التراث الغربي - صـ ٢٣: ٢٤ ترجمة / ثابت عيد - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م.

(٢) المرجع السابق صـ ٣٢: ٣٣.

١٥٤٦م) للقرآن الكريم: «بأنه كتاب بغيض وفظيع وملعون، وملئ بالأكاذيب والخرافات والفضائع». وحديثه عن أن «إزعاج محمد، والإضرار بالمسلمين، يجب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه!» وأن على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له، أيضاً ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم في الحرب ضد الأتراك المسلمين، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم - في هذه الحروب!![1].

وتصوير الغرب للمسلمين في الثقافة الشعبية الأوروبية ومن خلال الملاحم الشعبية مثل (ملحمة رولاند) سنة(١١٠٠م) بأنهم: - الجنس الحيواني الحقير. والكلاب والخنازير - !! وأنهم - يعبدون أصنام الثالوث: (أبوللين - Apollin وتيرفاجانت Tervagant وحوميت (محمد) Mahamet) وهي الأوصاف المزيفة والكاذبة التي لا تزال تجترها حتى الآن - أفلام هوليود والأعمال الأدبية - التي يفوز أصحابها بجوائز (نوبل) في هذه الأعوام!!.

- ووضع - دانتي - (١٢٩٥ - ١٣٢١م) صاحب الكوميديا الإلهية - رسول الإسلام (ﷺ) وعلى بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في الحفرة التاسعة في ثامن حلقة من حلقات جهنم. وقد قطعت أجسامهم وشوهت أجسامهم في دار السعير لأنهم كانوا في الحياة الدنيا (بكذبة وافترائه) أهل شجار وشقاق!![2].

- وهذا هو المستشرق الألماني (تيودور نولدكة) (١٨٣٦ - ١٩٣٠م) في كتابه (من تاريخ القرآن) يتحدث عن القرآن الكريم ليشوهه للغربيين فيقول: - لغة القرآن المتراخية والركيكة.

وتكراراته التي لا تنتهي، والتي لا يستحي الرسول من استخدام الكلمات نفسها فيها.

والبراهين التي تعوزها الدقة والوضوح، والتي لا تقنع إلا المؤمنين من البداية

---

(١) المرجع السابق صـ ٢١.

(٢) المرجع السابق صـ ٢٤.

بالعاقبة النهائية. والقصص التي لا تقدم إلا قليلاً من التنوع، والتي كثيراً ما تجعل آيات الوحي أقرب إلى الملل والسآمة.فأسلوب القرآن فيه عيوب كثيرة عيوب غير موجودة في القصائد العربية القديمة ولا في أخبار العرب. وأفكاره ضحلة، وساذجة وبدائية!! (حاشا لله).

- أما - توماس كار ليل - (١٧٩٥ - ١٨٨١م) الذي تحدث عن رسول الإسلام (ﷺ) حديثاً إيجابياً حتى جعله كزعيم مصلح وليس كنبي ورسول وأول العظماء المائة - فإنه هو القائل: - محمد شيء، والقرآن شيء آخر مختلف تماماً. ولا يوجد شيء غير الشعور بالواجب يمكن أن يحمل أي أوروبي على قراءة القرآن. إنه خليط طويل وممل ومشوش.جاف. وغليظ باختصار هو غباء لا يحتمل!! [(١)].

هذه هي صورة الإسلام. وقرأنه. ورسوله. وصورة المسلمين وحضارتهم التي شاعت في الثقافة الغربية، وفي الخطاب الغربي عن الشرق الإسلامي، منذ ظهور الإسلام وحتى العصر الحديث. والتي كونت الأصول والجذور لثقافة الكراهية السوداء، التي تسكن حيناً، وتطفوا أحياناً، إبان الأزمات بين الغرب والإسلام، حدث هذا ويحدث، بينما يؤمن المسلمون ويقدسون كل الكتب والشرائع والنبوات والرسالات ولا يفرقون بين أحد من رسل الله، ويتلون آيات القرآن الكريم التي تقول عن التوراة والإنجيل أن فيها هدي ونوراً!![(٢)].

وفي واقعنا المعاصر، فإن مقاصد الخطاب الغربي الموجه إلى العالم الإسلامي المعاصر أسوأ كثيراً من مفردات هذا الخطاب. والخطاب الكنسي البروتستانتي والكاثوليكي يقطر هو الآخر بالعداء للإسلام.

- فالمونسينور « جوزيبي برنارديني » يصرح بحضرة بابا الفاتيكان الراحل « يوحنا بولس الثاني - في سنة ١٩٩٩م فيقول: « إن العالم الإسلامي سبق أن بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط، وهو يبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين

---

(١) توماس كاريل - تقييات غربية لأسلوب القرآن - ترجمة ثابت عيد.

(٢) د/ محمد عمارة - المرجع السابق - صـ ٦٨: ٧٣.

المهاجرين في الدول المسيحية، بما في ذلك روما عاصمة المسيحية، فكيف يمكننا ألا نري في ذلك برنامجاً واضحاً للتوسع، وفتحاً جديداً» (١).

- وفي نفس التاريخ يتحدث الكاردينال «بول بوبار» مساعد بابا الفاتيكان السابق «يوحنا بولس الثاني» ومسئول المجلس الفاتيكاني للثقافة إلى صحيفة الفيجاروا الفرنسية فيقول: «إن الإسلام يشكل تحدياً بالنسبة لأوروبا وللغرب عموما وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيراً ضليعاً لكي يلاحظ تفاوتاً متزايداً بين معدلات النمو السكاني في أنحاء معينة من العالم، ففي البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكاني بشكل تدريجي، بينما يحدث العكس في البلدان الإسلامية النامية، وفي مهد المسيح، يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكون موتهم مبرمجاً بشكل ما!! إن التحدي الذي يشكله الإسلام يكمن في إنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتفكير وتصرف، في حين إن المسيحيين في أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع، ويتناسون الصيام الذي يفرضه عليهم دينهم، وفي الوقت نفسه ينبهرون بصيام المسلمين في شهر رمضان» (٢).

- ويمضي هذا الخطاب الكنسي الكاثوليكي ليرفض التعايش بين الإسلام والمسيحية في أوروبا!! فيقول الكاردينال - جاكومويبفي - (أسقف مدينة بولونيا بإيطاليا) في رسالته يوم ١٣/ ٩/ ٢٠٠٠م داعياً إلى استئصال المسلمين من أوروبا:

«فإما أن تتحول أوروبا إلى مسيحية فوراً، وإلا ستكون إسلامية مؤكدا» !! (٣).

- هذا هو الخطاب الكنسي الغربي، إزاء الإسلام، وتلك هي صورة الإسلام في هذا الخطاب - البروتستانتي منه والكاثوليكي، في الواقع المعاصر الذي نعيش فيه..

- وعندما ورثت أمريكا الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة: الإنجليزية والفرنسية.فإن خطاب المشرع السياسي والحضاري الغربي إزاء الإسلام والذي بدأته

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط - في ١٣/ ١٠/ ١٩٩٩م.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط - في ١/ ١٠/ ١٩٩١م.

(٣) صحيفة العالم الإسلامي - ٦/ ١٠/ ٢٠٠٠م.

أمريكا عقب الحرب العالمية الثانية والذي بدأته بمحاولة استغلال الإسلام في حربها الباردة ضد الشيوعية. وبعبارات الشهيد سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦هـ - ١٩٠٦ - ١٩٦٦م) - إن الإسلام الذي يريده الأمريكان، وحلفاؤهم في الشرق ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية. إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم، لأن الإسلام حين يحكم سينشئ الشعوب نشأة أخري، وسيعلم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن طرد المستعمر فريضة وأن الشيوعية كالاستعمار وباء، فكلاهما عدو، وكلاهما اعتداء. الأمريكان وحلفاؤهم إذن يريدون للشرق - إسلاماً أمريكانياً - يجوز أن يُستفتي في منع الحمل، ويجوز أن يستفتي في دخول المرأة البرلمان ويجوز أن يستفتي في نظامنا المالي، ولا يستفتي أبداً في أوضاعنا الاجتماعية أو الاقتصادية أو نظامنا المالي، ولا يستفتي أبداً في أوضاعنا السياسية والقومية، وفيما يربطنا بالاستعمار من صلات. فالحكم بالإسلام، والتشريع بالإسلام والانتصار للإسلام لا يجوز أن يمسها قلم، ولا حديث ولا استفتاء - [1] في الإسلام الأمريكانى!.

هذا هو نوع (الإسلام الأمريكاني) الذي أرادت أمريكا (استغلاله) في حربها الباردة ضد الشيوعية - كما استغلت النصرانية أيضا. وأنشأت لذلك (مجلس الكنائس العالمي) في ذات التاريخ! ولأن أمريكا والغرب يدركون جيدا قوة الإسلام المجاهد فقد وقفت أمريكا خلف كل الحركات الإسلامية التي يسمونها «أصولية ومتطرفة» في خندق واحد إبان الجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفيتي والشيوعية في ثمانيات القرن العشرين - ومع ذلك كان يؤلمهم ويقلقهم نجاح هذا الإسلام المجاهد في أفغانستان والذين يقفوا من خلفه ويمدونه ليحقق الأهداف التي توافقت مع بعضها البعض. وفي ذلك التاريخ كتب الرئيس الأمريكي «ريتشارد نيكسون» وهو مفكر استراتيجي عن هذه اليقظة الإسلامية، والتي يقودها من أسماهم (الأصوليين الإسلاميين) الذين كما

---

(١) من كتاب أمريكا من الداخل - والنقل عن: د/ سيد قميحة - سيد قطب والإسلام الأمريكاني - صحيفة آفاق عربية - القاهرة ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠١ [illegible] عن مجلة الرسالة سنة ١٩٥١م.

يقول: (مصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة، عن طريق بعث الماضي، ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وينادون بأن الإسلام دين ودولة، وعلى الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل، فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار) ! ودعا - نيكسون - إلى اتحاد الغرب. الأمريكي. والأوروبي. والروسي. لمواجهة هذا البعث الإسلامي والى: (تحديد الخيار الذي تختاره الشعوب المسلمة!! ليكون - نموذج تركيا العلمانية المنحازة نحو الغرب - والساعية إلى ربط المسلمين بالغرب سياسياً واقتصادياً. وذلك حفاظاً على مصالح الغرب في الشرق. لأن أكثر ما يهمنا في الشرق الأوسط هو النفط وإسرائيل. وإن التزامنا نحو إسرائيل عميق جداً، فنحن لسنا مجرد حلفاء، ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق! نحن مرتبطون معهم ارتباطاً أخلاقياً. ولن يستطيع أي رئيس أمريكي أو كونجرس أن يسمح بتدمير إسرائيل) !.

- ولقد أفصح الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون (عن الموقف الأمريكي والغربي، الذي اتخذ الإسلام والمسلمين عدواً، عندما قال: إن الكثير من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء. ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة ودمويون، وغير منطقيين. وليس هناك صورة أسوأ من هذه الصورة. حتى بالنسبة للصين الشيوعية، في ذهن وضمير المواطن الأمريكي عن العالم الإسلامي. ويحذر بعض المراقبين من أن الإسلام والغرب متضادان. وأن الإسلام سوف يصبح قوة جيبوليتيكية متطرفة. وأنه مع التزايد السكاني والإمكانيات المادية المتاحة، سوف يؤلف المسلمون مخاطر كبيرة. وأنهم يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب. وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي) !![1].

تلك هي صورة الإسلام في الخطاب الاستراتيجي الأمريكي والغربي في ثمانينات القرن العشرين.إبان شهر العسل الأمريكي والغربي وبين كل من الحركات الإسلامية

---

(١) ريتشارد نيكسون - الفرصة السانحة صـ٢٨: ١٣٥: ١٤١ - ترجمة / أحمد صدقي مراد - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢.

والدول الإسلامية إبان الجهاد المشترك ضد الشيوعية في أفغانستان، وقبل – قارعة سبتمبر ٢٠٠١م بنحو خمسة عشر عاماً!! فلما سقطت الشيوعية سنة ١٩٩١م. وأعلن الغرب أن الإسلام هو العدو الذي حل محل إمبراطورية الاتحاد السوفيتي، وقد عللت مجلة (شئون دولية) الصادرة في – كمبريدج – بانجلترا في يناير سنة ١٩٩١م، سبب سرعة هذا الإعلان الغربي بعداوة الإسلام فقالت: (لقد شعر الكثيرون في الغرب بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتي. وبالنسبة إلى هذا الغرض فإن الإسلام جاهز في المتناول. فالإسلام من بين الثقافات الموجودة في الجنوب هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس السبب سوي أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدي فعلى وحقيقي للثقافة الغربية.

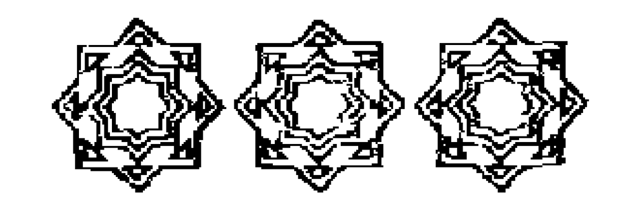
فالتأثير السيكولوجي للدين قد تناقص علميا في كل المجتمعات، وبدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة. (يقصد الغرب) لكن عالم الإسلام، قد مثل استثناء مدهشاً وتاماً جداً من هذا، فلم تتم أي علمنة في عالم الإسلام. إن سيطرة الإسلام على المؤمنين به هي سيطرة قوية، وهي بطريقة ما أقوى الآن مما كانت من (١٠٠) مائة سنة مضت. إن الإسلام مقاوم للعلمنة نوعاً ما، والأمر المدهش هو أن هذا يظل صحيحاً في ظل مختلف النظم السياسية.

وإن وجود تقاليد محلية للإسلام قد مكنّ العالم الإسلامي من أن يفلت من معضلة تقاليد العلمانية الغربية. وإن عملية الإصلاح الذاتي، استجابة للدواعي الحداثة، يمكن أن تتم باسم الإيمان المحلي، وذلك هو التفسير الأساسي لمقاومة الإسلام المرموقة للعلمنة.

إن غاية الغرب أن يتحول الإسلام العلماني فيتحول إلى صورة شرقية من النصرانية الغربية، فيقف عند الشعائر والعبادات، ويتنازل عن خصوصياته ومميزاته، فاتحاً الطريق أمام تغريب العقل المسلم، وهيمنة العولمة الغربية على دنيا المسلمين.

ويجب أن ندرك جيداً أن تخير الإسلام والمسلمين أن يكونوا العدو الذي توجه إليهم آلة الحرب وحملات الإعلام التي كانت موجهة للشيوعية وأحزابها وحكوماتها، هو

أمر سابق على - أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١م . وسابق على الانشقاق الذي حدث بين الجماعات الإسلامية - الراديكالية - وبين أمريكا وكما قال - جلوب باشا - : فإن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط (الغرب والإسلام) إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد!! أي إلى ظهور الإسلام، وتحريره الشرق من هيمنة الغرب وبقاء الإسلام القوة المجاهدة ضد محاولات اختطاف الغرب للشرق من جديد!) [١].



(١) د/ محمد عمارة - المرجع السابق صـ ٧٧- ٨١.

صورة الإسلام في الخطاب السياسي والثقافي والحضاري الغربي بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م

مع بدء ظهور الإسلام وتحريره للشرق من هيمنة الغرب الروماني البيزنطي بدء تزييف صورة الإسلام بيد الغرب وكان ومازال القصد والهدف الغربي من وراء هذا التزييف:

(أ) تغريب عقول مفكرينا ومثقفينا: وذلك ليتبنوا النموذج الغربي الحضاري بدلا من النموذج الحضاري الإسلامي، فتصبح المركزية الغربية هي قبلتهم، طواعية وتطوعاً.

(ب) تضليل شعوبهم الغربية برسم صورة سيئة للإسلام لينفروا منه: ولتنخرط شعوبهم وأممهم في المواجهة مع الإسلام، وذلك لدعم مشروع الهيمنة الغربية على الشرق.

(ج) إقناع الضمير الغربي بأنه صاحب رسالة تنويرية وتقدمية وحضارية: ومن أجل أن يشعر الضمير الغربي براحة ضمير ، عليه أن يصدق أولاً الصورة المزيفة للإسلام باعتباره نمطاً من الفكر البدائي والمتخلف وأن من يؤمن به هم شعوب بدائية ومتخلفة، وأن الإسلام يحول بين هذه الشعوب وبين التقدم العلمي والحضاري الغربي، وهنا يقتنع الضمير العربي بأن عليه رسالة يجب أن يؤديها بمحاولة خصوصية الحضارة الإسلامية، ومعاداة مميزاتها القيمية ويعمل على إبادة البُنى الموروثة لثقافة الإسلام، يساعد على هذا التغيير قوة التغريب الإسلامية من مفكرين ومثقفين إسلاميين متغربين، يشجعهم ويحفزهم الشعوب الغربية التي تنتظر التغيير وتلح عليه وتطالب به دوماً وتساعد في ذلك بكل الوسائل والسبل التي لديها حتى لو كانت الدبابة والمدفع والصاروخ..

يتم كل هذا تحت استراتيجية الغرب لتحقيق الهيمنة على عالم الإسلام، لنهب ثرواته، الذي هو المقصد الأعظم لمشروع الهيمنة الغربية..

وفي ضوء هذا الذي قدمناه حول هذا الموضوع والذي هو موضوع الساعة كما هو موضوع التاريخ. نفهم كيف أن طوفان ثقافة الكراهية السوداء للإسلام وأمته وحضارته الذي تفجرت ينابيعه الأمريكية والغربية في وجوهنا عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م لم يكن من إنشاء هذه الأحداث، ولا كانت أسبابه (جماعات العنف العشوائي) التي ترفع رايات الإسلام. وإنما كان هذا الطوفان (تصعيداً حاداً) لموقف قديم (وكشفاً) عن مخزون ومكنون، وضع الغافلين منا واللاهين عن الحقائق في موقف الذين تحدث عنهم القرآن الكريم عندما قال:

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (قٓ:٢٢).

وإذا كانت أمريكا أعلنت حربها على الأصولية الإسلامية الثورية عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فإنها هي بعينها الإسلام الشامل والمقاوم لمشروع الهيمنة الأمريكية والغربية. وهي البعث الإسلامي على وجه الدقة والتحديد وليست (جماعات العنف العشوائي) بحال من الأحوال.

- وإذا تجاوزنا، مجاراة للبعض عن دلالات وصف الرئيس الأمريكي بوش الصغير هذه الحرب بأنها «حرب صليبية» وقبلنا -تجاوزاً- ما يقوله هذا البعض من أن هذه العبارة هي (زلة لسان)!! ولا ندري لماذا لا تزل ألسنتهم إلا عندما يتحدثون عنا! فإننا نقدم هنا بعض النماذج للتصريحات الصادرة من أعمدة السياسة والإدارة والفكر الاستراتيجي للمشروع الأمريكي والغربي والتي تشهد على أن هذه الحرب إنما هي معلنة ضد الإسلام. والإسلام المقاوم للهيمنة الأمريكية والغربية على وجه الخصوص والتحديد.

- فهذا هو (جون أشكروفت) وزير العدل الأمريكي لم يكتف بالحديث عن حرب الحضارة ضد البربرية، والخير ضد الشر، والمدنية ضد التخلف كما صنع آخرون. وإنما ذهب ليتفوق على غُلاة القساوسة المنصرين، فسب إله العالمين، الذي يؤمن به مليار ونصف المليار من المسلمين. فقال: (إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من

أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذه الإله)!!(١).

- والسيناتور الأمريكي (جوزيف ليبرمان) والذي كان مرشحاً ديمقراطياً لمنصب نائب الرئيس في الانتخابات الأمريكية سنة ٢٠٠٠م يعلن: «أنه لا حل مع الدول العربية الإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياسات التي نراها ضرورية. فالشعارات التي أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية بل تـتعداها إلى الدول الأخرى»!!(٢).

- وهذه السيدة (مادلين أولبرايت) وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة تتحدث بلغة النازية إلى الشعوب الإسلامية فتقول: «إننا، معشر الأمريكيين، أمة ترتفع قامتها فوق جميع الشعوب، وتمتد رؤيتها أبعد من جميع الشعوب»(٣).

- وهذا هو (بات روبرتسون) الزعيم الديني والسياسي ومؤسس جماعة التحالف السياسي المسيحي التي تسيطر على الكونجرس الأمريكي، والحزب الجمهوري والإدارة الأمريكية والأب الروحي للرئيس (جورج ديبل بوش) الذي ولد على يديه ولادته المسيحية الجديدة بعد انحرافه الذي استمر حتى سن التاسعة والثلاثين يعلن (بات روبرتسون) قائلاً: «إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف. وأنه بالنظر إلى المعني الحقيقي لآيات قرآنية، فإن أسامة بن لادن أكثر وفاء لدينه الإسلامي من آخرين. وأن أمريكا بحاجة إلى - إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل وأننا في هذه الحرب. إنما نعلى كلمة الله الذي يقف معنا، مع الحق في هذا الصراع الديني الذي نخوضه ويحيطنا بعنايته»!!(٤).

- والمستشرق الأمريكي الصهيوني (برنارد لويس) وهو من أعمدة المشيرين على

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط في ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢م.

(٢) صحيفة الأهرام في ١٦/ ١/ ٢٠٠٢م.

(٣) صحيفة الأهرام ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠١م.

(٤) صحيفة الشرق الأوسط في ٣/ ٢/ ٢٠٠٢م، الأهرام ١١/ ١٢/ ٢٠٠٢م.

صانع القرار الأمريكي يقول: « إن إرهاب اليوم هو جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب. فالنظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة اليهودية والمسيحية الغربية وآيات القرآن تصدق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين. وهذه الحرب هي حرب بين الأديان » !! (١).

- و(توني بلير) رئيس وزراء إنجلترا يعلن في ١٧ سبتمبر ٢٠٠١م أي بعد ستة أيام من أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أن هذه الحرب التي أعلنها الغرب على الإسلام: (هي حرب المدنية والحضارة ضد البربرية في الشرق).

- أما رئيسة وزراء إنجلترا الأسبق (مارجريت تاتشر) فإنها تكتب عن: - تحدي الإرهاب الإسلامي الفريد، الذي لا يقف عند أسامة بن لادن، بل يشمل حتى الذين أدانوا هجمات الحادي عشر من سبتمبر على أمريكا. والذين انتقدوا بشدة أسامة بن لادن وطالبان لكنهم: - يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب - . فالذين يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع المصالح الغربية، تصفهم تاتشر: « بأنهم أعداء أمريكا. وأعداؤنا » . وتشبههم بالشيوعية، وتدعوا الغرب إلى معاملتهم كما عامل الشيوعية!! (٢).

- و(سيليفو بيرلسكوني) رئيس وزراء إيطاليا الأسبق (٣).

قال بيرلسكوني في ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م: - إن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية. ولابد من انتصار الحضارة الغربية على الإسلام، الذي يجب أن يهزم لأنه لا يعرف الحرية ولا التعددية ولا حقوق الإنسان.

---

(١) الأهرام في ٢/ ٣/ ٢٠٠٢م نقلاً عن مقال زخاري كاربيل صحيفة النيوزويك الأمريكية في ١٤/ ١/ ٢٠٠٢م.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط في ١٤/ ٢/ ٢٠٠٢م.

(٣) الذي تنبأ بسقوطه هو وشارون وبوش وبلير وأزنار لاشتراكهم في الحرب الغير عادلة على العراق السياسي البريطاني الكبير عضو مجلس العموم (جورج جالاوى) وقد حدث لأكثرهم السقوط في أول انتخابات بالفعل. - انظر كتابنا - دماء على صفحات التوراة والتلمود صـ١٤ المكتبة التوفيقية.

وأن الغرب سيواصل تعميم حضارته، وفرض نفسه على الشعوب وأنه قد نجح حتى الآن.

في تعميم حضارته وفرض نفسه على العالم الشيوعي وقسم من العالم الإسلامي - ![١].

- وهذا وزير الداخلية الألماني - أوتوشيلي - يبلغ الحد الذي يصف فيه « عقيدة الإسلام بأنها هرطقة وضلال »[٢].

- أما وزير خارجية ألمانيا (يوشكا فيشر) فإنه يعلن في محاضرة - حول آفاق السياسة الدولية إثر اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أمام طلبة جامعة (فراي) ببرلين يعلن شكوكه في: (قدرة الإسلام على التطور)! ويتسأل: - هل يوجد طريق إسلامي إلى الحداثة - ؟ بمعناها الغربي: - ثم يصف الأصولية الإسلامية الرافضة للحداثة والقيم الغربية بأنها « التوتاليتارية الجديدة »[٣] أي الديكتاتورية والشمولية الجديدة!!.

هذه هي حقيقة الموقف الذي نحن فيه. وحقيقة التحدي الذي نواجهه الآن[٤].

وساهمت بعض المؤسسات الإعلامية والثقافية في تقبيح الوجه الإسلامي لدى الغرب وتشويه وجه الإسلام وأهله على النحو التالي:

- في العاصمة البلجيكية (بروكسيل) طبع أول سورة مريم وأول سورة البقرة من القرآن الكريم على ورق التغليف ليستعملوها في محلاتهم.

- وفي محلات (ماركس سبنسر) في لندن، - أنتجت ملابس داخلية طبعت عليها عبارة « لا إله إلا الله » وتعمد مصممها أن يكون لفظ (الجلالة) ملاحقاً لموضع العورة.!!.

- وفي لندن أيضاً نشرت مجلات الجنس الداعرة صوراً لفتيات عاريات من كل

---

(١) صحيفة الحياة في ٣٠/ ٩/ ٢٠٠١م.

(٢) صحيفة الأهرام في ٢/ ٣/ ٢٠٠٢م.

(٣) صحيفة الشرق الأوسط في ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٢م.

(٤) المرجع السابق صـ٨١، ٨٦.

شيء في أوضاع مخزية تحيط بهن قطع من القماش تحمل آيات القرآن الكريم.!!.

- وقد أطلق البعض في (جلاكسو) ببريطانيا وغيرها من المدن الأوروبية على مواخير الدعارة اسم (مكة) بقصد السخرية من الإسلام وأهله.

- وفي مدينة (بازل) السويسرية، بُني مأوى الخنازير في حديقة حيوان المدينة على هيئة مسجد إسلامي!!.

- وفي قبرص، وضع أحدهم اسم الجلالة (الله) على نعال الأحذية الرياضية وصُدرت إلى البلاد العربية والإسلامية.

- وفي أوروبا انتشر كاسيت لموسيقا الديسكو، سجلت عليه سورة قرآنية كريمة.

- وفي أمريكا طبعت صور العلماء المسلمين على ورق التواليت [١].

كما تم استغلال الإعلانات في الغرب استغلالاً بشعاً في الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، ويتفنن المسيطرون على غالبية وكالات الإعلان العالمية في الغرب في إظهار العربي المسلم في إعلاناتهم بصورة الهمجي أو الأبله أو الغارق في شهواته وهذه بعض النماذج من الإعلانات الغربية عن المسلمين.

- في أحد الإعلانات التي تُعرض في الولايات المتحدة الأمريكية وفي إسرائيل إعلان عن أحد أنواع الصابون. ويبدأ الإعلان بصوت المذيع ويؤكد أن صابون (كذا) ينظف أي شيء. حتى العربي.!!.

ثم يظهر على شاشة التليفزيون شخص يرتدي الزي العربي المميز، والأوساخ والقاذورات تملأ وجهه وملابسه، ثم تتقدم منه فتاة شبه عارية، لتدفع به في (بانيو) ملئ بالماء وتبدأ في تدليكه بصابون (كذا) ثم تخرجه من البانيو لتقول بخبث واضح: - عفوا سيداتي سادتي. نحن نتحدى أيّ صابون آخر أن ينظف هذا العربي أكثر مما ينظفه صابون (كذا). لقد بذلنا كل ما في وسعنا لنجعل صابوننا أقوي فاعلية وفي هذه اللحظات يدخل شاب وبيده ورقة ويسلمها للفتاة، وتفتح الفتاة الورقة وتقرأها

---

(١) فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي - النفوذ اليهودي صـ٦٦/ ٦٧م.

بحماس: سيداتي سادتي. جاءنا الآن من مختبرات (كذا) أن صابون (كذا) في قمة الفاعلية، وأن العيب في عدم نظافة العربي ليس بعدم فاعلية صابون (كذا) ولكن لأن العربي لا يمكن أن يصبح نظيفا أبدا.[١] وينتهي الإعلان الخبيث.

- وفي (أثينا) عرضت إحدى السينمات إعلاناً عن دواء منشط للطاقة الجنسية، يظهر فيه العربي بلباسه المميز وقد امتلأ رأسه شيباً، وانحنى ظهره بسبب كبر سنه، ويتوقف هذا الرجل أمام كشك لبيع المجلات الجنسية الداعرة، فيأخذ واحدة ويتصفحها فيسيل لعابه، وفجأة تمتد إليه يد تحمل الدواء المنشط المعلن عنه، فيتناول العربي القارورة ويكرعها كلها بسرعة البرق ليتحول إلى حصان هائج مائج يلاحق الفتيات الصغيرات في الشوارع بهمجية وحيوانية وبصورة مضحكة، تستدر ضحكات المشاهدين وقهقهاتهم.

- وإعلان آخر عن سائل خاص تقذفه النساء في وجه من يريد التحرش بهن، فيفقد وعيه، ويصور الفيلم الدعائي فتاة تسير باطمئنان، ثم يفاجئها رجل يرتدي الزي العربي المميز ويهجم عليها، وبيده خنجر يريد اغتصابها، فتقذف الفتاة السائل المعلن عنه في وجهه، فيفقد العربي وعيه فتبصق الفتاة عليه ثم تمضي في سبيلها!![٢].

ويطلق رساموا الكاريكاتير في الغرب العنان لمخيلاتهم لتصوير العرب في الصحف والمطبوعات الإعلامية بأشكال وهيئات وحالات مقززة ومنفرة، فملامح الشخصية العربية في هذه الرسوم النمطية، الأنوف معقوفة، والعيون ذات نظرات شرهة تطفح بالشر. لا توحي ملامحهم إلا بكونهم إما إرهابيين جبناء، وإما شيوخاً أثرياء مفرطي البدانة، يلهون بإسراف، وسط راقصات شرقيات يتمايلن ويهززن أردافهن! فهم مجرد أناس تحركهم الغرائز والشهوات، ويملؤهم النهم والطمع، ويستولي عليهم الخبث والمكر.

- وديانة العرب لم تسلم من هذا التحقير، فحين أراد هؤلاء الرسامون التعبير

(١) المرجع السابق صـ ٦٣/ ٦٤

(٢) المرجع السابق صـ٦٤.

عن الارتفاع الكبير في أسعار النفط لمصلحة المنتجين، عمدوا إلى تصوير المؤذنين للصلاة واقفين على المآذن وهم يتلون آخر أنباء انهيارات أسعار الأسهم في البورصات العالمية بدلا من كلمات الأذان!.

- وفي قاموس (روجيت ثيساورس Roget's Thesaurus) نسخة ١٩٨٠م فإن مرادف كلمة عربي هي جلف، نذل، أخرق، مخادع، ساذج.

- وحين أرادت شركة تويوتا الترويج لسياراتها ولفت الأنظار إلى ميزتها الاقتصادية في استهلاك البنزين، رفع وكلاؤها في السوق الأمريكية شعار « **اشتر تويوتا ودافع عربياً إلى حافة الجنون** ».

- أما الإعلان الذي تجاوز كل الحدود في التفاهة الذوقية فهو الذي رفعته شركة أنتجت قطعاً من الفحم أطلقت عليها اسم (الشيخ) ووزعتها في الأسواق مصحوبة بالكلمات التالية: - **اقتصد في استعمال النفط. واحرق شيخاً بدلاً منه** - وبكل أسف فإن مثل هذه الإعلانات مقبولة جداً لدى وسائل الإعلام الأمريكية.

- وفي جميع القصص، قصيرة وطويلة، والبرامج التلفزيونية يُقَدَّم (العرب) إما قتلة متعطشين للدماء، وإما أغنياء جهلة وشهواتهم للنساء الغربيات لا ترتوي.

- فهذا هو الكاتب رافائيل باتيه في كتابه (العقل العربي) لا يكتفي بكيل النعوت البذيئة للعرب، وإنما يمضي إلى اعتبارها صفات أصيلة في الجنس العربي تنتقل بالوراثة!.

- وفي كتاب إريكايونج (أخاف أن أطير) ترد العبارة التالية (العرب والحيوانات الأخرى).

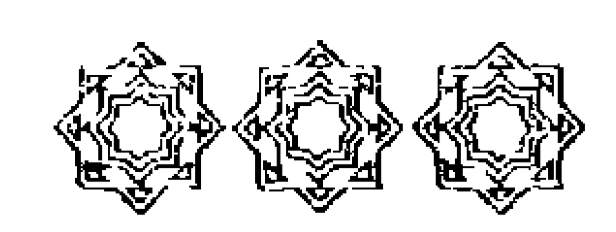
- وهذا الكاتب الأمريكي (ليون يوريس) يقول مثلا عن الفلسطينيين: **(إنهم شعب لا كرامة له، لا يثورون لتحسين ظروفهم المعيشية، ويقنعون بالنزر اليسير من الإحسان الأجنبي، والقوة الدافعة الرئيسية في حياتهم هي الكراهية إلى الأبد)** [(١)].

---

(١) انجمار كارلسون - الإسلام وأوروبا. تعايش أم مجابهة؟ - مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٣م صـ ١٣/ ١٦. ترجمة / سمير بوتاني.

هذه بعض الصور من تشويه الوجه الإسلامي وتقبيحه لدي الغرب وفي مجال السينما حدث عن ذلك ولا حرج، كل ذلك من استراتيجية غربية مدروسة بعناية وإتقان في وقت يغفل عنه المسلمون حتى في الدفاع عن أنفسهم مكتفين بسماحتهم وقولهم (حسبنا الله ونعم التوكيل) فلما امتدت أيدي الغرب في الدنمارك برسم صور مسيئة ومشينة لرسول الله (ﷺ) هبوا في مظاهرات احتجاجية صاخبة مرددين بسماحة واحترام شديدين قولتهم - إلا رسول الله - ! وهي صورة تدعوا إلى البكاء الحالم. فهي تعني.

نعم لقد تسامحنا في كل ما فعلتموه وتفعلونه بنا من صور السخرية والاستهزاء ولكننا لا نطيق أن يستهزئ برسول الله (ﷺ): إنها أيضا السماحة والرحمة والحب التي ملأت قلوب المسلمين تجاه الآخر والتي أضرت بهم على مر العصور ومع ذلك فسيظل المسلمون متسامحون مع الآخر لأن هذه هي دعوتهم إلى الله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (النحل: من الآية١٢٥).



بعض الخير الذي جاء به محمد ﷺ

جاء محمد ﷺ فدافع عن الله، والملائكة، والأنبياء مما نسب إليهم وأنصفهم ﷺ وهذا جانب مما نسب إلى الأنبياء في الأسفار، وبعض الخير الذي جاء به محمد ﷺ في هذا الجانب:

الأسفار تنسب إلى الأنبياء جملة من القبائح:

فالأسفار تنسب إلى الأنبياء جملة من القبائح ينفر منها البشر العاديين فما بالك بصفوه الخلق المختارين لأداء رسالته والتبليغ عنه.

(١) نوح (عليه السلام) في الأسفار:

نقرأ عن نوح (عليه السلام)، أنه شرب خمراً وتعرى داخل خبائه ورأى ابنه حام عورته، فأخبر أخاه سام (جد العرب واليهود) ويافث وسترا عورة أبيهم - فلما تيقظ الأب وعلم بالأمر دعا باللعنة على حام ونسله من الكنعانيين (الفلسطينيين) يكونوا عبيداً لسام مدى الدهر.

والغرض السياسي هنا واضح بالنسبة للآخر الذي كتب هذا الكلام، فهو يدعوا على أبناء حام وهم - الفلسطينيون - بأن يكونوا عبيداً للساميين - اليهود - وتحت حكمهم مدى الدهر - وأين كنـعان هذا؟ إنه لم يكن قد ولد بعد !! ونقرأ النص في سفر التكوين: - وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، وأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخيه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهم ومشياً إلى الوراء وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما - فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنـعان عبـداً لهـم - ليفتـح الله ليافـث فيسـكن في مسـاكن سام وليكن كنـعان عبداً

لهم[1]. فهل هذا الفعل من ولد صغير – أن يرى عوره أبيه الذي تعرى تستحق من الأب هذه اللعنة عليه وعلى أحفاده ونسله بأن يكون الكل عبيداً مستعبدين له ولأولاده مدى الدهر. ومن هو ذلك الأب إنه النبي نوح (عليه السلام)، وهل من شيم النبي أن يشرب الخمر حتى يتعرى ويسكر![2].

(٢) نوح (عليه السلام) في القرآن الكريم:

كان قوم نوح قد عكفوا على عبادة غير الله تعالى واتخذوا لهم أصناماً يعبدونها من دونه فيقول (عز وجل): ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ . (الأعراف: ٥٩).

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الأعراف ٦٠: ٦٣).

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (نوح: ٢– ٤).

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (هود: ٢٩– ٣١).

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ . (نوح: ١٠– ١٢).

---

(١) سفر التكوين إصحاح: (٩) فقرة (٢٠/ ٢٦).

(٢) د/ مصطفى محمود – التوراة – صـــ ١٢.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٦٤).

فقال لهم نوح (عليه السلام):

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ . (نوح: ١٥- ٢٠).

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود: ٤٧- ٤٨).

(٣) إبراهيم (عليه السلام) والأسفار:

وتصف الأسفار في سفر التكوين سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، تصف دخوله إلى مصر بامرأته سارة: (وحدث جوع في الأرض - فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً. وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لسارا ري امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك، قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفس من أجلك [١].

فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون . فصنع إلى إبرام خيراً بسببها وصارت له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبنيه ضربات عظيمة بسبب سار أي امرأة إبرام. فدعا فرعون إبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي. لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟..

(١) سفر التكوين (١٢/ ١٠-١٣).

لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي؟ لتكون زوجتي، والآن هو ذا امرأتك، خذها، واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له) [١].

تعليق:

فهل هذا هو إبراهيم (عليه السلام) إبراهيم الذي ألقي في النار ولم يخف الموت المحقق لأنه على يقين من الله (عز وجل) أنه معه؟! فهل هذا هو إبراهيم من أجل الخوف على حياته يدفع بزوجته إلى أحضان فرعون من أجل المال الذي يحبه الآخر ويدفعون بناتهم ونساءهم من أجله مصورين لهم أن كل شرف يهون من أجل المال - أيعقل أن يكذب إبراهيم خليل الله؟ أيعقل أن يحرض امرأته على الكذب، بل ويدفع بها إلى مهاوي الفسوق ومضاجع الزنا؟ إن يقولون إلا كذباً وعلى أنبيائهم لا أنبياء غيرهم - أيعقل أن يكون الأنبياء سفلة وكذابين؟ وكم كان عمر سارة حين دخلت إلى مصر، كانت فوق السبعين من عمرها!! [٢].

ولم يكتف الآخر بهذه القصة بل تتكرر مرة ثانية من أجل المال وجلب المنفعة - تتكرر مع ملك جرار (ابيمالك ملك جرار) فما يتبادر للذهن أن تسجيلها على هذا الوجه الذي سجلت به قد كان عاملاً فيما عرف من اتساع حويصلة الآخر وحيلهم وعدم تورعهم عن مواقف مماثلة بسبيل وقاية أنفسهم وجر المغانم في وقت واحد! [٣].

وفى الإصحاح: العشرين من سفر التكوين خبر ارتحال إبراهيم إلى أرض الجنوب وإقامته بين قادش وشور ونزوله بجرار التي يقول الدبس أنها واقعة شرق خان يونس وأن مكانها يعرف اليوم باسم أم الجرار فالمنطقة التي ارتحل إليها والحالة هذه هي منطقة بئر السبع، وقد قصّ الإصحاح: قصة تشبه قصة سارة مع فرعون، حيث قال إبراهيم عنها أنها أخته فبعث ابيمالك ملك جرار فأخذها وباتت عنده، ويقول الإصحاح:

---

(١) سفر التكوين - إصحاح: (١٢) فقرات (١٤ - ١٩).

(٢) د/ مصطفى محمود - التوراة مرجع سابق.

(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم - الجزء الأول - محمد عزه دروزة اخترنا لك (١٩٨٣م) شركة مطابع الإعلانات الشرقية صـ ٥٣ - والقصة الثانية سفر التكوين إصحاح: (٢٠).

- إن ملك الله جاء إلى الملك بالليل فأنذره بالهلاك وأمره برد سارة إلى زوجها فيدعو له ويحيا لأنه نبي فبكر أبيمالك ودعا إبراهيم وعاتبه فقال له إني خفت أن أقتل بسبب امرأتي فردها إليه وأعطاها غنماً وبقراً وعبيداً وإماء وقال له هذه بلادي بين يديك فأقم حيث طاب لك وأعطى سارة ألف من الفضة تكون لها حجاب عين حيثما ذهبت قائلاً لها. اذكري أنك أخذت. وهكذا على رأي الإصحاح: قد عاد على إبراهيم بسبب امرأته أموال عظيمة للمرة الثانية. ومن غرائب القصة ما تنطوي فيه من معنى احتفاظ سارة بجمالها الذي أغرى الملك ، مع أنها كانت قد بلغت التسعين من عمرها على ما ذكره إصحاح: سابق. [1] والذي صور إبراهيم (عليه السلام) في الشر الذي جاء به كما قلتم يا سعادة الحبر الأعظم.

إن صورة إبراهيم (عليه السلام) في القرآن صورة مشرقة، رائعة، صورة الحليم، الآواه:

يقول الله (عز وجل): ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ ﴾. (الأنبياء:٥١- ٥٦).

فقـال إبراهيم في نفسـه:

﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝ ﴾ (الأنبياء: ٥٧- ٦٠).

المحاكمة:

﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ۝ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم مرجع سابق صـــ ٥٢، ٥٣.

رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الأنبياء: ٦١ - ٦٥) حينئذ ظهرت حجة إبراهيم واضحة - ورأى الفرصة سانحة لإلزامهم الحجة قال: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٦٦ - ٦٧). فلما أعيتهم الحيلة فيه ووجدت موعظته منهم قلوبا غلفا وأذان صماء عمدوا إلى ما يلجأ إليه القوي الجبار الذي لا حق معه بإزاء المحق الضعيف. ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأنبياء: ٦٨ - ٧٢).

محاجة إبراهيم للملك:

ويدور هذا الحوار بين إبراهيم وبين النمرود حاكم ما بين النهرين (العراق) فأحب الملك أن يُرجع إبراهيم عن ملته الجديدة المخالفة لملة قومه وأن يعبد آلهته. وقد قص الله ذلك في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ . (البقرة: ٢٥٨).

و يبين لهم إبراهيم قدرة الله (ﷻ)، فيقول:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ . (الشعراء: ٧٨ - ٨٩).

إن قصة إبراهيم (عليه السلام) تدل على أنه كان حليماً، رقيق القلب، عطوفاً، رءوفاً، باراً

بوالده مع قسوته عليه وأنه كلما باعد والده بينه وبينه تلطف هو في المقاربة وترفق في دعوته وهدايته وتحذيره ولكن ذلك كله لم يفد، لغلبة الشقاوة عليه.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ . (مريم: ٤٢ – ٤٨). ولم يؤمن لإبراهيم (عليه السلام) من قومه سوى زوجته سارة ولوط ابن أخيه هاران بن تارح.

من أوركلدان إلى حاران:

تبرأ إبراهيم من أبيه ولم يطب له المقام بين أهله وقومه (بفدان آرام بالعراق) كما في الأسفار. فذهب إلى أور الكلدانيين (مدينة كانت قرب الشاطئ الغربي للفرات بالعراق) ثم إلى (حاران). وكان إبراهيم قد ظفر من أبيه بعهد وهو أنه سيؤمن به، فاستغفر الله له، ولكنه علم بعد ذلك أنه مقيم على دين قومه فتبرأ منه، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ . (التوبة: ١١٤) .

من أوركلدان وحاران إلى فلسطين:

رحل إبراهيم بعد ذلك إلى فلسطين غريباً ومعه زوجة سارة وابن أخيه لوط ومع لوط زوجة كما قال تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾. (العنكبوت: ٢٦) وسكن إبراهيم ولوط في تلك الأنحاء وكانت أرض الكنعانيين وأقام في شكيم (نابلس) ولكنه لم يطل به المقام بل كان يتنقل نحو الجنوب كما تدل على ذلك رحلته إلى مصر.

إبراهيم (عليه السلام) لم يكن كذاباً:

إن إبراهيم (عليه السلام) نبي كريم ومن أخص الصفات الواجبة للأنبياء الصدق والله تعالى يقول: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ (مريم:٤١). فالله (عز وجل) لم يكتف في هذه الآية بإسناد الصدق إليه بل عبر عن ذلك بصيغة المبالغة والصديق من خُلقه الصدق وجرى ذلك منه يجرى مجري الأمور الطبيعية التي لا تتغير. فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (النحل: ١٠٥).

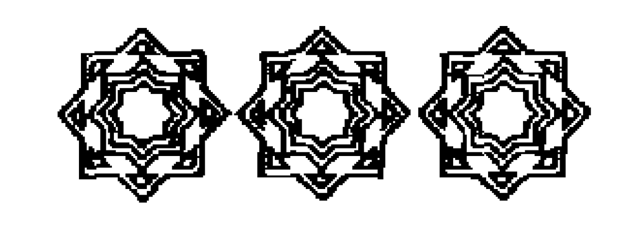
و يقول الله تعالى في حق إبراهيم (عليه السلام): ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ ﴾. (النحل:١٢٠، ١٢١).

وما كان الله ليجتبي كذابا ولا من الهداية إلى الصراط المستقيم أن يكون المهدي كذابا ويقول الله لمحمد (صلى الله عليه وسلم): ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (النحل: ١٢٣) وما كان الله ليأمر خاتم أنبيائه باتباع ملة رجل كذاب.كما أمر الله (عز وجل) رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) بأن يعلن بأنه على ملة إبراهيم بقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ (الأنعام:١٦١) وقال تعالى في حق إبراهيم (عليه السلام): ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ . (الأنبياء:٥١) وليس من رشد الرجل في شيء أن يكون كذاباً ،يعد أن ذكر الله تعالى إبراهيم وما حاج به قومه وذكر معه سبعة عشر نبيا، قال لرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم): ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ (الأنعام :٩٠) فهل كان الله تعالى يأمره بالاقتداء برجل كذاب؟.

قال تعالى في إبراهيم: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (النحل: ١٢٢) قال البيضاوي في تفسير هذه الآية بأن الله حببه إلى الناس حتى أن أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه. وقال تعالى عن دعاءه: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٨٣ – ٨٤)

قال البيضاوى في تفسير هذه الآية - أي وفقتني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذي لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيرة.

- قال تعالى في إبراهيم (عليه السلام): ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الصافات: ٧٨) أي أبقينا له دعاء الناس في الزمن الباقي وتسليمهم عليه أمة بعد أمة وسلامهم الحسن وثناءهم عليه - فأي ثناء حسن يبقى لرجل ينبز (يوصف) بأنه كذاب قارف الكذب ثلاث مرات كما يقول عنه الآخر وقد قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الصافات: ٨٠) إشارة إلى إبقاء ذكره الجميل بين الأمم .



لوط (عليه السلام) والآخر

ونأتي إلى نبي الله لوط (عليه السلام) في التوراة - لنجد ابنتاه تسقيانه الخمر حتى يفقد وعيه وتنام كل واحدة معه لتنجب منه ففي سفر التكوين نجد:

- وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه - وقالت البكر للصغيرة - أبونا شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا، كعادة كل الأرض - هلم نسقي أبانا خمراً ونضجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً فسقيا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر وأضجعت مع أبيها - ولم يعلم بإضجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد أضجعت البارحة مع أبي نسقيه خمراً الليلة أيضاً . فادخلي اضجعي معه - فنحيي من أبينا نسلاً. فسقيا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضجعت معه ولم يعلم بإضجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابنا ودعيت اسمه مؤاب. وهو أبو المؤابيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه عمي. وهو أبو بني عمون إلى اليوم [1].

تعليق:

على أية حال فإن المغزى مضحك فموآب هو جد قبائل الموآبيين وكذلك عمي جد عمي العمونيين وهما أساس قبائل شرق الأردن فهم يقصدون إلى أصلهم هذا، ويبدوا أنهم كانوا يشوهون تاريخ وأصل كل من يعيش حولهم - فحاشا لله أن يكون النبي وأولاده بهذه الصورة القبيحة - وإذا كان نبي الله لوط لم يشعر بما حدث ألم يشعر بأنه كان يتعاطى خمراً. ثم ألم تقل الأسفار - لا يدخل عموني ولا مؤابي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب [2].

(١) سفر التكوين إصحاح: ١٩ فقرات ٢٠ / ٢٨.

(٢) سفر التثنية ٢٣ / ٣.

- إنها الأقلام التي كانت تكتب الأسفار من الآخر الذين ضرب عليهم السبي في بابل ممن كانوا يرون نساءهم سبايا وأولادهم عبيداً وبناتهم يقدمن عرايا لمتعة قصور فارس، فراحوا يلطخون كل شيء ويلقون القذر الذي كانوا يعيشون فيه على وجه التاريخ كله وقد يسأل سائل: كيف يلطخ الآخر أنبياءهم؟ ونحن نقول: - بل فعلوا ما هو أكثر - قتلوا أنبياءهم وهذا أرميا يصرخ في سفر أرميا الإصحاح: الثاني من الأسفار في وجه أبناء جنسه.

« أكل سيفكم أنبياءكم كأسد مهلك » [1].

ثم أليس لوطاً (عليه السلام) الذي قالوا فيه هو وأهل بيته:

﴿ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة النمل: ٥٦).

ثم أليس لوط (عليه السلام) الذي دعا ربه قائلاً: -.

﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (الشعراء:١٦٩) فاستجاب له الله (عز وجل) في الآية قائلاً:

﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (الشعراء: ١٧٠ - ١٧٥).

ويرى الآخر أن ممارستهم للدعارة والفسق والفجور ليست جديدة عليهم وأن غريزة الفسق والفجور أصيلة عندهم راسخة في عروقهم وأصولهم لا يرون في تطبيقها أي حرج أو ملامة بعد أن غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهيناً[2]. فهم الذين مزقوا ملابس الشباب تحت شعارات مختلفة: الوجودية. والإباحية. والحرية العارية. والعراء. وهم الذين يصدرون كل الصحف والمجلات العارية، وهم الذين

(١) سفر أرميا - الإصحاح: الثاني ٣٠.

(٢) النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية د/ فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي - مكتبة زهران صـــ ١٢٠.

يسيطرون على تجارة الدعارة. ويملكون ويديرون الكباريهات. وهم الذين يسيطرون على تجارة النساء في أمريكا وأوروبا [(١)].

وهذه هي صورة لوط (ﷺ) في القرآن:

أرسل لوط (ﷺ) إلى أهل سدوم في دائرة الأردن وكانوا أهل سوء.

يقول الله (ﷻ): ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (الشعراء: ١٦٠-١٧٥).

﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (النمل: ٥٦).

إن القرآن الكريم كان أسبق فضحاً للآخر عندما وصفهم في تشجيع بعضهم بعضاً على عمل المنكرات والمعاصي. [(٢)] فيقول الله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (المائدة: ٧٩) إن صورة نبي الله لوط (ﷺ) في القرآن الكريم هي صورة النبي الطاهر الشريف الذي يدعو قومه إلى نبذ الأفعال المنكرة والمشينة، فلابد وأن يكون قد أصطدم صداما عنيفا مع قومه، ومن ثم فقد ألصقوا به كثيرا من التهم التي حاربها في سلوكهم المشين. كان أهل سدوم ذوى أخلاق رديئة لا يتناهون عن منكر ولا يتعففون عن معصية يأتونها على رءوس الأشهاد، كما قال تعالى على لسان لوط وهو يعظهم وينهاهم.

---

(١) أنيس منصور - الحائط والدموع - دار الشروق صـ ١٥٢.

(٢) د/ عبد العظيم المطعني - المسيحيون والمسلمون في تلمود اليهود صـ٧٢، ٧٣.

﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ (العنكبوت: ٢٩) ففي كتب الأدب العبري وصفاً لهم وهو أنهم كانوا يتربصون لكل داخل مدينتهم من التجار ويهجمون عليه من كل صوب واتجاه، ويمدون أيديهم إلى بضاعته فيأخذ كل واحد منها شيئاً قليلاً حتى لا يبقى في يده شيء فإذا جلس التاجر حزيناً وجأر بالشكوى يأتي الواحد منهم ويقول: كل هذا لأني أخذت هذا الشيء اليسير؟ خذه، فيقول ما عسى أن ينفعني ما جئت به بعد أن ذهبت بضاعتي، أذهب عنى بهذا الذي جئت به، فإذا انصرف جاءه آخر بشيء تافه يريد رده عليه، فيتركه الرجل لزهاده - تفاهه - ما أتى به وينصرف وهكذا يخسر الرجل بضاعته بتفرقها في الأيدي الكثيرة.

فهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (العنكبوت: ٢٩).

وهاك قصة أخرى عن ظلم أهل سدوم وظلم قاضي سدوم:

- و من دلائل ظلمهم واستغراقهم أن سارة زوج إبراهيم (عليه السلام) أرسلت كبير عبيد إبراهيم (عليه السلام) (لعازر) ليأتيها بسلامة لوط (عليه السلام). فلما دخل - لعازر - مدينة سدوم، لقيه رجل من أهل سدوم فضرب لعازر بحجر في رأسه فأسال منه دماً كثيراً، ثم تعلق به قائلا: إن هذا الدم لو بقى لأخذ - سبب لك متاعباً - فأعطى أجرى، ثم آل الأمر بينهما إلى الترافع إلى قاضى سدوم فلما سمع للخصمين حكم على (لعازر) بأن يعطى للسدومى أجرها ضربة به بالحجر وأسال دمه.فلما رأى (العازر) الجور والظلم من القاضي والخصم في أمره عمد إلى حجر وضرب به رأس القاضي فأسال دمه وقال له: الأجر الذي وجب لي عليك بإسالة دمك، عليك أن تعطيه لضاربى السدومي جزاء ضربه إياي وإسالة دمى [1].

و يقول المعرى:

وأي امرئ في الناس ألقى قاضياً ولم يمض أحكاماً لحكم سدوم

إن هذه الحكايات تفيدنا معرفة الفكر العام في أحوال أهل سدوم.

---

(١) عبد الوهاب النجار - قصص الأنبياء - صـ ١٤٦.

(٤) إسحاق ويعقوب عليهما السلام والآخر:

أما النبي إسحاق وولده يعقوب وعيسو عليهم السلام، فتروي لنا الأسفار حكايات عجيبة، مخادعة يعقوب لأبيه العجوز الضرير وكيف أن يعقوب لبس فروة ليوهم أباه إسحاق أنه عيسو – وكان عيسو كثيف شعر اليدين والرجلين وكان مفضلاً عند أبيه – .

وتحسس الأب (إسحاق) الضرير ولده، ورآه مغطي بالشعر ففرح به وظن أنه عيسو وأعطاه البركة والعهد. وبذلك أصبح نبياً. وجاء الابن الثاني ليأخذ البركة وفطن الأب للخدعة ولكنه بعد فوات الأوان. فقد ذهبت البركة إلى يعقوب الكذاب المخادع وأصبح نبياً بالخديعة والكذب.

وحرم يعقوب أخاه البار الطيب عيسو، ولا نفهم من المخدوع هنا؟ هل هو إسحاق أو هو رب إسحاق؟ وإن استطاع الابن أن يخدع أباه الضرير فكيف يخدع الله السميع البصير في السماوات وهو المانح الحقيقي للبركة وهو الذي يختار الأنبياء – وكيف تنفذ بركة الله من أول لمسة. فيسلبها نبي محتال ولا يُبقي منها شيئا لأخيه؟!!. [1].

إذ تقول الأسفار.

– وحدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا ابني: فقال له. هأنذا فقال: إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي فالآن خذ عدتك. جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لي صيداً. واصنع لي أطعمة كما أحب وأتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت. وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتي به. وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً: ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي. فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به. اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين. جديين من المعزي. فاصنعهما

---

(١) التوراة– د/ مصطفى محمود صـــ ١٣.

أطعمة لأبيك كما يحب. فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقة أمه هو ذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس. ربما يجسنى أبي فأكون في عينه كمتهاون وأجلب على نفسي لعنة لا بركة • فقالت له أمه لعنتك على يا ابني. اسمع لقولي فقط واذهب خذ لي.

فذهب وأخذ وأحضر لأمه، فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر. وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جدي المعزي. وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها.

فدخل إلى أبيه وقال يا أبي. فقال هأنذا. من أنت يا ابني. فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك. فقال إسحاق لأبنه ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني. فقال إن الرب إلهك قد يسر لي. فقال إسحاق ليعقوب تقدم لأجسك يا ابني. أأنت هو ابني عيسو أم لا.

فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشُعرتين كيدي عيسو أخيه، فباركه. وقال هل أنت هو ابني عيسو، فقال أنا هو. فقال قدم لي لأكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي. فقدم له فأكل. وأحضر له خمراً فشرب. فقال له إسحاق أبوه تقدم وقبلني يا ابني فتقدم وقبله. فشم رائحة ثيابه وباركه. وقال انظر. رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب. فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمره ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل. كن سيداً لإخوتك وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين. ومباركوك مباركين.[١].

ثم تروي لنا الأسفار كيف جاء عيسو الحقيقي ليقدم لأبيه صيده ويأخذ البركة، وكيف خرج وبكى حينما عرف الحقيقة وقال لأبيه:

- وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب، ويعقوب قد خرج من لدن

---

(١) سفر التكوين إصحاح: ٢٧ فقرات ١ / ٢٩.

إسحاق أبيه عيسو أخاه أتي من صيده. فصنع هو أيضا أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك. فقال له إسحاق أبوه من أنت. فقال أنا ابنك بكرك عيسو • فارتعد إسحاق ارتعاداً عظيماً جداً وقال: فمن هو الذي اصطاد صيداً وآتي به إلي فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته؟. نعم ويكون مباركاً. فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومُرة جداً. وقال لأبيه باركني أنا أيضاً يا أبي. فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك. فقال ألا إن اسمه دعى يعقوب. فقد تعقبني الآن مرتين. أخذ بكوريتي وهو ذا الآن قد أخذ بركتي. ثم قال أما أبقيت لي بركة؟ فأجاب إسحاق وقال لعيسو إني قد جعلته سيداً لك، ودفعت إليه جميع أخوته عبيداً وعضدته بحنطة وخمر. فماذا أصنع إليك يا ابني. فقال عيسو لأبيه ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟.

باركني أنا أيضاً يا أبي. ورفع عيسو صوته وبكي.

فأجاب إسحاق أبوه وقال له هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السماء من فوق وبسيفك تعيش. ولأخيك تستعبد. ولكن يكون حينما نجح أنك تكسر نيره عن عنقك [1].

ويستمر النبي يعقوب في الغش والسرقة، فيسافر إلى حاران ويعمل عند خاله - لابان - أربع عشرة سنة ويتزوج ابنتيه (ليه)و(رحيل) - ثم يجيء اليوم الذي يطلب فيه أجرته فيقول له لابان عين أجرتك لأعطيك. فيقول يعقوب يكفيني أن آخذ من الغنم ما كان مخططا ومرقطاً ثم يلجأ إلى خدعة فيذهب إلى مساقي الماء حيث تجيء الغنم لتشرب، ويضع أمام عيونها قضبانا مرقطة ومخططة لتتوحم عليها فيجيء نسلها مخططاً، مرقطاً ويختار الأغنام القوية ليكون نصيبه كله من الأغنام القوية.

وتقول الأسفار:

- حدث كلما توحمت الغنم القوية أن يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم في

---

(١) سفر التكوين إصحاح: ٢٧ فقرات من ٣٠-٤٠.

الأجران. لتتوحم بين القضبان. وحين استضعفت الغنم لم يضعها، فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب فاتسع الرجل كثيراً جداً. وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير.[(١)].

وحينما يشكو أبناء لابان مما فعل يعقوب بثروة أبيهم يقول يعقوب: -.

- فقد سلب الله مواشي أبيكما وأعطاني - .[(٢)].

فهي إذن جريمة سرقة في سرقة وتواطؤ يشترك فيها الله مع يعقوب. هكذا يتصور كاتب الأسفار فأي إله هذا!؟ وأي نبي هذا؟! ويعقوب هو أبو الأنبياء الذي انحدرت من صلبه الأسباط الاثنا عشر.

١ - رآوبين	٢ - سمعون	٣ - لأوي
٤ - يهوذا	٥ - دانا	٦ - نفتالى
٧ - جادا	٨ - أشير	٩ - يساكر
١٠ - زبولون	١١ - يوسف	١٢ - بنيامين.

وهم الأبناء الذين جاءوا إلى مصر في قصة سيدنا (عليه السلام) ومن سبط - لأوي - جاء موسى (عليه السلام)ومن سبط يهوذا جاء كل اليهود ولذلك سموا (باليهود) نسبه إلى يهوذا - هذا حسب بعض الآراء - .[(٣)] والأسفار مليئة بصفات لا تليق بالأنبياء ولا بأصحاب الفضيلة من الناس فما بالنا بالأنبياء رضوان الله عليهم فمثلاً: وأما لابان فكان قد مضي ليجز غنمه فسرقت راحيل أصنام أبيها. وخدع يعقوب قلب لابان الأرامى إذ لم يخبره بأنه هارب. فهرب هو وكل ما كان له وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جلعاد[(٤)].

وهكذا الأنبياء في نظر الآخر لصوص هم وزوجاتهم، ومخادعون، ومكارون وهذا

---

(١) سفر التكوين إصحاح: ٣٠ فقرات ٤١-٤٣.

(٢) سفر التكوين إصحاح: ٣١ فقرة ٩.

(٣) د/ مصطفى محمود - التوراة صـ ١٥ - ١٦.

(٤) سفر التكوين ٣١ فقرات ١٩ / ٢١.

لا يليق بأنبياء الله، وهكذا يتعلم الآخر ويعلمون أبناءهم كل هذه الصفات القبيحة ويحولونها إلى فضائل يحق لهم أن يحبوا صوبها، فهي أفعال الأنبياء ويعقوب (ﷺ) من الأنبياء العظماء وهو النبي الذي تصوره لنا التوراة مخادعاً، غشاشا يسرق البركة والنبوة والأغنام والمواشي وهى أشياء لم تحدث طبعاً . وليس من المعقول ألا يجد الخالق بين ملايين الملايين ممن خلق منذ أدم (ﷺ) بضعة عشر من الرجال الأطهار ليختارهم للنبوة - لا يسرقون ولا يزنون ولا يغشون.وليس أمراً خارقاً أن يوجد رجال أمناء على الأرض ونحن نجد الآن بين ظهرانينا الأمين والشريف والتقي فما بال الخالق الذي يختار من مخلوقاته بعرض التاريخ كله بطول الزمان [(١)].

صورة إسحاق، ويعقوب عليهما السـلام في القرآن الكريم وعند محمد (ﷺ) وأتباعه:

ولد إسحاق (ﷺ) ولأبيه إبراهيم (ﷺ) مائة سنة، بعد أخيه إسماعيل بأربع عشرة سنة، وكان عمر أمه سارة حين بشرت به تسعين سنة. قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِياً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ (الصافات: ١١٢، ١١٣).

وقد ذكره الله تعالى بالثناء عليه في غير ما آية من كتابه العزيز: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنَا نَبِياً ﴿٤٩﴾ ﴾ (مريم: ٤٩).

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأنعام: ٨٤) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ٧٢- ٧٣) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (العنكبوت ٢٧).

---

(١) د/ مصطفى محمود - التوراة صـ ١٦.

ويقص القرآن الكريم في سورة يوسف (عليه السلام) ما كان من أمر يعقوب (عليه السلام) والأسباط ليتدبر أولى الألباب ما فيها من الحكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم واصفاً إياها بأحسن القصص فيقول الله (عز وجل): ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣ ﴾ (يوسف:٣-١) ويشهد القرآن الكريم على أنهم كانوا من المسلمين بقوله (عز وجل): ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٣ ﴾ (البقرة ١٣٣) وقد ذكر أهل الكتاب: أنه وصى بنيه واحداً واحداً، وأخبرهم بما يكون من أمرهم، وبشر يهوذا بخروج نبي عظيم من نسله تطيعه الشعوب وهو عيسى ابن مريم، والله أعلم.[1] والذي يؤمن بمحمد وأتباعه وبكتابه الصحيح كغيره من الأنبياء عليهم جميعاً السلام ولا يكتمل أيمانهم إلا بالإيمان بهم جميعاً. يقول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥ ﴾ (البقرة:٢٨٥).

(٥) موسى (عليه السلام) والآخر:

ولم يسلم نبيهم موسى (عليه السلام) من أذاهم وكيدهم فأشاعوا عنه أنه – آدر – أي منتفخ الخصية فبرأه الله مما قالوا – وكان عند الله وجيهاً –[2].

وتقول الأسفار إنه خان ربه ولم يقدسه. ولهذا يحرمه الرب من دخول الأرض الموعودة ويموت في سيناء هو وهارون ويقول الرب لهم لأنكما ختنماني ولم تقدساني، لن تدخلا الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً ويدخلها عبدي يشوع بن نون[3]. ويقول

---

(١) الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير – قصص الأنبياء.

(٢) سورة الأحزاب ٦٩.

(٣) مصطفى محمود – التوراة صـ ٤٣.

سفر العدد: « فقال الرب لموسي وهارون من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتم إياها » [١].

ولا ينجو موسى ولا رب موسى من التلطيخ . فها هو موسى يتوسل إلى الرب حينما رآه غضبان لعودة قومه إلى عبادة الأصنام. لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟. لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟. ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه [٢].

(٦) هارون (عليه السلام) والآخر:

وجعلت الأسفار هارون يصنع صنما لبني إسرائيل ليعبدوه عندما تأخر موسى فى لقاء ربه. ولما رأي الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: « قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه » .

فقال لهم هارون: « انزعوا أقراط الذهب التي في أذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها » فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل، وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا : « هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر » . فلما نظر هارون بني مذبحاً أمامه، ونادى هارون: « وقال غداً عيد للرب » [٣].

هكذا فعلت أقلام بنى الآخر بأسفارهم. فهم ملعونون على لسان أنبيائهم بأفعالهم يقول القرآن الكريم: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (المائدة: ٧٨، ٧٩).

---

(١) سفر العدد ٢٠/ ١٢.

(٢) سفر الخروج ٣٢/ ١١ - ١٤.

(٣) سفر الخروج - إصحاح: ٣٢ - ١ - ٥.

إن صورة موسى، (عليه السلام) ، وأخيه هارون، (عليه السلام)، في الثقافة الإسلامية - التي صاغاها وصبغها القرآن الكريم - هي صورة: حبيب الله. الذي صنعه الله على عينه. وقربه. واستخلصه لنفسه. وجعله كليمه. ونجيه. واستجاب دعائه. وسلم عليه. وجعله القوي الأمين. وأتاه الكتاب والفرقان. والسلطان. وصورة هذا الكتاب - التوراة - في القرآن الكريم هي صورة: الإمام . والرحمة. والهدى. والنور [1].

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ (طه:٣٩).

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ (مريم: ٥١ - ٥٢).

﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِي وَبِكَلَـٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (الأعراف:١٤٤) .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ (طه: ٢٥ - ٣٦).

﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (الصافات: ١٢٠ - ١٢٢).

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (القصص:٢٦).

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾ (النساء:١٥٣).

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (البقرة:٥٣).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأنبياء:٤٨) .

---

(١) د/ محمد عمارة - الإسلام والآخر من يعترف بمن؟. ومن ينكر من - مكتبة الشروق - ٢٠٠١م - صـ ٢٥.

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (الأحقاف:١٢).

﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ (الأنعام:٩١).

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ ﴾ (آل عمران:٢ ، ٣).

تلك هي الصورة القرآنية، التي صنعت وصبغت الثقافة الإسلامية تجاه أنبياء الآخر وشريعتها وكتابها. فهل يستطيع حتى أكثر حاخامات الكاثوليكية تعصبا، أو أشد علمانييها تحررا أن يجد شيئا من ذلك، أو شبيها بشيء من ذلك في تصوراتهم وثقافتهم عن الآخر، وخاصة إذا كان هذا الآخر هو الإسلام والقرآن ورسول المسلمين وأمة الإسلام وحضارتهم وتاريخهم؟![1].

وهذا هو هارون (عليه السلام) في القرآن الكريم.

و يتوجه موسى (عليه السلام) إلى الله داعياً أن يجعل له من أهله وزيراً، ويختار هارون أخيه (عليه السلام) ويقول الله (عز وجل) في القرآن الكريم عن هؤلاء الأنبياء الأطهار، المباركين، المسبحين لله (عز وجل):

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝ هَٰرُونَ أَخِى ۝ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝ ﴾ (طه: ٢٩ - ٣٥).

ويخلف موسى - (عليه السلام) - أخيه هارون فيهم عندما يذهب للقاء ربه:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ ﴾ (الأعراف: ١٤٢).

ويصنع لهم السامري عجلا له خوار ويقول لهم هذا هو إلهكم، ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ

---

(١) د/ محمد عمارة - الإسلام والآخر - مرجع سابق - صـ ٢٦ - ٢٧.

سَبِيلاً ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ (الأعراف:١٤٨) ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ (طـه:٨٨).

ويتصدى لهم هارون يدعوهم لطاعة الله (عز وجل):

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ (طـه: ٩٠، ٩١).

ويعود موسى (عليه السلام) من لقاء ربه، بعد أن أخبره الله (عز وجل) أن قومه قد فتنوا وأضلهم السامري ويعاتب أخيه هارون:

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ (طـه:٨٥).

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ﴾ (طـه:٩٢، ٩٣).

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ (الأعراف:١٥٠).

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (المائدة:٢٥).

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأعراف:١٥١).

(٧) داود (عليه السلام) والآخر:

وهذا داود (عليه السلام) يصورونه زئر نساء، لا يتورع أن يزج بقائده - أوريا الحثى - فى حملة حربية إلى بلد بعيد ليخلو له الجو مع زوجة القائد الجميلة - إنها صورة شائهة وكريهة يصورون بها أنبياء الله الذين عصمهم الله من الوقوع فى مواقع الإثم والعصيان

ولا ندري كيف صيغ لهم أن يصوروا أنبياءهم على هذه الصور البغيضة؟ إنه جزء من الكيد الذي أوقعوه بهم وألصقوه بهم من أكاذيب. فلا عجب - فهم قتلة الأنبياء وهؤلاء الذين سلموا من قتلهم، فأقل القليل أن يفتروا عليهم هذه الافتراءات. يقول السفر: - وكان في وقت المساء أن داود قام عن سرير ملكه وتمشي على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم.وكانت المرأة جميلة المنظر جداً.فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد:

- أليست هذه بتشيع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه، فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها. ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلي. فأرسل داود إلى يوآب يقول: «أرسل إلى أوريا الحثى». فأرسل يوآب آوريا إلى داود. فأتي أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. وقال داود لأوريا: «انزل إلى بيتك وأغسل رجليك». فخرج أوريا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصة من عند الملك.

ونام آوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين: لم ينزل آوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا:أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟. فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام، وسيدي يواب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتى إلى بيتي لأكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي. وحياتك وحياة نفسك، لا أفعل هذا الأمر. «فقال داود لأوريا» أقم هنا اليوم أيضاً، وغداً أطلقك. فأقام أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وغده. ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره، وخرج عند المساء ليضطجع فى مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل. وفى الصباح كتب داود مكتوباً إلى يواب وأرسله بيد آوريا. وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا آوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. وكان في محاصرة يواب المدينة أنه جعل آوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يواب، فسقط بعض الشعب من عبيد داود، ومات اوريا الحثى أيضاً. فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب [1].

---

(١) سفر صموئيل الثاني - الإصحاح الحادي عشر ٣ / ١٨.

فلما سمعت امرأة آوريا أنه قد مات آوريا رجلها، ندبت بعلها.ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأة وولدت له ابنا [١].

ويضجع داود (عليه السلام) بامرأة أوريا الحثى، فتحبل وتلد له نبي الله سليمان، هكذا سطرت أقلامهم بأنبيائهم. داود (عليه السلام)!!! يزنى ويتآمر بالغدر ثم يقتل واحدا من خلصائه ومحبيه وأبطاله، من أجل ماذا؟من أجل شهوة عارضة وعنده الكثير من الحلائل أيعقل هذا؟! ولصالح من هذه التربية فى التوراة؟ ثم يضجع ويأتي منها بنبي الله سليمان!! [٢].

ولم ينتهوا عند داود بل ذهبوا إلى ابنته وابنه فهذا هو أمنون ابن داود يحب أخته العذراء ثامار ويتحايل لينالها فيدعي المرض ويرقد فى الفراش وتأتي ثامار لتطعمه وتمرضه فيغتصبها .

- فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به آمنون أخاها إلى المخدع. وقدمت له ليأكل، فأمسكها وقال لها تعالى اضطجعي معي يا أختي! فقالت له لا يا أخي لا تزلني لأنه لا يفعل هكذا في إسرائيل، لا تعمل هذه القباحة.أما أنا فأين أذهب بعاري، وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء فى إسرائيل.فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضجع معها ثم أبغضها آمنون بغضة شديدة جداً حتى أن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها وقال لها آمنون قومي انطلقي [٣].

ونقول هل هذه هي الأخلاق في بيت داود (عليه السلام)!؟ هل هذا بيت نبي من الأنبياء؟ هل هذه نظرتهم المقدسة لأنبيائهم؟! وإذا كانت هذه أخلاق الأنبياء فما هي أخلاق عامة الشعب؟!!.

(٨) داود (عليه السلام) في القرآن الكريم:

إن صورة داود عليه السلام في القرآن الكريم هي صورة النبي الذي وهبه الله الملك والحكمة

(١) سفر صموئيل الثاني - الإصحاح الحادي عشر ٢٦ - ٢٧.

(٢) د/ مصطفى محمود - التوراة صـــ٤٧.

(٣) صموئيل الثاني - الإصحاح الثالث عشر ١١ - ١٥.

وعلمه مما يشاء وسخر له الجبال يسبحن معه والطير وجعله الله (ﷻ) خليفة في الأرض يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى وإن له عند الله (ﷻ) الجنة وحسن المآب، ويقول الله (ﷻ) في القرآن الكريم :

﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ (البقرة: ٢٥١) .

﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأنبياء: ٧٩).

﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ (سبأ: ١٠).

﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾. (صّ ١٨ : ٢٠)

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ (صّ:٢٦) .

﴿ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ (صّ:٢٤) .

﴿ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ (صّ:٢٥) .

(٩) سليمان عليه السلام واليهود :

أما سليمان عليه السلام فقد صورته التوراة وقد تفوق على أبيه داود في شهواته :

(وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخري ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه .فذهب سليمان وراء عشتورت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه . حينئذ بني سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل

الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يُقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل . الذي تراءي له مرتين [١].

هكذا تقول التوراة عن سليمان عليه السلام . إن النساء أملن قلبه فكفر وعبد الأصنام .. لم يبقوا خطيئة لم يفتروها على أنبيائهم حتى الكفر .. وماذا بعد الكفر ؟!! وكيف يسمي نبياً من كفر بالله وعبد الأصنام ؟!!

(١٠) سليمان عليه السلام في القرآن :-

إن صورة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم هي صورة النبي الكريم ، الطائع ، الحامد ، الشاكر ، لأنعم الله عليه وعلى والديه ، الذي وهبه الله ملكاً عظيماً لم يعط لأحد من بعده .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (صّ: ٣٠).

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (ص: ٣٥ ، ٣٦).

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ (النمل:١٦).

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (النمل:١٩) .

أما هدهد سليمان فلم يعرف الشرك الذي وصفوا به سليمان عليه السلام ونرى الهدهد يقول عن بلقيس وقومها مستنكراً شركهم :

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النمل: ٢٥ ، ٢٦) .

---

(١) سفر الملوك الأول - إصحاح: ١١ - فقرات ١/ ٩ .

وإن الجنة وحسن المآب هي موعده مع الله: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ ۝ ﴾ (صّ: ٣٩، ٤٠).

وبعد هذا هل هناك شك أن الأنبياء والرسل يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صورة ، ذلك أن الله اختارهم واصطفاهم لنفسه ، فلابدّ أن يختار أطهر البشر قلوباً ، وأذكاهم أخلاقاً ، وأجودهم قريحة ، يقول الله (ﷻ) :

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام:١٢٤).

ولقد بلغ الأنبياء في كمال الأخلاق مبلغاً عظيماً ، وقد استحقوا أن يثني عليهم رب العالمين ، فقد أثنى الله على خليله إبراهيم ﷺ فقال :

﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝ ﴾ (هود:٧٥) .

وقالت ابنة العبد الصالح تصف موسى ﷺ :

﴿ يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ۝ ﴾ (القصص: ٢٦).

وأثنى الله (ﷻ) على إسماعيل ﷺ بصدق الوعد :

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝ ﴾ (مريم:٥٤).

وأثنى الله (ﷻ) على خلق نبينا محمد ﷺ ثناءً عطراً ، فقال (ﷻ) :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ (القلم:٤).

وقوله (ﷻ) عن محمد ﷺ :

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝ ﴾ (التوبة:١٢٨) .

ونتساءل أيها البابا هل كان من الممكن أن ينقاد الناس عن رضا وطواعية لمثل هؤلاء الأنبياء الذين ذكروا في الأسفار مع كثرة نقائضهم ، وقلت فضائلهم ؟! « قل لنا بالله عليك » .

إن القبائح والمخازي والكبائر التي نسبت إلى أنبياء الله الأطهار، وحاشاهم مما

وصفوهم به ، ولكنها النفوس المريضة، تنسب إلى خيرة خلق الله من خلقه القبائح، ليسهل عليهم تبرير ذنوبهم ،ومعايبهم عندما ينكر عليهم منكر ، ويعترض معترض .

ولقد جاء محمد ﷺ بالخير الذي يبين للناس جميعاً أن :

الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام هم خير البشرية ، أصفاهم نفساً ، وأذكاهم عقلاً ، وأسرعهم إيماناً ، وأحسنهم طاعة واستقامة ، اصطفاهم ربهم سبحانه وهو سبحانه القائل :

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام: ١٢٤) .

وأمدهم بعلم لا يعلمه سواه ، يقول الله تعالى :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن:٢٦، ٢٧).

وأحاطهم بالأمان .. والحفظ .. يقول الله تعالى :

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ (الصافات:١٨١) .

وأفاء عليهم بالنعم الوافرة ، والهداية السابغة ، واختارهم لرسالته التي هم بفضل الله أحق بها وأهلها ، يقول الله تعالى :

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ (مريم:٥٨) .

ويقول الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ (الأنعام: ٨٩).

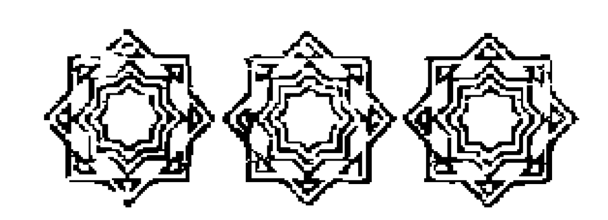
وجعلهم سبحانه وتعالى مصدر الهداية ، ومناط الأسوة والقدوة وجعلنا نقتدي بهم جميعاً. فهل من الممكن أن نهتدي بمن جاء بحقهم ما قالته الأسفار يا بابا الفاتيكان ، يقول الله (ﷻ) : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

وكلف الناس بطاعتهم والاستقامة على هديهم ، وتوجيهاتهم ، يقول الله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ (النساء:٦٤).

ونحن ندرك ونؤمن بأن : هذه الكوكبة العظيمة من الرسل عانت كثيراً من العنت والمشاق ، وواجهت عديداً من المعارضات والأعداء في حياتهم وبعد مماتهم ، وفي كل الظروف والحالات أدت ما كلفت به ولذلك كتب الله لرسله النصر دائماً في كل وقت وكل حين ، يقول الله (ﷻ) :

﴿ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (الصافات: ١٧١ - ١٧٣)



رسالة من سورة البقرة إلى: مستر بنديكتوس

الآيات التالية نهديها إلى بابا الفاتيكان (مستر بنديكتوس). يقول الله (ﷻ):

- ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١-٥).

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٦، ٧).

- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٨-١٦).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (سورة البقرة: ٢١-٢٤).

- ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (سورة البقرة: ٣٨، ٣٩).

- ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (سورة البقرة: ٤٢ - ٤٤)

- ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (البقرة:٤٨).

- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (البقرة:١٠٣) .

- ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (سورة البقرة: ١٣٠ - ١٣٢).

- ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (سورة البقرة:١٣٣).

- ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ (سورة البقرة:١٣٤).

- ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٣٥، ١٣٦).

- ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٣٧).

- ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٣٨-١٤٠).

- ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٤٦).

- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾(سورة البقرة: ١٤٦-١٤٨).

- ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٦٣).

ولن تنفعكم السياسة والسياسيين يوم العرض على الله (ﷻ):

- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٦٥).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا ﴿١٦٨﴾ يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ

أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٦٨-١٧٠).

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (سورة البقرة١٧٤ :١٧٥).

- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (البقرة:١٧٦).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ (سورة البقرة٢٠٤ :٢٠٧).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ (البقرة:٢٠٨).

- ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ (البقرة:٢١٢).

- ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ (البقرة:٢١٣).

- ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم

مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ (البقرة:٢٥٣).

وهذه هي الآية التي استشهد بها خطأ وما أسس على خطأ فهو خطأ.

- ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ (سورة البقرة:٢٥٦).

- ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (البقرة:٢٦٩).

- ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (البقرة: من الآية٢٧٢).

- ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (سورة البقرة:٢٨١).

- ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ (سورة البقرة:٢٨٤).

- ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (سورة البقرة:٢٨٥).

رسالة من سورة البقرة إلى المسلمين:

- ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٥ - ١٦).

- ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٧، ١٨).

- ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (سورة البقرة:٧٥).

- ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (سورة البقرة:٧٩).

- ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (سورة البقرة:٩٦).

- ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (سورة البقرة:١١٦).

- ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (سورة البقرة:١١٢).

- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ (سورة البقرة:١١٤).

- ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (سورة البقرة: من الآية١٩٤).

- ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (سورة البقرة: من الآية١٩٥).

- ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٦-١٥٧).

- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٥٣).

- ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (سورة البقرة:٤٥).

- ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ (سورة البقرة:٢٥٧).

- ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦١).

- ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (سورة البقرة:٢٦٩).

رسالة من سورة البقرة إلى رسول الله (ﷺ):

- ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (سورة البقرة:٩٩).

- ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (سورة البقرة:١١٩).

- ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٠١).

- ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ (البقرة: من الآية١٠٢).

- ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ ﴾ (البقرة: من الآية١٠٢).

- ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٠٥).

- ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٠٩).

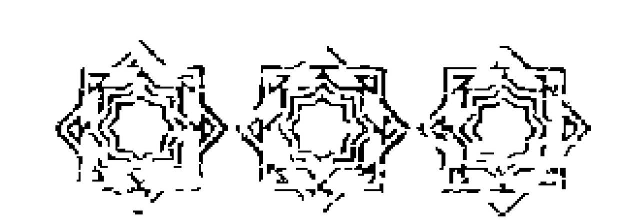
- ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٢٠).

- ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٤٥).

- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٠٣).

- ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٤٧).

- ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (البقرة: من الآية٢٧٢).



ما الحل ... إذن؟

نقول: – إن ما يحدث الآن في العالم من مواقف وما ينشر من أقوال وتحديات تجاه الإسلام والمسلمين، يقصد به إلهاء المسلمين، باستثارتهم واستثارة شبابهم المحتقن أصلا، والاستثارة قضية مدروسة بمكر ودهاء لزيادة إظهار المسلمين بمظهر التعصب والعنف، واختلاف نمط التعايش بين المسلمين والعالم الغربي، وما ذلك إلا للحد من انتشار الإسلام في العالم والخوف من أن يشكل المسلمون ثقلاً ديموغرافياً في المستقبل، له انعكاساته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ولذلك ندعو إلى الحكمة والهدوء، ولا نرى أن الاستثارة هي الحل الناجح، بل الحل أن ندعوا إلى الحوار المباشر واللقاء المباشر مع كل من يثير أزمة فكرية أو دينية هنا أو هناك فإن تهربوا من اللقاء ومن الحوار فإن هذا الامتناع هو بحد ذاته نصر للفكر الإسلامي [١].

ولنضع في حسابنا قول الله (ﷻ): ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٠٩) .

فالمنهج القرآني يدعونا للعفو والصفح بعد جلاء الحقائق وكشف الأهداف.

- ❑ كذلك نرى ضرورة إنشاء قناة فضائية أو أكثر، تنطق بعدة لغات لشرح حقائق الإسلام، يتحدث فيها أبناء الدول الغربية المنصفون للإسلام وما أكثرهم، ليكون حديثهم بالمنطق الذي يفهمه الغربيون وليس بالأسلوب الخطابي الانفعالي الذي اعتاد المسلمون أن يتحدثوا به عن دينهم.
- ❑ كذلك نرى ضرورة إقامة حلقات دراسية في دول الغرب تضم مفكرين من الغرب والعالم الإسلامي لإيجاد جسور للفهم والتفاهم بين الإسلام والغرب.

---

(١) د/ سعيد رمضان البوطى – منار الإسلام – شوال ١٤٢٧هـ أكتوبر ٢٠٠٦م صـ٧.

- ونرى دعوة كبار المفكرين في الغرب إلى زيارة المؤسسات والجامعات الإسلامية والالتقاء بكبار شيوخ المسلمين وإقامة حوار بين الفريقين، تنشره القنوات الفضائية والإعلامية لتقديم الفكر الإسلامي للغرب.
- كذلك نرى تكوين مجموعات من المفكرين المسلمين للقيام بزيارات إلى مختلف المواقع المؤثرة في الفكر والإعلام الغربي لإجراء حوارات لتصحيح صورة الإسلام التي شوهتها الدعايات المضادة على مدى سنوات طوال، بل على مدى قرون، لعب فيها المستشرقون واليهود دوراً فعالا في تشويه وتقبيح الوجه الإسلامي وتجميل الوجه الآخر.
- كذلك نرى تتبع كتابات بعض المستشرقين والكتاب الغربيين والمفكرين الذين يكتبون ضد الإسلام، لدحض كتاباتهم، وتكوين مجموعة من المفكرين تتولى متابعة فكر كل واحد منهم وكتاباته ضد الإسلام، لمتابعة ما يقوله كل منهم والرد عليه ودحره وتفنيد كل شر كامن في نفسه ضد الإسلام والمسلمين.
- ونرى الرجوع إلى مؤلفات البابا بنديكتوس وغيره ومتابعة ما فيها من هجوم على الإسلام وفضحها وفضح محتوياتها.
- كما يجب أن نتصدى إلى فكرة الغرب لتصنيف البشر بين أخيار وأشرار أو بين متقدمين أو متأخرين أو بين منتجين ومستهلكين، وأن هذا التصنيف باطل وظالم في آن واحد. فلم يُخلق بعد الجنس البشرى الذي يزعم لنفسه أنه أفضل من الأجناس الأخرى أو أتى بـ لم يأت به الأوائل!.
- ضرورة توفير الإرادة وتكثيف الجهود لاستصدار قانون معاداة الإسلام على غرار قانون معاداة السامية، وإلا فإن عجلة الكراهية للإسلام لن تتوقف عن الدوران كل يوم بجديد ضد الإسلام، مادام وراء ذلك قوم يزكون نارها، ويدفعون بها إلى الدوران.
- يجب أن نلاحق أي شخص قضائياً بمحكمة العدل الدولية، مهما كان شخصه كائنا ما كان. رئيس دولة عظمى. أو سياسي متعجرف. أو رجل دين متطرف. أو صحيفة ما. أو دولة ما. إذا ما سب ديننا أو تهكم على شخوصنا المقدسة.

- ❑ يجب أن يكون لنا إعلام إسلامي أسوة بالإعلام الغربي الذي يتحكم في كل شاردة وفي كل واردة، هذا الإعلام الإسلامي يتحدث عن حقيقة الدين الإسلامي، وإبعاد تهمة الإرهاب عن ديننا الحنيف وأن يكون لهذا الإعلام صحفه، ومجلاته، ومحطاته الفضائية، تتحدث إلى الغرب بلغته وفكره كما ذكرنا سابقا . وحتى لا نصبح كمن يخاطب نفسه، بل يجب أن نتوجه بقضيتنا إلى كل من يهمه الأمر وهم كثر وفي أشد الحاجة للاستماع إلينا.
- ❑ يجب أن تتحرك جامعة الدول العربية وتدعوا مفكرين ومشرعين وكبار الكتاب من جميع أنحاء العالم إلى مؤتمر عالمي من حين لآخر لمناقشة مثل هذه القضايا ودحض المؤامرات الغربية والرد على كل الافتراءات.
- ❑ يجب أن تتحرك الحكومات العربية والإسلامية لوقف هذه الحملة المنظمة على الإسلام والمسلمين، بإرسال بعثات دبلوماسية ودينية في عواصم الغرب والاتصال بقادة ورؤساء الدول الكبرى، والتهديد بمقاطعة منتجات هذه الدول إذا لم تتوقف عن حملاتها المسعورة ضدنا.
- ❑ لابد أن تدرك الحكومات الغربية وشعوب أوروبا وأمريكا أن الدين منطقة محظورة، وأن أي مساس بالأديان وبالأنبياء قد يشعل مزيداً من نيران الغضب والتطرف والإرهاب أيضاً.. ويجب أن يدركوا جيداً أنهم هم الذين يبذرون بذور الإرهاب وليس نحن!!.
- ❑ يجب أن تشرح وسائل أعلامنا المحلية أبعاد مؤامرة اتهام الإسلام بالعنف والتطرف والإرهاب حتى تعرف شعوبنا وأولادنا حقيقة ما يريده الغرب منا ولكي تستيقظ الأمة من غفوتها وتعرف طريقها جيداً.
- ❑ يجب أن يدرك العالم جيداً ويبُصر بهذه الحقيقة وهى أن الإنسانية ستتهاوى حضارتها ومكتسباتها، إن لم تحفظ للشرائع السماوية وللقوانين الدولية هيبتها واحترامها، فليعمل الجميع لحماية هذه الحضارة ومكتسباتها، وليتضامن كل من الحكماء والقادة في العالم على مواثيق الشرف التي يعرفون، لتستمر الحيوية

الحضارية عطاء وأمنا وازدهاراً وهذا واجب يقع على عاتق المسلمون تصديقاً لقول الله (ﷻ): ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (آل عمران: من الآية٦٤).

واجب المسلمين في العالم شعوباً وحكومات من أجل إصلاح حال الأمة:

والمطلوب الآن من المسلمين في كل مكان وكل موقع من مواقع المسئولية، لتصحيح الأوضاع بيننا وبين أعدائنا، فهناك ثلاث علل أساسية يجب البدء بعلاجها فوراً ومنها:

أولاً: يجب تصحيح المفاهيم الانهزامية:

فهناك كثير من المفاهيم الانهزامية نجح أعدائنا في فرضها علينا وإلزامنا بها وكلها تصب في ترسيخ هيمنته علينا وانهزامنا له. هذه المفاهيم يجب أن تُصحح فوراً ومنها:

(١) الحرب العالمية ضد الإرهاب:

فالمسمى الحقيقي لتلك الحرب هو (الحرب اليهودية الصليبية ضد الإسلام) وكل من يخضع لإرهاب اليهود والصليبين وينضم إليهم في تلك الحرب هو في الحقيقة حليف للكفار والمشركين ضد الإسلام والمسلمين.

(٢) الشرعية الدولية:

فلا يوجد ما يسمى بالشرعية الدولية إلا في عقولنا نحن. وإنما هي البلطجة الدولية والتحالفات اليهودية الصليبية. والأمم المتحدة ما هي إلا - دار الندوة - التي كانت تنعقد بها مجالس الكفار والمشركين للكيد للإسلام والمسلمين. أو كما يطلق عليها الآن الأمم المتحدة وهى منظمة أمريكية تعمل لصالح وحساب أمريكا أو كما يطلق عليها البعض أيضاً الأمم المتخاذلة. أما مجلس الأمن فقد أصبح السيف الأمريكي المسلط على رقاب المسلمين. فكل قراراته التي تتعلق بهم تخرج ضدهم. وواجبة التطبيق الفوري وبالقوة المسلحة تحت غطاء البند السابع من ميثاقه. أما قراراته على غير

المسلمين فهي قرارات هينة لينة - تخرج رخية ندية عليهم وهى للتطبيق على التراخي. أو الرفض إن أرادوا.

(٣) تغيير الخطاب الديني:

نعم. يجب أن يتغير خطاب العلماء الديني إلى الأمة. ليس في اتجاه ذلك المفهوم الانهزامي الاستسلامي الداعي إلى تثبيط الهمم والمذلة والخضوع واقتصاره على مفاهيم التسامح والمسالمة ونبذ العنف ورفض الحروب ولو دفاعاً عن العقيدة والدين. وإنما يجب أن يتغير إلى الجانب المقابل فيصبح خطاباً كريماً. متوازناً. يرتكز على الشرع الصحيح. فيرفع يد المسالمة لمن يسالموننا ولا يعتدون على بلادنا ولا يقتلون إخواننا. وفي المقابل فإن ذلك الخطاب يجب أن يرفع راية الجهاد واستخدام كل أسباب القوة والدفع في وجه كل من يقف في الجانب الآخر.

(٤) حوار الأديان:

فالحوار الحقيقي يكون بين أطراف تحترم كل منها الأخرى وتعترف بدينها ومعتقدها. وتجتمع معها على ما يتفقون عليه. وتعذر كل منها الأخرى فيما اختلفوا فيه. فكيف يكون بيننا وبين الصليبيين حوار وقد كشف رئيسهم زيف ذلك الحوار وفضح حقيقة شعورهم وفكرهم تجاه ديننا ونبينا (ﷺ) وكيف يكون ذلك حواراً وأحد الطرفين يمتلئ قلبه بغضاً واحتقاراً بينما الطرف الآخر لا يحمل إلا الاحترام والتودد والمسالمة؟!!. إن ذلك لا يسمى حواراً وإنما يسمى لقاءات غطرسة وحوارات قهر وإذعان. إن ذلك الحوار ليس سوى جزء من ممارسة التنصير والدعوة إلى النصرانية. إنهم يحافظون على ذلك المسمى بالحوار لخداعنا والحصول من علماء المسلمين على تنازلات تمس عقيدتنا وديننا..

(٥) ثقافة السلام:

كذلك يجب أن تختفي نهائياً تلك المقولة الساذجة. (ثقافة السلام) فكيف نربي أبناءنا على حب أعدائنا وأعداء ديننا وطلب مودتهم وهم يقتلون إخواننا ويذبحون أطفالنا ويحتلون بلادنا؟!!

كيف نربي الطفل المسلم على أن يحب ويسالم. ويغنى ويرقص للطفل اليهودي بينما اليهود يرضعون أبناءهم كراهية الإسلام والمسلمين ويربونهم على بغض المسلمين ووجوب قتلهم واستعبادهم وسفك دمائهم. كيف نفعل ذلك وقد رأينا جميعاً بأعيننا تلك المهزلة المبكية والمفارقة المخزية بين أطفالنا وأطفالهم في الحرب الأخيرة ٢٠٠٦م بين إسرائيل وحزب الله.

فبينما أطفال المسلمين يغنون للسلام كان أطفال اليهود يذهبون إلى مطاراتهم الحربية ليروا بأعينهم الطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل الإسرائيلية التي ستقلع بعد دقائق وتطير لتقتل أطفال العرب والمسلمين وتمزق أشلاءهم وتدمر بيوتهم. بل يزيد عن ذلك أن يرى الطفل اليهودي بعينيه تلك الصواريخ والقنابل التي ستقوم بتلك المهمة الدموية الوحشية ويقوم بكتابة ما يلي عليها: (هدية من أطفال إسرائيل إلى أطفال لبنان) هذه هي هدية أطفالهم لأطفالنا!! أما هدية أطفالنا لأطفالهم فهي الرقص والغناء للسلام ثم يأتي بعد ذلك من يسأل. لماذا هذا حالنا؟!![1].

ثانياً: إغلاق القواعد العسكرية الصليبية في الدول العربية والإسلامية:

في الحقيقة إن وجود هذه القواعد العسكرية في بلاد المسلمين يمثل وصمة عار لا يمحوها الدهر. وموالاة صريحة للصليبيين وتمكينا لهم من رقاب المسلمين واستعبادهم واحتلال بلادهم. فهذه القواعد لم تستخدم.ولا تستخدم.ولن تستخدم إلا ضد المسلمين. وقد قام الكاتب الصحفي الأمريكي - وليم أوكن - بكتابة مجلد ضخم يحفل بالأدلة والمعلومات الموثقة حول العمليات العسكرية والأمنية الأمريكية حتى عام ٢٠٠٤م تحت عنوان - الأسماء المشفرة - حل فيه شفرة الخطط والبرامج والعمليات العسكرية الأمريكية في عالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر. وفيما يلي بعض ما جاء في هذا المجلد عن القواعد والعمليات العسكرية الأمريكية في بلاد العرب والمسلمين:

(١) الأردن: يوجد بها قاعدتان عسكريتان جويتان أمريكيتان هما: (قاعدة الرويشد)

(١) انظر كتابنا (احذروا التربية اليهودية) - المكتبة التوفيقية.

و (وادي المربع) وبها العديد من المقاتلات الأمريكية.كما توجد بالأردن وحدة من البحرية الأمريكية بميناء العقبة الأردني. كذلك فقد فتح الأردن الباب أمام قوات العمليات الخاصة الأمريكية للتدريب والقيام بمهمات قتالية انطلاقاً من أراضيه.كما سمح لوكالة الأمن القومي والاستخبارات العسكرية الأمريكية بإقامة مراكز تنصت سرية على الحدود مع سوريا والعراق.

(٢) السعودية: كان يوجد بها أحد أهم مراكز قيادة القوات الجوية الأمريكة في المنطقة داخل (قاعدة الأمير سلطان) الجوية بالرياض حيث كان يتمركز حوالي (٥٠٠٠) خمسة آلاف جندي من الجيش وسلاح الجو الأمريكي، وأكثر من ٨٠ مقاتلة أمريكية. ولكن منذ أواسط عام ٢٠٠٣م تقريباً. انتقل حوالي (٤٥٠٠) أربعة آلاف وخمسمائه جندي منهم وبطلب من الحكومة السعودية إلى قطر وبقي حوالي ٥٠٠جندي فقط وأنهت أمريكا تقريباً وجودها العسكري في تلك القاعدة. ومما يذكر أنه في عام ٢٠٠٣م قامت (٣٠٠) ثلاث مائة طائرة حربية أمريكية من مختلف الأنواع بدك دولة العراق المسلمة وقتل أبنائها ونشر الخراب والدمار على أراضيها انطلاقاً من القواعد السعودية..

(٣) قطر: يوجد في قطر المقر الميداني للقيادة العسكرية المركزية الأمريكية للمنطقة الوسطى من العالم وهي المنطقة الممتدة من آسيا الصغرى إلى القرن الأفريقي. أما المقر الرئيسي لتلك القيادة فيقع في قاعدة (ماك دل) الجوية بولاية (فلوريدا) الأمريكية.

كذلك يوجد في قطر (قاعدة العديد) الجوية التي تشتمل على مدرج للطائرات يعد من أطوال الممرات في العالم وأماكن مجهزة لاستقبال أكثر من مائة طائرة على الأرض. وتضم هذه القاعدة قاذفات قنابل ومقاتلات، وطائرات استطلاع إضافة إلى الدبابات ووحدات للدعم العسكري وكميات ضخمة من الأسلحة والذخائر والمعدات العسكرية المتقدمة مما جعلها تصنف كأكبر مخزن استراتيجي للأسلحة الأمريكية في المنطقة. ومن هذه القاعدة انطلقت الطائرات الأمريكية تحمل القنابل الذكية المتطورة إلى إسرائيل في حربها الأخيرة ٢٠٠٦م مع (حزب الله) لتقتل المسلمين في لبنان وتدمر

بيوتهم. أما (قاعدة السيلية) فقد كان مقراً ميدانياً للقوات الخاصة التابعة للقيادة العسكرية المركزية الأمريكية للمنطقة الوسطى ثم أصبحت بعد ذلك مقراً لتلك القيادة ذاتها عام ٢٠٠٢م.

(٤) البحرين: يقع بها المقر العام للقوات البحرية التابعة للقيادة المركزية للمنطقة الوسطى وفيها مقر الأسطول البحري الأمريكي الخامس في العاصمة (المنامة) ويخدم فيه أكثر من (٤٠٠٠)أربعة آلاف جندي أمريكي ويضم حاملة طائرات أمريكية وعدداً من الغواصات الهجومية والمدمرات البحرية وأكثر من ٧٠مقاتلة وقاذفات قنابل ومقاتلات تكتيكية وطائرات للتزويد بالوقود متمركزة (بقاعدة الشيخ عيسى) الجوية. وفى الحرب على العراق عام ١٩٩٢م تحولت البحرين إلى إحدى القواعد العسكرية الرئيسية في الخليج، وشارك الطيارون البحرنييون المسلمون مباشرة في قصف وقتل إخوانهم من الجنود العراقيين المسلمين.

(٥) الكويت: يتركز الوجود الأمريكي في الكويت في معسكر يطلق عليه (معسكر الدوحة) تتمركز فيه الفرقة الثالثة الأمريكية مشاة وقوات تابعة لسلاح الجو بكامل معداتهم وأسلحتهم ومنها الدبابات والمدرعات والطائرات الهليكوبتر الهجومية وأكثر من ثمانين مقاتلة وذلك بالإضافة إلى بعض الوحدات الخاصة بالانتشار السريع.

(٦) الإمارات: وتوجد بها قوة جوية أمريكية ومستودعات متعددة لأغراض الدعم اللوجيستي (النقل والإمداد والتمويل) إضافة إلى ميناءين هامين للسفن الحربية الكبيرة وحاملات الطائرات.

(٧) عمان: تستمد أهميتها للولايات المتحدة الأمريكية من حيث موقعها كمركز متعدد المهام لخدمات ودعم الجسر الجوى حيث قامت الولايات المتحدة بإنشاء قاعدة جوية فيها تتمركز بها قاذفات القنابل الثقيلة من طراز (B١) وطائرات للتزود بالوقود. وتمثل (قاعدة مصيرة) العسكرية واحدة من أقوى مواقع التمركز العسكري الأمريكي البريطاني المشترك في الخليج. ويتركز في (عمان) حوالي (٣٠٠٠) جندي أمريكي.

(٨) **العراق**: يوجد بالعراق حالياً عدد من القواعد العسكرية قدرها بعض الخبراء

العسكريين بحوالي ٧٥ قاعدة يعود معظمها للمواقع العسكرية العراقية التي كانت تابعة للنظام العسكري العراقي السابق واحتلتها القوات الأمريكية أثناء غزو العراق.

(٩) جيبوتي: تعتبر (قاعدة ليمونيه) مركزاً للقوات الأمريكية التي يقترب عددها من(٢٠٠٠) جندي بالإضافة إلى حاملة طائرات أمريكية على متنها (٤٠٠) جندي ينتمون لكافة أفرع القوات الأمريكية المسلحة. وقد أصبحت هذه القاعدة مقراً لقوة العمل المشتركة في القرن الأفريقي والتي تقوم بمراقبة المجال الجوي والبري والبحري لست دول أفريقية هي السودان وأثيوبيا وإرتيريا والصومال وكينيا وجيبوتي بالإضافة إلى اليمن ودول الشرق الأوسط. كذلك فإن هناك وجوداً عسكرياً فرنسياً كبيراً في جيبوتي حيث تتمركز في (قاعدة جيبوتي) قوة فرنسية كبيرة يبلغ عددها (٣٩٠٠) جندي من قوات تابعة لمشاة البحرية، والفرقة الأجنبية تدعمها مقاتلات من طراز (ميراج) وطائرات هليكوبتر مسلحة.

(١٠) مصر: لا توجد بفضل الله أية قواعد عسكرية أجنبية على الأراضي المصرية. ولكن توجد قاعدة جوية غرب القاهرة يصرح للقوات الجوية الأمريكية باستخدامها لأغراض التزود بالوقود، ومهام دعم الجسر الجوي. كذلك تستطيع القوات البحرية الأمريكية أن تستخدم بعض الموانى المصرية مثل: الإسكندرية، والغردقة، وبور سعيد، والسويس. ويذكر أن مصر وتحت ضغط الابتزاز والإرهاب الأمريكي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م أعلنت دعمها لعملية (الحرية المستمرة) لغزو أفغانستان، وصرحت بحق العبور في مياها وأجوائها الوطنية للسفن والطائرات الأمريكية المتجهة إلى أفغانستان بالإضافة إلى التعاون الأمني والاستخباري الوثيق بين البلدين في مجال ما يسمى بمكافحة الإرهاب.

(١١) باكستان: أثناء الحرب على أفغانستان أُعلنت باكستان منطقة قتال ومنح النظام الباكستاني أمريكا الدعم اللوجستي وحق المرور للطيران الأمريكي في الأجواء الباكستانية كما أعطاها حق استخدام خمس قواعد جوية واستضافة ألف جندي أمريكي في البلاد. بعد ذلك فتحت باكستان مطاراتها وقواعدها العسكرية لقوات التحالف

ومنحتها حق استخدام (قاعدة باسني) البحرية على حساب البحرية الباكستانية ذاتها. وكان إنزال قوات مشاة البحرية (المارينز) الأمريكية في هذه القاعدة هي أكبر عملية إنزال برمائية أمريكية منذ الحرب الكورية حيث تم إنزال (٨٠٠٠) جندي وعدد (٣٣٠) آلية ما بين دبابات ومدرعات قامت بعبور الأراضي الباكستانية إلى ولاية قندهار في أفغانستان لقتل أبنائها المسلمين وتدمير بيوتهم واحتلال بلادهم. وقد تعرضت باكستان لضغوط أمريكية عنيفة لضمها للتحالف اليهودي الصليبي ضد الإرهاب وصل إلى درجة التهديد المباشر والصريح من وكيل الخارجية الأمريكية (آرميتاج) للرئيس الباكستاني (برويز مشرف) بتدمير باكستان وإعادتها إلى العصور الحجرية في حالة رفضها ذلك التحالف.

ثالثاً: مواقف يجب أن تنتهي وأخرى يجب ألا تتكرر :

نعم. هناك مواقف يجب أن تنتهي وأخرى يجب ألا تتكرر من الحكام العرب والمسلمين منها: مواقف يجب أن تنتهي:

(١) حصار الفلسطينيين: ذلك الحصار الظالم الجائر على إخواننا الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية والذي تشارك فيه بعض الدول العربية المسلمة وذلك بمنع المال والطعام والدواء والكساء عنهم رغبة في قهرهم وإجبارهم على الخضوع لمطالب اليهود وعلى رأسها التفريط في الأرض والمقدسات.

(٢) احتلال العراق: يجب أن ينتهي فوراً ذلك القبول باستمرار الاحتلال اليهودي الصليبي للعراق بادعاء أن خروج تلك القوات الآن سوف يؤدي إلى خطر عظيم يهدد العراق والعراقيين. وغفل من يقولون ذلك أو تغافلوا عن أن ذلك الاحتلال هو السبب الوحيد لكل تلك المصائب والكوارث التي سقط فيها العراق. وأن قتل وذبح مئات العراقيين يومياً والانفصال الفعلي لإقليم كردستان والتخطيط الشيعي لانفصال الجنوب. كل ذلك يهدد العراق بنهاية مأساوية.

ومع ذلك تظل الادعاءات المريبة تردد أن خروج المحتلين من العراق فيه خطر عظيم. فأي خطر أعظم من ذلك الذي يفتك بهذا البلد المسلم العريق ويمزق أوصاله

ويهدم أركانه؟!! وكذلك يجب أن ينتهي الاحتلال الغربي لأفغانستان. البلد المسلم العظيم.

(٣) الموقف من دارفور بالسودان: يجب أن ينتهي فوراً ذلك التخاذل الغريب والتجاهل المريب من الدول العربية تجاه السودان الشقيق في علاج أزمة دارفور التي تهدد بضياعة. فالتحالف اليهودي الصليبي يحارب في جنون من أجل فرض دخول قواته إلى دارفور تحت راية الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وهدفه تمزيق السودان بفصل دارفور في الغرب بعد أن فصل الجنوب وتمهيداً لفصل شرق السودان ثم بلاد النوبة في الشمال لتمزيق السودان إلى خمس دويلات ضعيفة وعاجزة تخضع للهيمنة اليهودية الصليبية.

والحل الوحيد المتاح للدول العربية لدحر ذلك المخطط الشيطاني كما يلي:

أولاً: أن تعلن كل الدول العربية صراحة معارضتها لأي تدخل أجنبي أو إرسال أية قوات عسكرية تحت أي مسمى إلى أراضي السودان دون موافقته ووفق شروطه وبما يتفق مع مصالحه.

ثانياً: أن تدعم استمرار وجود قوات الاتحاد الأفريقي التي تقوم بنفس المهمة حالياً في السودان وبموافقة حكومتها دعماً مالياً وسياسياً لتقطع الطريق على التدخل الصليبي تحت راية الأمم المتحدة في ذلك البلد الشقيق.

(٤) الجمعيات الخيرية الإسلامية: يجب أن ينتهي فوراً ذلك الحصار الخانق والتضييق الظالم على الجمعيات الخيرية والدعوية الإسلامية التي كانت تؤدي دوراً عظيماً في إغاثة إخواننا المسلمين الفقراء في قلب إفريقيا ودول آسيا وتحميهم من عمليات التنصير المكثفة التي يتعرضون لها وذلك بادعاء أن هذه الجمعيات تمول الإرهاب والإرهابيين، وأن في حظر نشاطها وإلغاء وجودها تخفيفاً لمنابع الإرهاب. فتم وضع الكثير من تلك الجمعيات الخيرية في لائحة الإرهاب وصودرت أموالها وفرض الحظر على تحركات أعضائها. فكانت النتيجة أن انهار العمل الإغاثى العربي والإسلامي وانسحبت معظم تلك الجمعيات من البلاد المسلمة الفقيرة وتركتها فريسة

سهلة لعمليات التنصير الشرسة. وللأسف الشديد فقد كان لتخاذل الحكومات العربية والإسلامية الأثر الأكبر في ذلك الانهيار تحت الخوف من اتهامها بدعم الإرهاب. والآن يجب على كل الدول العربية والإسلامية أن تعيد لتلك الجمعيات الإغاثية شرعيتها وتسمح لها بالعمل الجاد المخلص في مجال نصرة الإسلام وغوث المسلمين. ويجب أن تخضع هذه الجمعيات لرقابة حكوماتها فقط لا لرقابة الدول الصليبية المتعسفة ولا هيمنتها المجحفة. فهل يصدق إنسان أن أي جمعية خيرية في دولة عربية تريد أن ترسل مبلغاً من المال لإغاثة دولة عربية أو مسلمة مجاورة لها. فإن هذا المال لابد أن يدور حول العالم كله ليمر عبر البوابة الأمريكية لتراجع أصل ذلك المال ومن الذي أرسله ولمن أرسله والسبب في إرساله، ثم تسمح بمروره في حدود معينة أو تصادره إن شاءت بلا رقيب ولا حسيب.

(٥)المدارس والمعاهد الشرعية والمناهج الدينية: يجب أن ينتهي فوراً ذلك الاستسلام المهين لشروط وتعليمات الدول الصليبية للدول العربية والإسلامية بإغلاق المدارس والمعاهد الشرعية وبتعديل وتغيير المناهج الدينية التي يدرسها أبناء وأطفال المسلمين ليحذف منها نهائياً كل ما يدعو إلى التمسك بأصول الدين والشرع الحنيف والرؤية المتكاملة لشريعتنا الغراء بما فيها مسالمة من يسالم المسلمين ومحاربة من يحاربهم. ثم الدعوة إلى حذف كل ما يشير من قريب أو من بعيد لمعاني الجهاد في سبيل الله ووجوب نصرة المسلم لأخيه وعدم موالاة الكافرين. كل ذلك بدعوى أن هذه المعاني تحض على العنف والإرهاب وأنها يجب أن يستبدل بها ما يدل على وجوب التسامح والمسالمة مع الآخرين. وللأسف الشديد. فقد أغلقت الكثير من المعاهد والمدارس الشرعية في باكستان واليمن ووضعت تحت الرقابة الحكومية اللصيقة في بعض الدول الأخرى. وتغيرت المناهج بالفعل في كثير من الدول العربية والمسلمة بل وصل الأمر أن سفير السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية يبشر الحكومة الأمريكية بأن السعودية على وشك الانتهاء من تلك المهمة. وكانت النتيجة أن زاد شعور هؤلاء الصليبيين بالاستكبار والاستعلاء فطلبوا من الحكومة السعودية إلغاء هيئة (الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر) في تدخل سافر ووقح في أدق الشئون الداخلية والدينية لدولة ذات سيادة. ولكن الله أخزاهم عندما أعلن المسئولون السعوديون رفضهم القاطع لذلك المطلب الوقح.

مواقف يجب ألا تتكرر:

(١) المشاركة في حصار أي دولة عربية أو مسلمة: مثل الحصار الذي فرض على العراق لمدة تسع سنوات ظلماً وعدواناً وللأسف الشديد شاركت فيه كل الدول العربية. ومثل الحصار الجوى الذي تعرضت له ليبيا قبل أن تخضع وتستسلم لهيمنة التحالف والذي شاركت فيه أيضاً كل الدول العربية بينما امتلكت بعض الدول الإفريقية الشجاعة وتجرأت على خرقه وكسره. وكل ذلك تحت مسمى ذلك الادعاء الكاذب المخادع باسم الشرعية الدولية. أما ذلك الحصار المضحك. فهو ذلك الحصار الذي فرضته إسرائيل على لبنان في الحرب الأخيرة ٢٠٠٦م. فذلك الحصار لم يصدر به قرار من الشرعية الدولية المزعومة حتى تتعلل به الدول العربية المعتدلة الحكيمة التي لا ترغب في عصيان إرادة المجتمع الدولي. وإنما كان حصار بلطجة وعربدة فرضته إسرائيل على لبنان من جانب واحد واشترطت على كل طائرة مدنية تابعة لأي دولة في العالم تريد أن تصل إلى لبنان أن تهبط في مطار (عمّان) في الأردن أولاً ليتم تفتيشها بمعرفة المخابرات الإسرائيلية لضمان عدم حملها سلاح أو ممنوعات لدعم حزب الله. وللأسف الشديد فقد خضعت كل الدول العربية لذلك الابتزاز والبلطجة ولم تجرؤ واحدة منها على كسر ذلك الحصار أو خرقه. ولولا دولة قطر التي قيل في علاقتها بإسرائيل ما قيل. والتي جرؤت على أن تكسر ذلك الحصار وأعطت أوامرها لطائراتها المدنية بالسفر مباشرة إلى لبنان دون الهبوط في الأردن لكانت المذلة والمهانة قد جللت العالم العربي والإسلامي بأسره.

(٢) **السماح للقطع البحرية المسلحة لدول التحالف بالمرور في ممراتنا المائية**: وذلك أثناء توجهها لضرب إخواننا والاعتداء على بلادنا. أو السماح لطائراتهم بالمرور في أجواء بلادنا أو استخدام مطاراتنا وموانينا للتزود بالوقود والمؤن المستخدمة في حرب

إخواننا المسلمين. ويجب أن يعلم الجميع أنه حتى القوانين الدولية التي لا يحترمها ويخضع لها إلا العرب والمسلمون تبيح لنا ذلك.

(٣) المشاركة في أي تحالفات مستقبلية ضد أي دولة عربية أو مسلمة: ومنها تلك المحاولة الخبيثة التي قامت بها مؤخراً وزيرة الخارجية الأمريكية - كوندريزا رايز - . وزارت فيها مصر والسعودية واجتمعت بوزراء خارجية هاتين الدولتين ومعهما بقية دول الخليج الست والأردن في محاولة لإقامة تحالف بين الدول التي تسميها أمريكا بالمعتدلة ضد دولة إيران المسلمة. فمثل هذه التحالفات لا تخدم إلا اليهود والصليبيين ولا تهدف إلا إلى تدمير الدول الإسلامية دولة وراء دولة.

أما نحن المسلمون فمصلحتنا الحقيقية في التحالف بين كل الدول العربية والإسلامية ضد هؤلاء اليهود والصليبيين والعمل على تقوية ودعم ومساندة أي دولة عربية أو إسلامية تعمل على تحصيل أسباب القوة المادية كما تفعل إيران في سعيها للحصول على الطاقة النووية السلمية وتخصيب اليورانيوم على أراضيها[1].

ونذكر الأمة الإسلامية قاطبة وعلى رأسها حكامها من الملوك والرؤساء والقادة والأمراء بقول الله (ﷻ): ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (المائدة:٥١).

واجب المسلمون نحو الغرب المعتدل:

ولأن الغرب ليس كتلة واحدة صماء. وليس كلُّ الغربيين ضالعين في الكيد للإسلام وفي مشروع الهيمنة الغربية في العالم. وشاهدنا على ذلك المظاهرات والاحتجاجات ضد الحروب على الإسلام والعالم الإسلامي، وضد العولمة. ولأن إسلامنا يعلمنا العدالة والموضوعية في النظر إلى الآخرين، فإن واجب المسلمين أن يقدموا حقائق الإسلام للجماهير الغربية، التي هي ضحية الثقافة الغربية المغشوشة،

---

(١) د/ رضا الطيب - التبيان - العدد ٢٧ - شوال ١٤٢٧هـ - نوفمبر ٢٠٠٦م - صـ٣٦/ ٣٨.

والفكر العنصري والزيف الإعلامي اليهودي المسيطر على وسائل الإعلام طبقاً لبروتوكولات حكماء صهيون، ونجاحهم في تقبيح الوجه المسلم في الغرب وتحسين صورتهم، فحاجة هذا الإنسان الغربي، الذي تضلله الأكاذيب الثقافية الموروثة، والتزييف الإعلامي المعاصر، والمؤسسات التي أقامتها الرأسمالية الغربية للكذب - باسم صناعة الصورة وتوجيه الرأي العام، والتي يرتزق أصحابها من (صناعة الكذب)!! مصداقاً لقول الله (ﷻ): ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (سورة الواقعة:٨٢).

إن حاجة هذا الإنسان الغربي إلى معرفة حقيقة الإسلام، تفرض على المسلمين الاهتمام بتقديم هذه الحقيقة إلى هذا الإنسان.

وكما يمثل هذا الأمر - حاجة ثقافية. وضرورة علمية - ، فإنه يمثل للمسلمين القيام - بفريضة دينية، وتكليف إلهي - فريضة أن تدعو إلى الإسلام بالكلمة الطيبة - التي شبهها القرآن الكريم بالشجرة الطيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سورة ابراهيم: ٢٤، ٢٥).

ويجب علينا أن نحاور ونجادل طلاب الحقيقة والمحتاجين إليها بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن - وليس فقط الحسن! - ونرجوا الله (ﷻ) أن تحل المودة بيننا وبين الذين يناصبوننا العداء: ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (الممتحنة:٧).

فهي فريضة من فرائض الإسلام: أن نبلغ دعوة الإسلام. ونقيم الحجة على صدق الإسلام. ونزيل الشبهات عن حقائق الإسلام. وذلك فضلاً عن أن في ذلك التحقيق لمقاصد الإسلام في التعارف بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب والثقافات والحضارات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات:١٣)

فمن منطلق العزة الإسلامية، التي أراد الله سبحانه وتعالى، لنا أن تكون من عزته وعزة رسوله (ﷺ): ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المنافقون: من الآية٨).

ومن هذه المنطلقات جميعاً يجب أن نقدم ونعرض حقائق الإسلام بمنهاج موضوعي، مقارنة بها لدى الآخرين. راجين الله (ﷻ) أن تجد هذه الحقائق الإسلامية سبيلها إلى العقول والقلوب التي تنشد (الحق) و (العدل) .

ولسوف ننجح بأذن الله لأنهم ليسوا سواء بشهادة القرآن الكريم الذي عندما تحدث عن اليهود قتلة الأنبياء. الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء. والذين هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا. والذين لعنهم الله لخروجهم عن شريعة موسى (عليه السلام)، لتحالفهم مع الوثنية العربية ضد التوحد الإسلامي. حتى هؤلاء لم يعمم القرآن الأحكام عليهم جميعاً، وإنما ميز بين فرقهم، فقال: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (سورة آل عمران: ١١٢ - ١١٥).

وأريد أن يتأمل القارئ الكريم أوصاف أمة من أهل الكتاب - اليهود والنصارى - تتلو آيات الله وتسجد وتؤمن بالله واليوم الآخر وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بل وتسارع في الخيرات فيصفهم المولى (ﷻ) بأنهم من الصالحين، وأنه عليم بتقواهم.

وفي سورة آل عمران الآية (١٩٩) يقول رب العزة:

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (سورة آل عمران:١٩٩)

- وفي سورة النساء آية (١٦٢) في معرض الحديث عن ظلم اليهود وأخذهم الربا يقول تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ (النساء:١٦٢)

- وفي سورة المائدة آية (٦٦) يقول فيها رب العزة: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (سورة المائدة:٦٦)

- ويقول تعالى في سورة الأعراف أيضاً آية (١٦٨) في معرض الحديث عن اليهود: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (سورة الأعراف:١٦٨)

ولقد صدق الله في كل ما أخبرنا به: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ (سورة النساء: من الآية٨٧)، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ (سورة النساء: من الآية ١٢٢).

ونذكر بعض الشخصيات والمواقف في عالمنا المعاصر قد تنطبق عليهم بعض هذه الصفات الحميدة.

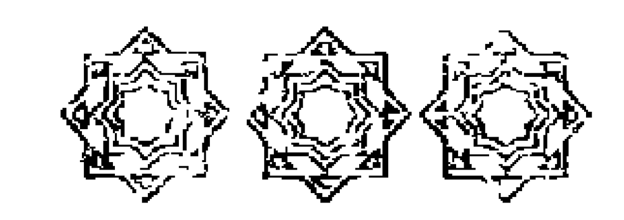
- ❑ (٢٧) طياراً إسرائيلياً رفضوا الأوامر العسكرية بقصف المدنـيين الفلسطينيين [١].
- ❑ لقد وصف (توني بن) وهو من أبرز السياسيين البريطانيين - الغزو الأمريكي للعراق بأنه غزو إجرامي ودعم - غير مسبوق - لشارون في إنكاره للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وطالب بقيام حركة سياسية عالمية توقف مهازل الإدارة الأمريكية التي تهدد سوريا وإيران وطالب بضرورة التحدي والتصدي من خلال تفعيل منظمة الأمم المتحدة:
- ❑ ولقد رأينا دور (رمزى كلارك) وزير العدل الأمريكي الأسبق في الوقوف للدفاع عن الرئيس العراقي صدام حسين ووصف المحاكمة بأنها مهزلة غير شرعية وغير

(١) إبراهيم نافع - الأهرام.

عادلة تتم تحت سلطات الاحتلال الأمريكي. ووصف الحكم بإعدام الرئيس العراقي صدام حسين بأنه حكم باطل.

❑ وأكد من قبل أن الحقيقة غائبة تماما بالنسبة للشعب الأمريكي وأن المظاهرات من أجل العراق وفلسطين تكاد تكون مستمرة في شتى أنحاء الولايات المتحدة ثم علق قائلاً: «نحن في حاجة ماسة إلى مساعدتكم لتحرير الولايات المتحدة الأمريكية من هؤلاء الطغاة».

❑ وهذا السياسي البريطاني الكبير عضو مجلس العموم (جورج جالاوى) الذي يؤيد الحق العراقي ويستهجن جرائم شارون وبوش وبلير وأزنار وقال قولته الشهيرة وقد صدقت: «أنني أتوقع السقوط لكل من شارون، وبوش، وبلير، وأزنار، وبيرلسكونى» [1].



(١) انظر كتابنا – دماء على صفحات التوراة والتلمود – المكتبة التوفيقية ومقدمة الداعية الإسلامية / كريمان حمزة صـ٩/ ١٦.

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ)

الخروج اليوم وليس غداً

وقبل أن نطوي الصفحات نقول:

إن تهديد السلام في هذه المنطقة سوف ينعكس سلباً على العالم وأن ترك الظلم والعدوان الأمريكي والإسرائيلي ليستفحل، سوف يأتي بأوخم العواقب ليس على العرب وحدهم، بل على الكل وأن العرب في مجموعهم يستطيعون الرد. وأن الحلول العادلة هي السبيل الوحيد للسلام، أن كان من أهدافهم السلام. ونذكر بالتاريخ. هل استطاعت الحروب الصليبية بأهوالها ومظالمها أن تقدم حلاً. أم انتهت بالخذلان والهزيمة؟!!.

وهل بقي الغرب على مسيحيته أم أن أكثر الدول الغربية الآن خلعت مسيحيتها وتحولت علمانية ووجودية ولا إرادية. وعولمة اليوم تجارة ومصالح وتبادل مصالح ومنافع لا دين لها. والصيحة الآن باسم الحرية وباسم حقوق الإنسان. وكل ما حرمته المسيحية أحله أتباعها..

فالشذوذ الجنسي حلال. والزنا حلال. والخمور بأنواعها حلال. وكل المحرمات دخلت في بند حقوق الإنسان وأصبحت مباحات.

وهذا هو التمدن والتطور والعدالة المثلى. وهذا الضغط العالمي الذي يعاود الإلحاح على شرعية الحقوق الجنسية للمرأة وعلى حرية المرأة في إشباع رغباتها الجنسية بالكيفية التي تختارها. من خلال الزواج. أو خارج مؤسسة الزواج بالعلاقات الحرة أو باختيار الشذوذ أو البغاء أو الاحتراف أو التكسب. باعتبار أن ما تفعله المرأة بجسمها هو خصوصياتها وحقها في الحمل أو الإجهاض هو من حرياتها. ولا يجوز لأحد أن يحجر على هذه الحرية. فهذا هو النظام العالمي الجديد. وهذا هو التمدن والتطور والعدالة المثلى.

وفضائيات أمريكا وأوروبا وقنوات الإنترنت وأفلام العري تدخل البيوت وتقتحم غرف النوم لتجعل من هذا العهر والفحش عادة معتادة وسلوكاً مستحباً تنشأ عليه الأجيال الجديدة ويتربى عليه الأطفال والأولاد والآباء والأمهات ويشاهدون زواج الرجال بالرجال وزواج النساء بالنساء وحفلات الشواذ تقوم بها كنائس متحررة عصرية ورجال دين جدد يمارسون هذه الطقوس بوقار وشرعية [(١)].

إذن!! عن ماذا كانت تعبر رايات الصليبيين؟! ربما عن قتل المسلمين وربما عن مجرد الكراهية الغربية، نعم الكراهية الغربية للإسلام والمسلمين.

ورايات أمريكا وإسرائيل تعبر الآن عن نفس الأشياء وتزيد عليها نهب الأرض والاستيلاء على مقدرات البلاد وقتل النفس. تحت مسميات الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وكلها شعارات زائفة ووهم باطل. وخداع وسراب.

وقد حولت أمريكا الحضارة إلى قرصنة وسطو ونهب. وهي تسعي إلى ذلك بكل الوسائل والحيل والذرائع والاستدراجات.

ونجح الاستدراج الأمريكي. واستدرج - صدام حسين - إلى غزو الكويت. وكانت حرب الخليج ذريعة للسيطرة على البترول وضرب الوحدة والوفاق العربي في مقتل ونجحوا.

ودخلت أمريكا المنطقة بجنودها وعتادها وسيطرت على البترول العراقي، قبل أن تحكم سيطرتها على العراق. وتسابقت الشركات الأمريكية في نهب مقدرات العراق. وقتل المدنيين حتى بلغ عدد القتلى من المدنيين العراقيين في عام ٢٠٠٦ م أكثر من ٣٤,٠٠٠ (أربعة وثلاثين ألف عراقي) وفازت أمريكا بلقب الجبروت والقوة والبطش في العالم. ولعل أمريكا تكون هي عاد الثانية والتي لم يخلق مثلها في البلاد. والتي تنافسها في جبروتها وقوتها وبطشها وفي نهايتها فقد تعملقت أمريكا وتطاولت في البنيان كما تعملقت عاد في أبراجها. وارتفعت في أمريكا ناطحات السحاب فأوشكت

(١) د/ مصطفى محمود - حقوق المرأة وما يخفى وراءها - عن كتاب: على خط النار (مرجع سابق) صـ٦٥.

أن تكون: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝ ﴾ (سورة الفجر: ٧ ، ٨) وهي عوامل ضعف وليست عوامل قوة. انظر إذا انقطع التيار الكهربائي عنها ما هو مصيرها. و ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ ﴾(الزلزلة:١) . ما هو مصيرها؟!!.

فهل تنتهي أمريكا كما انتهت عاد الأولى وكما انتهى كل الجبارين والعماليق؟!! المستقبل عند الله. ولا ندعي علم الغيب.

ولكن كتاب التاريخ يلقي علينا الدروس:

﴿ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝ ﴾ (طـه:٦١).

﴿ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝ ﴾ (طه:١١١).

﴿خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ (الشمس: ١٠).

وركب الأباطرة. والقياصرة. والأكاسرة. يمضي ولا شيء يبقى فأين؟ وأين؟ وأين؟.

هناك. نعم هناك. أمم في باطن الرمال.وأمم تحت الجليد. مع الحيتان الميتة في العصور الجليدية. وأمم في قاع البحر. وأمم غبرت وطواها النسيان ولم يبق لها أثر ولا ذكرى. دروس وعبر تحفل بها كتب التاريخ.

ورؤساء أمريكا العظام مشغولون تفوتهم هذه الدروس، فهم مشغولون في شغل شاغل يشغلهم على الدوام. وهم في دوامة العظمة وفي دوامة الحكم والسلطان وفي الضجيج الإعلامي. الذي يصك الآذان حولهم وأضواء الكاميرات التي تعمي الأعين. ورصاص جنودهم يحصد يومياً ٥٥٠ مدني عراقي لماذا؟!! [1].

ينسون عجلة الزمن التي تجري ويغفلون عن الحاضر الذي سوف يصبح ذكرى باهتة ثم يصبح سطر في الماضي، ثم يغدو نسيا منسيا، ثم يغدو أثرا بعد عين، ثم يصبح بعد ذلك العصر القديم الذي كان. أين ذهب ذلك العصر. وأين ذهب رجاله المفتونون بأنفسهم. فتش عنهم تحت الأرض. فتش تحت التراب. هنا وهناك.

---

(١) أ/ سعيد اللاوندي - جريده الأهرام - صـ١٠-١٥/ ١/ ٢٠٠٧ .

هل وجدت شيئاً..

نعم رأيت جمجمة؟!.

أين لسانها. الذي كان يحكم ويأمر. وينهي. ويسجن في أبو غريب. وجوانتاناموا. ويعذب ويقتل. قطع الزمن لسانها وأعمي أعينها. استوى القاتل والقتيل في التراب..

لا. بل ما استووا أبدا.

بل تفرقت بهم المصائر. إلى حيث لا نعلم ولا يعلم أحد.

من أسفل سافلين إلى أعلى عليين.

أين الشهداء الآن وأين قاتلوهم؟!.

ذلك هو الغيب المطلسم. والمفاجئة الصاعقة [١].

فالذي أطلق الرصاصة القاتلة على الشهيد لم يدر إلى أي هوة من الجحيم هوت به والذين قتلوا أكثر من (٣٤,٠٠٠) أربعة وثلاثين ألف قتيل عراقي في عام ٢٠٠٦م ماذا أعد الله لهم:

﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحاقة:٣٢) فغرور أمريكا بقوتها قد جاء بها إلى نهايتها، وقبرها، وتابوتها. فالتقرير العبقري السياسي (تقرير بيكر - هاملتون) عن العراق هو الإنذار والنصيحة الأخيرة لأمريكا إذ يقول:

(لابد من الفرار الأمريكي من العراق اليوم قبل غداً).

ويقول الله (ﷻ) في شأن ملكه وملكوته: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق: من الآية٣).

ويقول (ﷻ): ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (يوسف: من الآية٢١).

---

(١) د/ مصطفى محمود - على خط النار - كتاب اليوم - نوفمبر ٢٠٠٠ - صـ٨، ١٢

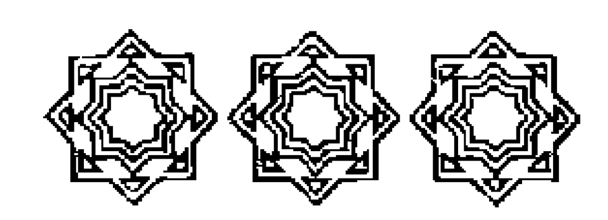
الصفحة الأخيرة
بين الحق والكبرياء الزائف

وبعد...

هل تستطيع أن تدخل في صلاة خاشعة إلى الله (عَجَّلَ).

ثم تبتهل إليه من كل خوالج نفسك وأنت تسكب العبرات أن يرحمك ويهديك إلى الصراط المستقيم وتدعوه بكل رجاء قائلاً:

(اللهم دلني على الحق الذي يرضيك يا أرحم الراحمين).



المراجع

المصادر المذكورة هنا هي التي اعتمد عليها هذا الكتاب ، ووردت في ذيل صفحاته ، أما المراجع الأخرى التي أسهمت بطريق غير مباشر ، فلم تذكر في هذه القائمة .

١- القرآن الكريم .

٢- مجموعة من كتب التفسير .

٣- مجموعة من كتب الحديث .

٤- الكتاب المقدس .

٥- مونتجمرى وات .. فضل الإسلام على الحضارة الغربية .. ترجمة حسين أحمد أمين .. دار الشروق ، (١٩٨٣م) ط - الأولى..

٦- صحيفة نيويورك صن داينيل بايبس .. يناير (٢٠٠٦م) عن القسيس يوزيف ديسبو ..

٧- عبد السلام محمد : الكتاب المقدس في الميزان مطابع الوفاء بالمنصورة ١٩٩١م .

٨- منار الإسلام- عدد ذي القعدة ١٤٢٧هـ .

٩- م/ زكريا هاشم زكريا - المستشرقون و الإسلام .

١٠- د/ عبد الحليم محمود - أوروبا والإسلام .

١١- من مقالة للرحالة السيد / محمود سالم - المنار - مجلد ١٤ .

١٢- روجيه جارودي - الاشتراكية والإسلام ٠ .

١٣- أرشيالدر لويس - القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط - ترجمة محمد عيسى - مكتبة النهضة المصرية .

١٤- روجيه جارودي - أثر الحضارة الغربية على الثقافة العالمية .

١٥- صحيفة الأهرام - ٥/ ١٠/ ٢٠٠٦م .

١٦- - صحيفة الأهرام ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٦م .

١٧- صحيفة الأهرام ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٦م .

١٨- صحيفة الأهرام - ٣ نوفمبر ٢٠٠١ م ٠ .

١٩- د/ عباس محمود العقاد - عبقرية محمد .

٢٠- التبيان - العدد السابع والعشرون ١٤٢٧هـ - نوفمبر ٢٠٠٦م .

٢١- الإمام محمد أبو زهرة - محاضرات في النصرانية - دار الفكر العربي .

٢٢- الشيخ / محمد رسلان - محاضرة في الرد على بابا الفاتيكان.

٢٣- مجلة الأزهر - لشهر ذي القعدة سنة ١٤٢٧ هـ.

٢٤- - صحيفة الأهرام ٢٠/ ١١/ ٢٠٠٦م .

٢٥- محمد عمارة ..الغرب والإسلام ..

٢٦- الأهرام .. الأربعاء .. (٢٠/ ٩/ ٢٠٠٦م) .

٢٧- أ.د/ أحمد شلبى - المسيحية - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الحادية عشر ٢٠٠٢م .

٢٨- فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي .

٢٩- أيمن عبد البر - الدرر في اختصار المغازي والسير - تحقيق د/ شوقي ضيف - طبعة القاهرة ١٩٦٦م . .

٣٠- د/ شوقي ضيف - محمد خاتم المرسلين - دار المعارف - سنة ٢٠٠٠ .

٣١- مونتجمري وات Montgomery Watt - تأثير الإسلام في أوروبا خلال العصر الوسيط .. المترجم للعربية بعنوان (فضل الإسلام على الحضارة الغربية) .

٣٢- إنجمار كارلسون - الإسلام وأوروبا.. تعايش أم مجابهة ؟ - مكتبة الشروق الدولية ، ترجمة / سمير بوتاني سنة ٢٠٠٣م .

٣٣- مكسيموس مونروند - تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب - ترجمة مكسيموس مظلوم - طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥ .

٣٤- د/ جاك تاجر - أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى سنة ١٩٢٢م - طبعة مصورة أصدرها أقباط المهجر - مدينة جرسي أمريكا ١٩٨٤م .

٣٥- ول ديورانت - قصة الحضارة - المجلد السادس حـ٣/ ٤ ترجمة د/ عبد الحميد يونس - طبعة القاهرة سنة ١٩٧١/ ١٩٧٢م والمجلد الرابع حـ٤، وسير توماس أرندلـد - الدعوة إلى الإسـلام .ترجـمة د/ حسن إبراهيم شحاته ، د/ عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوي - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م .

٣٦- د/ توفيق الطويل- قصة الاضطهاد الديني والمسيحي والإسلام طبعة القاهرة ١٩٩١.

٣٧- د/ محمد عمارة - الهجمة الأمريكية على الإسلام- مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٣م .

٣٨- د/ محمد عمارة- الغرب والإسلام - أين الخطأ وأين الصواب ؟. .

٣٩- ابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة) حـ١٧ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة القاهرة ١٩٥٩م .

٤٠- والباقلاني (التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) تحقيق محمود محمد الخضري د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة - طبعة القاهرة ١٩٤٧م .

٤١- محمد عبده - الأعمال الكاملة - تحقيق - د/ محمد عمارة - طبعة القاهرة ١٩٩٣م .

٤٢- صحيفة الأهرام - ٢٤/ ٩/ ٢٠٠٦.

٤٣- صحيفة الأهرام ٢٧/ ٩/ ٢٠٠٦ .

٤٤- مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٠) برقم (٣٥،٢٣) وغيرها . .

٤٥- د / جمال الحسيني أبو فرحة - عقائد المسيحية - مجلة الوعي الإسلامي - ذو الحجة ١٤٢٧ هـ.

٤٦- جوتفرايد كوترلن - مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا - طبعة القاهرة ١٩٩٩م .

٤٧- ريتشارد نيكسون - الفرصة السانحة Seize the moment - ترجمة : أحمد صدقي مراد - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م .

٤٨- فوكوياما - وهنتنجتون - نيوزويك الأمريكية - العدد السنوي - ديسمبر ٢٠٠١م فبراير ٢٠٠٢م . .

٤٩- البرنامج الأنمائي للأمم المتحدة (تقرير التنمية البشرية) لسنة ١٩٩٨م .

٥٠- انظر مقالات صلاح الدين حافظ ، ود/ محمود عبد الفضيل ، ومحمد سيد احمد ، والسيد ياسين - الأهرام القاهرة في ١٥/ ٩، ١٦/ ٩/ ١٩٩٨م ، ١١/ ٣/ ١٩٩٩م.

٥١- لوثروب استودارد - حاضر العالم الإسلامي - تعليقات شكيب أرسلان . ترجمة عجاج نويهض - المجلد الأول حـ١ - طبعة بيروت ١٩٧١م .

٥٢- يوحنا الينكوسي - تاريخ مصر ليوحنا الينكوسي - ترجمة ودراسة وتعليق د / عمر صابر عبد الجليل - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

٥٣- د/ صبري أبو الخير سايم - تاريخ مصر في العصر البيزنطي - طبعة القاهرة ٢٠٠٠م .

٥٤- تاريخ نقض العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث - تحرير زالمان شازار - - ترجمة أحمد محمد هويدي - مراجعة : خليفة حسن - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م .

٥٥- ابن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها - صـ٤٦ طبعة ليدن ١٩٢٠ .

٥٦- البلاذري - فتوح البلدان - تحقيق - د/ صلاح الدين المنجد - طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م .

٥٧- آدم متز - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - ج١ - ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة - طبعة بيروت ١٩٦٧م ٠.

٥٨- سير توماس أرنو لد - الدعوة إلى الإسلام - ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن ، د/ عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوي - طبعة القاهرة ١٩٧٠م .

٥٩- هوبرت هير كومر - صورة الإسلام في التراث الغربي - ترجمة / ثابت عيد - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م .

٦٠- توماس كاريل - تقييمات غربية لأسلوب القرآن - ترجمة ثابت عيد .

٦١- الأهرام في ٢/ ٣/ ٢٠٠٢م نقلاً عن مقال زخاري كاربيل صحيفة النيوزويك الأمريكية في ١٤/ ١/ ٢٠٠٢م .

٦٢- د/ مصطفي محمود - التوراة .

٦٣- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم - الجزء الأول - محمد عزه در وزه اخترنا لك (١٩٨٣م) شركة مطابع الإعلانات الشرقية.

٦٤- (٧٧د / فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي- النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية- مكتبة زاهران .

٦٥- أنيس منصور - الحائط والدموع - دار الشروق.

٦٦- د/ عبد العظيم المطعني - المسيحيون والمسلمون في تلمود اليهود .

٦٧- عبد الوهاب النجار - قصص الأنبياء . .

٦٨- عبد الحليم الجبيصى- اليهود و العالم- المكتبة التوفيقية.

٦٩- الأمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير - قصص الأنبياء .

٧٠- د/ محمد عمارة - الإسلام والآخر من يعترف بمن ؟ .. ومن ينكر من؟ - مكتبة الشروق - ٢٠٠١م .

٧١- منار الإسلام - شوال ١٤٢٧هـ أكتوبر ٢٠٠٦م .

٧٢- عبد الحليم الجبيصى- احذروا التربية اليهودية-- المكتبة التوفيقية . .

٧٣- التبيان - العدد ٢٧- شوال ١٤٢٧هـ- نوفمبر ٢٠٠٦م .

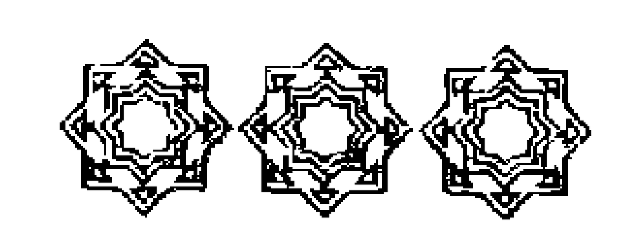
٧٤- إبراهيم نافع - الأهرام .

٧٥- عبد الحليم الجبيصى- دماء على صفحات التوراة والتلمود - المكتبة التوفيقية.

٧٦- د/ مصطفى محمود- حقوق المرآة وما يخفى وراءها - عن كتاب : على خط النار .

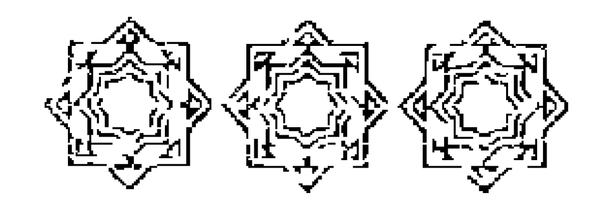
٧٧- ا/ سعيد اللاوندي - جريده الأهرام -١٥/ ١/ ٢٠٠٧ .

٧٨- (٩١) د/ مصطفى محمود- على خط النار - كتاب اليوم - نوفمبر ٢٠٠٠ .



الفهرس

الموضوع الصفحة





أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠

صدر للمؤلف عن المكتبة التوفيقية

اليهود والعالم

الله والملائكة والأنبياء في اليهودية والإسلام

إبراهيم عليه السلام والدين معه بين الأسفار الخمسة والقرآن

دماء على صفحات التوراة والتلمود

احذروا التربية اليهودية

